

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ وعلم الآثار والثقافة الشعبية

شعبة الثقافة الشعبية

تخصص: أنثروبولوجيا

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم

بعنوان:

صدرة الغرب في المضيان الثقافي والاجتماعي للشباب الجزائري

طالبة جامعة تلمسان نموذجاً

تحت إشراف الدكتور:

أ.د/ سعيدي محمد

من اعداد الطالب:

بليفة ميلود

لجنة المناقشة:

رئيساً	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ محمد بشير
مشرفاً ومقرراً	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ محمد سعيدي
عضواً مناقشاً	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر (i)	د/ عبد المجيد عطار
عضواً مناقشاً	جامعة سعيدة	أستاذ محاضر (i)	د/ عبد الحميد بكري
عضواً مناقشاً	جامعة بلعباس	أستاذ محاضر (i)	د/ منور بلعربي
عضواً مناقشاً	جامعة بلعباس	أستاذ محاضر (i)	د/ بلعباس لبعير

السنة الجامعية: 2013-2014 م

كلمة شكر

بسم الله،

الله أكبر وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد: لا يفوتني بهذه المناسبة أن أتقدم بشكري وامتناني الكبيرين لأستاذي الفاضل: الأستاذ الدكتور "محمد سعدي"، الذي تبني هذا البحث إشرافاً وتوجيهاً وتصويباً، كما أشكره على توجيهاته القيمة التي ذلت العديد من الصعوبات التي واجهتنا أثناء عملية البحث، وعلى تحفيزاته المتواصلة وعلى سعة صبره معنا إلى غاية إتمام هذا العمل، فجزاه الله عنا كل الخير.

والشكر للسادة الأساتذة الذين ساعدونا في ترجمة بعض النصوص والمصطلحات من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وملخص الرسالة باللغات الأجنبية.

الشكر للطلبة الذين تجاوبوا معنا وخاصة الباحثين منهم مسؤولي المكتبات الكليات وأعاونهم إدارة نيابة رئيس الجامعة التي زودتنا ببعض المعلومات والإحصائيات والشكر الموصول كذلك للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الذين قبلوا عملية تقويم بحثنا هذا.

إلى هؤلاء جميعاً وآخرون،

الشكر الجزيل

إهداء

أهدى هذا المعمل المتواضع إلى

أرواح أغلى ما فقدت في هذا الوجود

"أبي وأمي" وعمي علي وعمتي شريفة

تغمدهم الله برحمته الواسعة

إلى كل من زرع فينا بذرة حب العلم والمعرفة

و زرعوا فينا بذرة الصبر عند الصعاب

والتشبّت بالأمل

خطة البحث

مقدمة

الفصل الأول: إشكالية الدراسة والخطوات المنهجية

الخطوات المنهجية المتبعة في الدراسة

(1) مشكلة البحث وأسئلته

(2) أهداف البحث

(3) أسباب اختيار الموضوع.

(4) أهمية البحث

(5) التعريفات الإجرائية

أ- تعريف المفاهيم المحورية المستخدمة في الدراسة

ب- المفاهيم ذات الصلة بالمفاهيم المحورية للدراسة

(6) الدراسات السابقة

(7) صعوبات الدراسة

(8) خطوات البحث

الفصل الثاني: الخيال و الصورة

المبحث الأول: الخيال.

مفهوم الخيال

الأثرولوجيا والخيال.

الخيال الديني

الخيال الاجتماعي

المبحث الثاني : الصورة.

مفهوم الصورة

الصورة الذهنية

الصورة النمطية

علاقة الصورة بالتعصب

الصورة والخيال.

الفصل الثالث: صورة الغرب نتاج لتمثلات الهوية الثقافية الجزائرية

المبحث الأول: الهوية الثقافية الجزائرية

الهوية الثقافية الجزائرية

محددات الهوية الجزائرية

1- الانتماء الجغرافي

2- الدين

3- اللغة العربية

4- التراث الثقافي والحضاري

5- التاريخ

المبحث الثاني: التطور الكرونولوجي لصورة الغرب في الخيال الجزائري

صورة الغرب في المخيال الجزائري في فترة ما قبل التاريخ
صورة الغرب في المخيال الجزائري في العصر الوسيط.

أ- الفترة الجزائرية الحمادية

ب- الفترة الجزائرية الموحدية.

صورة الغرب في المخيال الجزائري في العصر الحديث- نماذج من الثورات
الجزائرية-

1-المقاومة الشعبية

2-الثورة التحريرية

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع
الجزائري

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي للتغيرات السوسيو ثقافية

مفهوم التغير

مفهوم التغير الإجتماعي

مفهوم التغير الثقافي

التغير الإجتماعي والتغير الثقافي

المبحث الثاني: تمثلات الغرب على مستوى التغيرات الاجتماعية للمجتمع
الجزائري

التغير الإجتماعي والثقافي والمجتمع الجزائري

أ- على مستوى الأسرة

ب- على مستوى العادات

ت- على مستوى الموضة

الثقافة الغربية والقيم المحلية.

المبحث الثالث: الإعلام وأثره في بناء الصور الخيالية

مفهوم الإعلام

الإعلام الغربي الوافد وتهديد الهويات

الثقافة بين سياسة التمثيل والتسليم الغربي

تأثير الإعلام الغربي على الأسر

تأثير الإعلام الغربي على اللغة

تأثير الإعلام الغربي على القيم

الفصل الخامس: صورة الغرب والإنسان الغربي في الثقافة الشعبية

المبحث الأول: صورة الغرب في الأمثال الشعبية الجزائرية

المبحث الثاني: صورة الغرب في الشعر الشعبي الجزائري.

النتائج

الفصل السادس: "الغرب من خلال تصورات طلبة جامعة تلمسان

"دراسة الميدانية

المبحث الأول: حدود البحث الميداني

منهج البحث وإجراءاته وأدواته

مجتمع البحث

حدود الدراسة

المبحث الثاني: نتائج الدراسة الميدانية

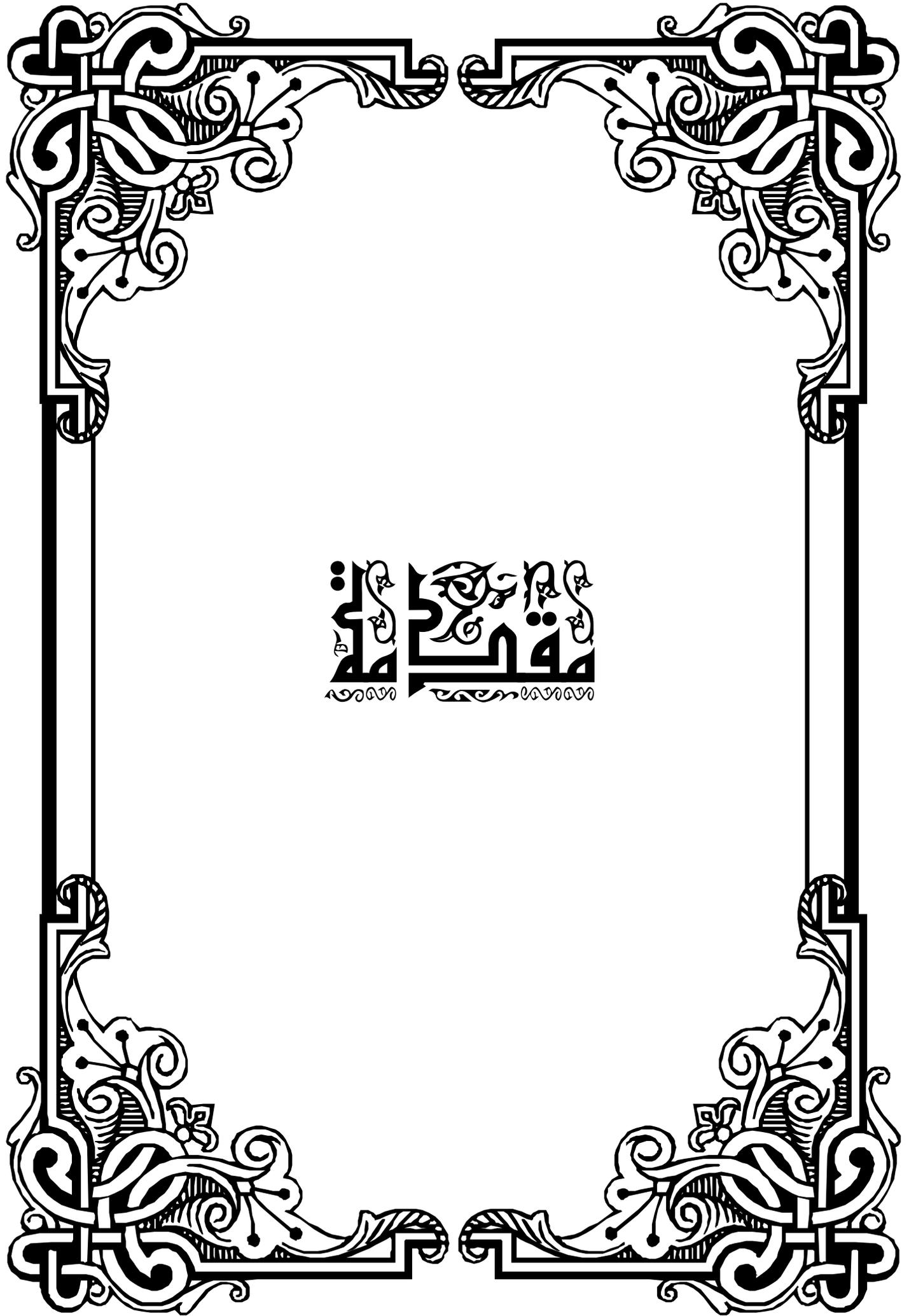
نتائج الدراسة الاستطلاعية

• تحليل المعطيات

النتائج

الخاتمة

قائمة المراجع



مكتبة
الملك
عبد العزيز
بن سعود
الملك
عبد العزيز
بن سعود

شق الإنسان طريقه في مختلف حقول المعرفة، وقطع فيها أشواطاً كانت وراء تراكم معرفي، سمح له الكشف عن الغير اليسير مما يحيط به، إلا أن نظرتة للعالم والأشياء حتى اليوم ظلت ناقصة لما تحمله من صور وتصورات وأوهام.

بمعنى أن نظرة الإنسان لا تحكمها المعرفة والأفكار العقلانية فقط إنما الأفكار العاطفية والأوهام والصور والتصورات المغلوطة والمشوهة المنبثقة عن الإدراكات الزائفة كذلك.

هذا ما يحول دون معرفة الآخر على حقيقته ويؤدي إلى الجهل به وظلمه، إما بإساءة الظن به وتبخيس حقه أو بتقديره فوق قدره ورفعته عن مكانته، كما تؤدي القراءة الخاطئة للآخر المبنية على التخيل وما فيه من الأوهام والأفكار المغلوطة إلى ظلم "الذات" وحرمانها إدراك ذاتها وواقعها مع غيرها. كون الذات فردية كانت أو جماعية لا تدرك ذاتها إلى عبر غيرها من "الذوات" التي تتفاعل معها على المستويين المادي والرمزي وتفاوضها معها كذلك باستمرار.

الكتاب الأول
الفصل

أجانب النظري

الفصل الأول

إشكالية الدراسة

وأخطوات المنهجية

(1) مشكلة البحث وأسئلته:

عرفت المجتمعات البشرية منذ القديم، تلاق واحتكاك فيما بينها وذلك راجع أساسا إلى ما تمليه الظروف و الحاجة البشرية والمتمثلة على وجه الخصوص في جانبها المادي... هذا الاحتكاك الذي نتج عنه التلاق الحضاري والثقافي بين الشعوب والأجناس، غير أن هذه العملية تتم بطرق مختلفة وفي ظل ظروف متباينة فقد تكون عن طريق تواصل اقتصادي بحت، كما تقوم عن طريق المجابهة (الحروب والقوة) أو عن طرق مغايرة تؤدي إلى الغاية نفسها، كالهجرة بأنواعها والانفتاح الإعلامي بالإقبال على استهلاك ما تقدمه الوسائط الإعلامية من منتج إعلامي متناسل، في ظل عالم معولم، على حد تعبير رجال الفكر وعلماء الاجتماع والاقتصاد على وجه الخصوص.

هذه التفاعلات، التي تكون وراء عملية إنتاج قدر معين من المعارف والأفكار والتصورات حول المجتمعات والأجناس المغايرة، مما يسمح لها بتشكيل صور معينة في الخيال الجمعي والتي تترجم تمثلاته لهذه الأجناس والشعوب أو تلك.

إن هذه التمثلات، لا يمكنها أن تتعالى كليا، كما ترسب لدى المجتمعات المنتجة لها، من "موروث ثقافي اجتماعي عقائدي ومعرفي في مشوارها التاريخي، بل تبقى تلك الصور المرترسة والأفكار المنتجة مرتبطة وإلى حد ما بذلك التباين وتلك الفروق الممكنة، إلى جانب الانطباعات الذاتية تجاه ما يغيرها من أجناس وأقوام...

إن عملية بناء الصور الخيالية و تقديم بعض الأحكام، تستمد من جهاز غير مضبوط، مثل الذي بحوزة آلة التصوير مثلا، وإن كانت هذه الأخيرة لا تجسد

الحقيقة، بل تنبع من جهاز مركب يقحم في إنتاجها (الصور والأحكام) كل الترسيبات الكامنة في أعماق الذاكرة من الخبرات والمعارف والأفكار المسبقة.

وعليه إذا اطلعنا على التاريخ الاجتماعي والثقافي والسياسي للمجتمع الجزائري، فإننا نجده يجسد فحوى هذه الأفكار، كون " الجزائر " عرفت عبر تاريخها الطويل تواصلًا مع الأجناس والشعوب ذات الانتماءات الثقافية والحضارية المختلفة، وذلك نتيجة موقعها الجيو- إستراتيجي الهام، المتمثل في انتمائها للضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط الذي يعتبر النقطة المشتركة لمعظم الحضارات القديمة...

لقد تعرفت الجزائر وبأساليب مختلفة على عدّة أجناس، مثل الفينيقيين والرومان والبيزنطيين (الغرب) والعرب والأتراك واليهود والفرنسيين وباقي دول العالم الغربي المعاصر... وتفاعلت معها حسب ما تمليه الظروف والمصلحة والإمكانيات المتاحة والقناعات المتصلة والمتولدة عن العقل الجمعي للمجتمع الجزائري.

إذا كان هذا جزء مما نستخلصه في موجز عن كينونة ووجود هذا الكيان "الجزائري" عبر تاريخه الطويل وعلاقاته بباقي الأجناس والشعوب، فهذا معناه أنه تكونت لديه "صورًا مخيالية" عن عالمه الخارجي على العموم. والغرب على وجه الخصوص، كون هذا الأخير (الغرب)، ظل يمثل له الخطر و التحدي من جهة والمغاير الذي تجمع معه المصالح المشتركة من جهة ثانية...

كون " الغرب " يمثل أحد الأطراف والأصقاع، بحكم تلك العلاقات المختلفة التي سادت الطرفين عبر التاريخ القديم والوسيط والحديث والتي لزالمتواصلًا حاضرا

وتتواصل مستقبلا، فما من شك أن الجزائري حمل ويحمل صورا مخيالية عن العالم الغربي. هذا هو الموضوع في إطاره العام الذي نود الخوض فيه.

تتوقع هذه الدراسة « صورة الغرب في الخيال الثقافي الاجتماعي الجزائري » ضمن موضوع عام وفي ثنائية (الذات والآخر)، وبعبارة أخرى، نسعى في هذا البحث إلى فهم كيفية تصور الآخر «الغرب» في الوجدان و الخيال الفرد الجزائري.

نحاول أن نبحث عن الذات (الذات الجماعية) ومعرفتها من خلال ما مدى معرفتنا عن الآخر "الغرب" متخذين منه "الغرب" تلك المرأة التي تنعكس هل هي أحكام حقيقية أو بالأحرى هل هي أحكام موضوعية؟ تعكس حقيقة الغرب كما نحاول وفي نفس الوقت الوقوف كذلك على تلك الصور النمطية التي نعممها على الغرب كله، هل هي صورة تجسد الغرب على حقيقته؟ وبالتالي تكون نابعة من المعرفة الحقيقية لهذا الغرب أم هي مجرد صدى لمخيلنا الثقافي .

استنادا لما سبق، نخلص إلى فكرة، مفادها أن الخيال الجمعي (الجماعي) الجزائري يحمل تصورا للعالم الغربي، كونه يمثل جزءا من عالمه الخارجي، وإذا كان الأمر كذلك ، ما هي صورة أو جملة التصورات التي يحملها طلبة جامعة تلمسان عن الغرب والإنسان الغربي ؟

✓ هل صورة الغرب لدى الطالب الجامعي الجزائري، هي صورة مطابقة لما أنتجه الخيال الجمعي الجزائري عبر تاريخه الاجتماعي الطويل (صور ثابتة)، أم هي نتاج تلك التغيرات التي مست الجسد الثقافي الاجتماعي للمجتمع الجزائري ما بعد الاستقلال؟ وإذا كان الأمر كذلك فما هي مرتكزات تمثلات الطالب الجامعي التمساني للغرب؟

✓ للإجابة عن هذه الأسئلة تبينت الفرضيتين الآتيتين:

● الفرضيات:

1- تعود تصورات الغرب في الخيال الثقافي الاجتماعي للطلبة جامعة تلمسان إلى ثوابت هويتهم الوطنية.

2- تعود تصورات الغرب في الخيال الثقافي الاجتماعي للطلبة جامعة تلمسان إلى جملة التغيرات الثقافية الإجتماعية التي يعرفها المجتمع الجزائري في الوقت الراهن.

عن هاتين الفرضيتين نطرح التساؤلات الفرعية التالية:

✓ ماهي مرتكزات أخيلة طلبة جامعة تلمسان في تشكيل صورهم وتصورات الخيلية للغرب؟

✓ ما مضامين الصور الخيلية والتصورات التي يجملها طلبة جامعة تلمسان للغرب؟

✓ ما علاقة الغرب بالتغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري؟

✓ إلى أي حد ساهمت التغيرات السوسيوثقافية ذات المرجعية الغربية للمجتمع الجزائري في بناء صورة الغرب الخيلية لدى طلبة جامعة تلمسان؟.

(2) أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

محاولة الوقوف على تصورات الطلبة للغرب وتمثلاتهم له، وتحديد مرتكزاتها مع مقاربتها بواقعنا الاجتماعي الثقافي مما يساعدنا على فهمه فهما عقلانيا وبالتالي ينير لنا كيفية التعامل مع الغرب تعاملًا متناغمًا مع مجرى هذا الواقع.

ونشير في هذا السياق إلى التساؤل الرئيسي- الذي ظل يمثل النقطة الأساسية في مشروع محمد عابد الجابري " نقد العقل العربي " المتمثل في السؤال التالي: هل يمكن

بناء نهضة بدون عقل ناهض، عقل لم يتم بمراجعة شاملة لآلياته ومفاهيمه وتصوراتهِ وآراءه؟⁽¹⁾.

(3) أسباب ودوافع اختيار الموضوع:

من الدوافع والأسباب الموضوعية التي كانت وراء تبنينا لهذا الموضوع، نشير إلى تعدد الدراسات والبحوث ذات العلاقة بالموضوع وخاصة تلك التي تناولت صورة بعض الدول القومية العربية والإسلامية على انفراد أو مجتمعة لدى بعض الدول الغربية أو لدى الغرب بشكل عام.

سواء كانت هذه الصورة في الإنتاج الأدبي "الرواية، الدراما المسرحية".... أو في وسائل الإعلام: (صحف، منشورات، كتب، مجلات، أفلام، سينما،....) والتي رافقتها نقص جلي لتناول الصورة بطريقة عكسية "صورة الغرب" أو دول الغربية على انفراد لدى الدول العربية والإسلامية عامة و الجزائر على وجه الخصوص، وهذا ما وقفنا عليه من صعوبات أثناء جمع المادة العلمية (الدراسات السابقة) المتعلقة بالجانب النظري.

كثرة الأحداث وتنوعها في الفترة الراهنة ذات العلاقة بالموضوع، في كلا الطرفين "العالم الغربي" والعالم العربي الإسلامي" (وما انجز عنها من ردود أفعال).

¹ - محمد نور الدين أفاية، مقال: ما بين العقل والتعقل والنقد أو رهان المتخيل عند الجابري.

4) أهمية البحث:

يستمد هذا البحث أهميته، من الأهمية التي تليها العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية لموضوع الخيال الثقافي الاجتماعي وذلك لطريقة اشتغاله من جهة وما ينتجه من الصور والتصورات المساهمة في توجيه الفعل الاجتماعي "سلوك، أفكار، مواقف"، سواء كان ذلك اتجاه "الذات" أو اتجاه عالمها الخارجي وما به من "الذوات".

تعد دراسة موضوع "صورة الغرب في الخيال الثقافي الجزائري"، من المواضيع ذات الأهمية البالغة لما له من راهنية على الساحة الدولية والبحث العلمي وتزداد أهميته بارتباطه بشريحة إجتماعية ممثلة في الطلبة الجامعيين الذين يمثلون جزء من فئة الشباب ذات ميزات وخصوصيات من جهة.

5) التعريفات الإجرائية

أ- تعريف المفاهيم المحورية المستخدمة في الدراسة:

يقصد بالمفهوم رأي أو فكرة حول شيء معين أو اسما يطلق على شيء، واصطلاح المفهوم في علم الاجتماع هو اصطلاح تجريبي قابل للتبدل والتحوّل تبعاً لتغير العصر وتبدل ظروفه الموضوعية⁽¹⁾.

كما تعتبر عملية ضبط المصطلحات الموظفة في أيّ بحث علمي من الخطوات الأساسية والضرورية كون بعضها يحمل أكثر من دلالة ومعنى، مما يؤثر على المعنى

¹ - شفيق محمد، البحث العلمي الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الإجتماعية، القاهرة، المكتب الجامعي الحديث، 1985، ص13.

الإجرائي للدراسة من جهة ويفتح باب التأويل للقارئ ، كما قد يؤدي به إلى القراءة الخاطئة والفهم الغير المقصود... وعليه توجب علينا تحديد المفاهيم والمصطلحات التي بني عليها موضوع دراستنا وبعض المصطلحات الفرعية ذات الصلة والتي تتداخل والمفاهيم الرئيسية وهي على النحو الآتي:

تعريف الصورة

يحظى مفهوم الصورة بحضور واسع في عدة حقول معرفية (الأثروبولوجيا، علم الاجتماع، علم النفس، علم الاتصال والإعلام، السياسة...) ما جعل منه مفهوما متعدد الخطابات بتعدد الحقول الموظفة له، كما أن لهذا المفهوم، ارتباط بمفاهيم أخرى قريبة منه من حيث المعنى وأخرى من حيث التوظيف، كالصورة النمطية، والتصورات، والأفكار المسبقة، الأحكام المسبقة... والتي كثيرا ما توظف بنفس المعنى، رغم الفروق والفواصل لكل منها :

يعرف معجم ويستر (image) الصورة بأنها " تصور عقلي شائع بين أفراد جماعة معينة ويشير بهذا إلى اتجاه هذه الجماعة نحو شخص معين أو شيء بعينه"⁽¹⁾.

كما يعرفها " هولستي Holsti" أنها مجموعة الفرد ومعتقداته في الماضي والحاضر والمستقبل التي يحتفظ بها الفرد وفقا لنظام معين، عن ذاته وعن العالم الذي يعيش فيه.

¹ - Websters, new Collegia Dictionary, Soring Op.

ويعرفها ابن منظور كما يلي: "الصورة من صار، يصور، صوراً، فقال: " صور في أسماء الله تعالى المصور وهو الذي أعطى كل شيء خاصة، وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها" (1).

ورد مصطلح صورة في عدة آيات قرآنية، يقول الله تعالى: " ولقد خلقناكم ثم صورناكم..." (2)، وقوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ رَبِّكَ الْكَرِيمُ *الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَّلَكَ * فِي صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ" (3).

والآيات تحيل إلى غرور المخلوق تجاه خالقه الواجب عبادته دون غيره والخضوع لمشيئته، كما تحيل إلى عملية الخلق التي ارتبطت بالمظاهر "التسوية" و"التعديل" و"التركيب" للوصول لاكتمال صورة المخلوق، هذه المراحل التي تجعل العباد يجتهدون في التمعن باستعمال ملكة العقل. قال تعالى: "هُوَ الَّذِي صَوَّرَكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَإِلَهِ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (4). فصورة الإنسان إذن مركبة طبقاً لمشيئة الله، والصورة الخيالية التي ينتجها الخيال البشري هي الأخرى مركبة مما ترسب لديه من أفكار ومعارف حول الموضوع المتصور.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر، عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د ط ، 2003، ج4، مادة ص.

² - سورة الأعراف، الآية 11.

³ - سورة الأنفال، الآيات 06، 07، 08

⁴ - صورة آل عمران الآية 06.

كما ورد في الحديث الشريف " إنَّ الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم أحيوا ما خلقتم" ⁽¹⁾، فيتضح أنَّ الصورة/ الصور، بمجرد إدراكها الخارجي تدفع بالناظر إلى ترجمتها بقراءة دلالتها الرمزية لما تمثله من إحيالات والعملية هذه تستدعي الرجوع للمخيلة وتعبير آخر أن الصورة تكون مقرونة دائماً بالمعنى المحسوس وآخر المجرد وفي آن واحد ⁽²⁾.

وكثيراً ما يتم الخلط والتوظيف الموحد بين الصورة الذهنية والصورة النمطية في الأدبيات الإعلامية والإجتماعية العربية متجاوزين الفروق الفاصلة بينهما.

تعريف الصورة النمطية:

يعرفها بعض الباحثون بأنها " رأي ثابت ذو طبيعة تقييمية وتعميمية، يشير إلى فئة من الناس (سكان محليين أو عنصر أو جماعة معينة... الخ) الذين يجدهم متشابهين ضمن اعتبار معين" ⁽³⁾.

يعرف الباحث غردون اليوت الصورة النمطية بأنها " اعتقاد مبالغ فيه يرتبط بفئة وظيفته تبرير السلوك إزاء تلك الفئة" ⁽⁴⁾. وتعرّف بأنها " حكم قيمة - سلبي أو إيجابي - بالغ

¹ - أورده البخاري في باب التصاوير، را: الصحيح، مجلد 04، جزء السابع، دار الفكر بيروت، د ت، ص 65.

² - ابن منظور، لسان العرب، ج 4، دار المعارف، القاهرة (د. ت) ص 2523.

³ - H.C.J Duijker and N.H. Fridje, National Character and National Stereotype. mesterdam: North - Holland Publishing Co., 1961,p.115.

⁴ - Gordon W.Allport, The Nature of Prejudoce, New York: Doubleday, 1954,p.141

البساطة والتعميم يقترن بفئة من الناس (قومية ، ديانة ، جنس ، جماعة معينة .. الخ) متجاهلاً الفروق الفردية بين أعضاء تلك الفئة ويصعب تغييره في معظم الأحيان ⁽¹⁾ .

الصورة النمطية هي تلك الصورة التي تتطبع في الأذهان عن أشخاص ، أو شعور حاملة معها سمات موضوعة في قالب ذهني يجد من التفكير في تصور هؤلاء الأشخاص أو الشعب بصورة مخالفة للذهن ⁽²⁾ .

انطلاقاً من هذه التعاريف يمكن أن نقول بأن الصورة النمطية "هي القوائم أو النماذج الجاهزة التي يكونها فرد أو جماعة أو شعب عن فرد أو شعب أو جماعة أخرى بفعل عمليات تاريخية تراكمية تلعب وسائل الإعلام دور كبير فيها اليوم ومن خلال هذه الصور النمطية يمكن أن نعرف تصور الشعوب عن بعضها البعض والمواقف المتخذة طبقاً لهذه النماذج الجاهزة".

تعريف الصورة الذهنية :

لقد نال مصطلح الصورة الذهنية اهتماماً لدى الباحثين بشكل عام ، كون الصورة أصبحت أحد العوامل التي يفسر بها الاتجاه الإنساني من اتجاهات ومواقف ... فالإنسان يؤسس صورته الذهنية عن الأشياء والأشخاص عن طريق التجارب المباشرة والتجارب الغير المباشرة ، وترتبط هذه التجارب بعواطف الأفراد واتجاهاتهم. وقد أشارت

¹ - السيد ياسين ، الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر ، بيروت ، دار التنوير ، 1981م ، ص 41 .
² - صالح أبو أصح ، تحديات الإعلام العربي دراسات الإعلام ، المصداقية ، الجدية ، والمهينة الثقافية ، عمان ، دار الشروق والتوزيع ، 1999 ، ص 76 .

العديد من الدراسات النفسية والنفسية الاجتماعية والأثروبولوجية. إلى أن السلوك الإنساني وتصرفاته مرهون دائماً بهذه الصور العقلية المخترنة في الإطار المرجعي عن مختلف الأشياء والأحداث، وتحصل الاستجابة لرسالة من الرسائل نتيجة للتفاعل الذي يحدث بين رموز تلك الرسالة وبين الصورة العقلية المتكونة لها عن الخبرات السابقة⁽¹⁾. «الصورة الذهنية image هي مفهوم عقلي شائع بين مجموعة معينة يشير إلى اتجاه الجماعة الأساسي نحو شخص معين أو نظام ما أو طبقة بعينها أو جنس بعينه أو فلسفة سياسية أو قومية معينة أو شيء آخر»⁽²⁾

كما يعني " التصور الذهني " المفهوم الذي ارتسم في الذهن بعد تجريد الحقائق الخارجية، أما منطقياً فهو المعنى العام المجرد⁽³⁾.

" حدد المنطقيون العرب الصورة الذهنية بقولهم: المعاني هي الصور الذهنية من حيث أنه وضع بإزاءها الألفاظ، والصور الحاصلة في العقل فمن حيث أنها تقصد باللفظ سميت معنى ومن حيث أنه مقول في جواب ما هو؟ سميت ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج سميت حقيقة ومن حيث امتيازه عن الأغيار سميت هوية"⁽⁴⁾.

كما يرى الدكتور " علي عجمو ":

¹ - عصام سليمانيب الموسى، المدخل في الاتصال الجماهيري، مكتبة الكنافي للنشر والتوزيع، ط4، 1997، ص64.

² - المعجم الإسلامي. محمد منير حجاب، دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة، ص115.

³ - جلال الدين سعيد، معجم الشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، 1994 ص107

⁴ - علي بن محمد الجرجاني: كتاب التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ ص218.

«إن الصورة الذهنية هي النتاج النهائي للانطباعات الذاتية التي تتولد عند الأفراد أو الجماعات إزاء شخص معين أو نظام ما، أو شعب ما أو جنس بعينه أو منشأة أو مؤسسة أو منظمة محلية أو دولية أو مهنية معينة. أو أي شخص آخر يمكن أن يكون له تأثير على حياة الإنسان. وتتكون هذه الانطباعات بفعل تجارب مباشرة أو غير مباشرة مرتبطة بعواطف الأفراد أو عقائدهم أو اتجاهاتهم وبغض النظر عن دقة المعلومات وأمانتها، فإن الصورة تمثل لأصحابها واقعا صادقا ينظرون من خلاله إلى محيطهم فيقدرونه ويفهمونه على أساسها»⁽¹⁾.

الصورة الذهنية تتكون من تفاعل معرفة الإنسان بعدة عوامل منها المكان الذي يجي فيه الفرد وموقعه من العالم الخارجي، العلاقات الشخصية وروابط الأسرة والجيران والأصدقاء المحيطين به والزمان والمعلومات التاريخية والاجتماعية التي يحصل عليها⁽²⁾.

وعليه يمكن القول أن الصورة الذهنية تملك في أحيان كثيرة القدرة على إحلال نفسها محل الواقع طالما أن هناك فارقا بين الصورة المنبعثة عن الإدراك والتمثيل وبين الواقع الفعلي للمغايير والمجتمعات المغايرة، كون هذه الصورة ناتجة أساسا عن التمثيل الجماعية التي أنتجتها ثقافيا.

ومما سبق يتسنى لنا القول أن الصورة الذهنية أوسع واشمل من النمطية وهي بمثابة الكل إزاء الجزء إنها الحالة أو المرحلة التي تسبق الصورة النمطية اعتمادا على ما إذا كانت ذات بناء مغلق أم مفتوح.

¹ - علي عجمو، العلاقات العامة والصورة الذهنية، علم الكتب، القاهرة، 1983م، ص10.

² - عاطف عدلي العيد، صورة المعلم في وسائل الإعلام، الطبعة 01، القاهرة، دار الفكر العربي، 1997، ص20.

تعريف الثقافة:

عرفت الثقافة في المؤتمر الدولي الذي انعقد " باستوكهولم " سنة 1998 تحت عنوان " المؤتمر الدولي الثاني للسياسات الثقافية " أنها: " بمعناها الواسع، قد تكون اليوم عبارة عن جماع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات... " ⁽¹⁾، وقد عرفها " هوفستيد " على أنها الخصائص والقيم المشتركة التي تميز مجموعة من الأفراد عن المجموعات الأخرى ⁽²⁾.

ويتضح من خلال هذين التعريفين أن الثقافة نتاج الجماعة البشرية (جماعة، أمة..) ووليدة تجربتها وسيورتها التاريخية الخاصة بها، التي تجعلها متميزة عن ثقافات المجتمعات المغايرة. وفي هذا الصدد يقول " كوفالرون " : تشمل الثقافة القيم المادية واللامادية التي يخلقها الإنسان في سياق تطوره الاجتماعي وتجربته التاريخية، وهي تعبر عن مستوى التقدم التكنولوجي والإنتاج الفكري والمادي والتعليم والعلم والأدب والفن الذي وصل إليه المجتمع في مرحلة من مراحل نموه الاجتماعي والاقتصادي، وبجملة موجزة هي

¹ - المجلة العربية للثقافة: إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، السنة 19، عدد 39 جادى الثانية 1421، سبتمبر 2000 ص7.

² - مصطفى عشوي، الثقافة والقيم الأخلاقية، مقال: مجلة الطفولة العربية، العدد العاشر الكويت، مارس 2002 ص...

إنجازات الإنسان التي يعبر بها من خلال حياته وطرائقه في التفكير والسلوك والعمل والتي تأتي نتاجا لتفاعله مع الطبيعة ومع غيره من البشر" (1).

كما يعرفها مالك بن نبي: " والثقافة لا يسوغ أن تعتبر علما يتعلمه الإنسان، بل هي محيط يحيط به وإطار يتحرك داخله، يغذي الحضارة في أحشائه، فهي الوسط الذي يتكون فيه جميع خصائص المجتمع المتحضر وتشكل فيه كل جزئياته تبعا للغاية العليا التي رسمها المجتمع لنفسه" (2).

ومن التعاريف الأكثر رواجاً وتداولاً في فضاء الفكر المعاصر ما أشار إليه الباحث عبد الرزاق الداوي بقوله: " نعني بالثقافة وسيلة لاكتساب صفة الانتماء الفعلي إلى كيان إجتماعي محدد ومتميز، وأداة للحفاظ ولنقل تراث وتقاليد هذا المجتمع إلى الأجيال اللاحقة . تسهم بفهم الثقافة على أنها إحدى المكونات والعناصر الهامة لتحديد الهوية الاجتماعية للشخص.... إنها كيفية النظر إلى الوجود والحياة، وأسلوب العيش والإحساس والإدراك والسلوك والتعبير والإبداع، يتميز به مجتمع بشري معين، في يملكه من أصالة عريقة ومتجددة في تاريخه. إنها "الثقافة" نابعة من ظروفه واحتياجاته وبيئته الجغرافية، ومن تطور بلاده التاريخي والحضاري من لغته وآدابه وسائر تفاصيل حياته.

¹ - عثمان فراج، الثقافة وعملية التنشئة الاجتماعية في الوطن العربي، أعمال الملتقى الدولي حول الثقافة والتسيير بالجزائر 28-30 نوفمبر 1992، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ص32.

² - مالك بن نبي، آفاق جزائرية للحضارة، بالثقافة للمفهومية، ترجمة الطيب الشريف، مكتبة النهضة الجزائرية، د.ت ص 129.

ففي مرآتها يتعرّف الإنسان على نفسه ومن خلالها يتعرّف عليه من مناظير ثقافات أخرى⁽¹⁾.

في تعريف تايلور للثقافة " أنها مجموعة الآراء والمعتقدات والمعارف والقيم والأخلاق والعادات التي يكتسبها الفرد من جراء إنتمائه لمجتمع معين، وهي تهذيب وتنقيف للطبيعة البشرية وعامل دمج ولحمة اجتماعية وهي الأساس لخلق هوية قومية، وبقدر ما تدمج جماعة معينة، تخلق تمايزهم عن جماعات أخرى يعيشون في إطار اجتماعي آخر، فالإطار الاجتماعي المختلف يفرز ثقافة مختلفة، لذلك فإن لكل شعب خصوصية ثقافية ترجع إلى المحيط الجغرافي والاجتماعي وإلى التاريخ الخاص بتلك الثقافة والذي يحمل معه تصورات وآراء وعقائد وطرائق في التفكير تتراكم عبر الزمن وتعطي للجماعة خصوصياتها الفكرية والاجتماعية، لكن هذا التمايز لكل منظومة ثقافية لا يعني استقلالها كلياً، فهي تخضع لتطور الثقافات المجاورة مما يفقدها استقلالها الكامل، وكل ثقافة هي محاولة للتوفيق بين الاتصال التاريخي للأمم والاتصال الجغرافي للأمم الأخرى"⁽²⁾.

ومن خلال هذه التعاريف كلها التي تخص الثقافة، يمكننا أن نقتصر- على تعريف جامع للثقافة. مثل ذلك الذي قدمه تايلور، في قوله: " إن الثقافة بمعناها الأثروبولوجي هي أسلوب وطريقة الحياة التي يعيشها أي مجتمع بما تعنيه من تقاليد وعادات وأعراف

¹ - عبد الرزاق الداوي، "الهوية الثقافية: جدلية الثقافة والمثاقفة"، مجلّة المناهل، ملف إشكالية الهوية، عدد 71-72، وزارة الثقافة المغربية، الرباط، شتمبر 2004، ص 84.

² - برهان غليون، مجتمع النخبة، بيروت، معهد الإنماء العربي 1986، ص ص 86-87.

وتاريخ وعقائد وقيم واهتمامات واتجاهات عقلية وعاطفية وتعاطف أو تنافر ومواقف من الماضي والحاضر ورؤى للمستقبل، إنها طريقة تفكير وأنماط وسلوك ونظم ومؤسسات اجتماعية وسياسية وما يعيشه المجتمع من انفتاح أو انغلاق"⁽¹⁾.

فمن خلال هذا التعريف المطول والذي يعد في نظرنا جامع بين التعاريف المرتبطة بالثقافة، يتضح لنا على أنه يتضمن دلالة واضحة على أن الثقافة لها ارتباط قوي بقضية الوعي والفهم والرؤى المستقبلية والبصيرة في حياة الإنسان، وحيث أن الثقافة مكتسبة وغير مسجلة في الميراث البيولوجي للإنسان، فإن كل شيء فيها قابل للتغيير. لكن المهم أن يوازن هذا التغيير بين الإنساني والمادي، بين الداخلي والخارجي. فالتغيير الذي ترسمه قوى خارجية يهدف إلى إخضاع المجتمع لمصالح تلك القوى. وإذا كان تفوق الثقافة يعني الجمود والترهل فإن إنفتاحها يعني الذوبان في ثقافة الآخرين أو التدمير النهائي وذلك عكس الإنفتاح المترن الذي يؤدي إلى الإغناء الحضاري.

فكلّ التعاريف السابقة الذكر تحيلنا ضمناً إلى العلاقة الموجودة بين كل من الثقافة والصور الخيالية، إذ لا وجود لهذه الأخيرة دون عودة مخيلة المنتج لها إلى فضاءه الثقافي الاجتماعي.

مفهوم الهوية الثقافية:

بعد إمامنا ببعض التعاريف حول مفهوم الثقافة لا بد لنا أن نفتح المجال للتعريف بمفهوم الهوية، هذا المفهوم الذي ذاع صيته في الآونة الأخيرة في خضم جملة من المفاهيم

¹ - إبراهيم البليبي، الشباب والتغير الثقافي، مجلة السعودية سنة 2007، ص 87.

المعاصرة، حيث طفا على السطح وأصبح من الصعوبة تحديد مفهوم واضح لمفهوم الهوية، و مرد هذا الاستعصاء في الوضوح هو نجاح مفهوم الهوية في الانتشار السريع و الملفت للانتباه، ولعل المفهوم اللغوي للهوية يرجع إلى الجذر الاشتقاقي لكلمة هوية من الضمير "هو" فقد تم كإسم معرف.

الهوية في مفهومها الاصطلاحي، "هي مجموعة المميزات الجسمية والنفسية والمعنوية و القضائية والاجتماعية و الثقافية التي يستطيع الفرد من خلالها أن يعرف نفسه و أن يقدم نفسه و أن يتعرف الناس عليه، أو التي من خلالها يشعر الفرد بأنه موجود كأنسان له جملة من الأدوار و الوظائف و التي من خلالها يشعر بأنه مقبول و معترف به كما هو من طرف الآخرين أو من طرف جماعته أو الثقافة التي ينتمي إليها⁽¹⁾.

أما مفهوم الهوية فنجدته متعلقاً بمفهوم الثقافة " فهو مفهوم ثقافي تاريخي يتكون لدى الفرد من خلال الثقافة التي يجيها، فدور الثقافة بكل ما تحمله من معاني هو تكريس هوية ثقافية من خلال عملية تمثيل عاطفي و اجتماعي مع عملية اندماج تاريخية و ثقافية و نفسية و اقتصادية تستغرق زمنا طويلا مما يؤكد أهمية التاريخ في خلق الهوية الثقافية، بصفته الرحم الذي تنمو و تترعرع فيه لتتشكل في نهاية المطاف هوية ثقافية معينة نتيجة انتمائها لأمة معينة يقول الدكتور "منير الرزاز" التراكم التاريخي ضروري لصنع الهوية الثقافية لأنها في النهاية هي المستوى الناضج الذي بلغته المجموعات البشرية نتيجة تفاعل

¹ - محمد مسلم، المرجع السابق، ص 89.

قرون طويلة بين أفرادها و بين الظروف الطبيعية التاريخية التي مرت بها و التي نسجت فيها بينها روابط مادية و روحية مشتركة أهمها وأعلىها رابطة الدين و اللغة.

وبهذا فمفهوم الهوية و الثقافة و إن كان الاختلاف اللغوي بينهما واضحا فإننا قد لا نجد تعريفا اصطلاحيا يفرقهما، فالهوية أو الثقافة و حسب ما أثبتته الدراسات السوسولوجية و الأتولوجية أن " الهوية هي الإحساس بالانتماء إلى جماعة أو أمة لها من الخصائص و المميزات الاجتماعية و الثقافية و النفسية و التاريخية التي تعبر عن نسيج أو كيان ينصهر و يندمج في بوتقته جماعة بأكملها و بذلك يصبحون منسجمين و متفاعلين تحت وطأة الخصائص و المميزات ⁽¹⁾ .

وعليه نخلص إلى أن الهوية الثقافية هي مجموع السمات الاجتماعية والثقافية والحضارية المميزة لجماعة بشرية معينة. ومعنى آخر فالهوية ترتبط بعدة مستويات وتشمل عدة مكونات مرتبطة بالنشاط البشري ويندرج عبر عدة مستويات هوية اجتماعية، هوية ثقافية، هوية دينية،....

تعريف الخيال:

إن الاهتمام بالمتخيل والكشف عن مضامينه وطريقة تشكيله وكيفية اشتغاله له أهمية بالغة في الوعي الثقافي وذلك لما له من دور في تشكيل الصور الخيالية والأحكام والمواقف المتحكمة بطريقة تفكيرنا وإنتاج نظرتنا لعالمنا الخارجي التي تعد جزءا من

¹ - تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقى، بيروت، لبنان، الطبعة 3، 2007، ص 89.

ثقافتنا... لأن الناس كثيرا ما يخضعون للصور المشككة مخياليا أكثر من خضوعهم للإستدلال والمنطق والواقع المادي.

ففي اللغة العربية ورد على لسان العرب: " تخيله: ظنه وتفرسه. وخيل عليه: شبه، وأخال الشيء أشبهه هذا الأمر، لا يخيل على أحد: أي لا يشكك، وفلان يمضي- على الخيل على ما خيلت أي شبهت الخيلة: موضع الخيل وهو الظن: كالمظنة: وهي السحابة الخليفة بالمطر، خَيْل: خَالَ الشيء يُخَالُ خَيْلًا، وَخَيْلَهُ، وَيُكْسِرُ لَن، وَخَالَ وَخَيْلَانًا، وَمُخَيْلَةً وَمَخَالَةً وَخَيْلُولَةً: ظَنَّهُ ... وفي التهذيب خِلْتُهُ زَيْدًا (تخيلته زيدا والتي هي أقرب معنا من ظننته زيدا)، وتخيّل الشيء له إذا تشبّه. وقال الراغب: التخيل: تصوّر خيال الشيء في النفس... وقال الراغب: أصل الخيال القوة المجردة كالصورة المتصورة في المنام والمرآة"⁽¹⁾.

فخيل إليه أنه كذا، من التخيل والوهم والظن، يقول الله تعالى " يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مَنْ سِخَّرَهُمْ أَنهَا تَسْعَى"⁽²⁾، في الآية معنا ضمينا يقربنا من الفهم على أن التخيل أقرب من الوهم والظن، هذه المصطلحات التي تبقى تجسد الفارق بين الحقيقة ونيقضاها، تخيل أن الحية " الأفعى " تسعى والحقيقة ما كانت تسعى، إنما سحر السحرة هو الذي ظل نظره وبالتالي غيب الحقيقة عليه.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، المجلد السادس. ك- ل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1عام 2005، ص ص 387- 388.

² - سورة طه، الآية 66.

أما في اللغة الفرنسية: " تعني كلمة مخيلة في اللغة الفرنسية، الإنتاج الذهني للتمثيلات المحسوسة التي تختلف عن الإدراك الحسي- للحقائق المتعينة من جهة وعن مفهمة الأفكار الموجودة من جهة أخرى" (1).

وعليه فإن الجذر اللغوي للمخيل هو "خيل" أي الاشتباه والظن، وهي قريبة من الكلمة الفرنسية imaginaire المشتقة من الأصل اللاتيني imaginarius والتي تعني خيالي، أو خاطئ .

يقول مصطفى النحال: " تستعمل كلمة متخيل في اللغة العربية بدلالات متعددة منها:

✓ كصفة وتعني ما لا يوجد إلا في المخيلة، والذي ليس له حقيقته واقعية.

✓ كاسم مفعول، للدلالة على ما تم تخيله.

✓ كإسم، وتعني الشيء الذي تنتجه المخيلة، كما تعني ميدان الخيال" (2).

ما يدفعنا للقول أن الصور الخيالية عن " العالم الغربي " وعالمنا الخارجي عموماً، لا تجسد حقيقة هذا العالم في واقعه الحسي- وإن كانت جزءاً من الحقيقة وذلك لارتكازها على عناصر متعددة (الماضي، الموروث، الذاكرة، التخمين...)، في غياب الموضوع ومثوله لحظة إنتاج الصور.

فمن خلال التعاريف السابقة يمكن القول: " أن الخيال عبارة عن صورة أو مجموعة من الصور الغير محسوسة التي ترسم لدى النفس البشرية، وفي غياب الشروط

¹ - Jeans- Jacques Wenetr Burger, L'unagination, Puf, Que Sais- Je? Paris, 1991 P:3.

² - مصطفى النحال، من الخيال إلى المتخيل، سراب المفهوم، WWW.FKR WANAKD DIJA.+NE

العلمية التي تؤدي إلى الدقة والصحة في النتيجة، وبمعنى أعم أن المتخيل هو ما يقع خارج الواقع الحسي.

تعريف الغرب:

إن مصطلح " الغرب " في الإنتاج الفكري ظل لسبق نظيره " الشرق " لفترة ليست بالقصيرة، ويتلون أحدهما بتلون الآخر، استنادا إلى مرتكزات عدة منها التاريخية والجغرافية والسياسية والإقتصادية والإديولوجية... والفلسفية مما جعل تحديدهما تطرح إشكالا لدى المختصين .

فن التعاريف التي قدمت للغرب، ذات المصدر العربي، تلك التي عثرنا عليها في مخطوط " طلوع سعد السعود " لصاحبه الآغا بن عودة المزارى، الذي قام بتحقيق " المرحوم الدكتور يحي بوعزيز، ومما جاء فيه أن هناك تباين وتعدد في وجهات النظر إلى نسب الأجناس الغربية، إلا أنها تتفق على أنها تعود في آخر المطاف إلى نسب يافت بن نوح عليه السلام.

فيشير إلى ذلك صاحب المخطوط في حديثه على الإفرنج، وقال الحافظ المحقق أبو راس الراشدي في زهرة التاريخ بأحكام، أنهم من ولد كومر بن يافت بن نوح عليه السلام، ثم اختلفوا في هذا القول على قولين، بغير حدس ومين.

فقال "أبو السويدي" في سبائك الذهب أنهم من أريغ أو أريغات بن كومر بن يافت بن نوح وحكاه بصيغة قيل في التاريخ (صيغة المبني للمجهول، عدم اليقين

والتأكد)، وبه قال الجافظ أبو راس في أحد قولييه في كتاب الشمايخ، وقال فيه في القول الآخر: أنهم من ولد عصرة بن كומר بن يافت بن نوح، فهم إخوة الصقابة وغيرهم..... وهم من الأمم المنتصرة التي يقال لها نصارى كالإسبانيين والروم والأرمن والقزح بالبيان والجركس والروس والبلغار والألمان والرجان والباشقر والجلالقة والبنادقة والإنقليز، والبربر والفلاميك والدينمرك، المشتهرة والذوبرة والماعون والبرتغال والطلينان إلى غير ذلك من الأمم المنتصرة التابعة لدين المسيح عليه السلام، وعلى إخوته الأنبياء الكرام خصوصا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام⁽¹⁾*

والنص المقتبس له أهمية كبيرة في موضوع بحثنا والتي نستقيها من خلال المصطلحات المنتظمة فيه، والمحملة بدلالات لها قيمتها عند القارئ العربي والإسلامي، والتي لم تبخل بآحتواءها والاحتفاظ بها الذاكرة الجماعية الجزائرية خاصة والموروث الشعبي الجزائري بأنواعه، مثل النظرة إلى الغربي على أنه :

مسيحي، إفرنجي، نصراني، الرومي، وهي أسماء ونعوتات تشترك فيها كل الشعوب المغايرة والموجودة على الضفة التماثلية للمتوسط، حيث اقتربت كما جاء في النص، على كل من الفرنسي، البرتغالي والإيطالي الإسباني، والألماني والروسي والإنجليزي....

¹ - طلوع سعد السعود، "في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا" إلى أواخر القرن التاسع عشر"، للأغا بن عودة المازري، تحقيق ودراسة الدكتور يحيى بوعزيز، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص05
* ننبه القارئ الكريم، على أننا وجدنا حربا في تلخيص النص، ولذلك عمدنا لنقله على طوله وذلك أهمية البالغة لما نريده.

كما تكمن أهمية النص كذلك في تباينه نقطة هامة بالنسبة للموضوع، على أن الغرب ليس موحد، الغرب أجناس مختلفة بلغات مختلفة ولكن، تتوحد في الجانب العقائدي " الديانة المسيحية " الأمم المنتصرة التابعة لدين المسيح عليه السلام.."

يقول محمد عابد الجابري: " وبالجملة لم تكن كلمة "غرب" في المرجعية العربية-الإسلامية تعني في يوم من الأيام وجود "الآخر" يقع بالتحديد خارج بلاد الإسلام، ولا دينا ولا حضارة تمثل "الآخر" بالنسبة للإسلام، وإنما صارت هذه الكلمة تحمل بصورة ما هذه المعاني جميعها من خلال الترجمة من اللغات الأوربية، وهكذا فإصطلاح "الغرب" West.Occident أي الدول الغربية والشرق Est. Orient بمعنى دول الشرق، هما معا ترجمة من اللغات الأوربية التي ميّزت في هذا الأخير بين الشرق الأدنى والشرق الأوسط والشرق الأقصى، وذلك حسب القرب والبعد عن أوروبا⁽¹⁾.

تعريف الجامعة

لقد تعددت التعاريف المقدّمة للجامعة، بتعدد محامها الإجتماعية، التربوية، العلمية، والثقافية،... فهناك من عرّفها على طبيعتها ومن عرّفها على أساس مكانتها ودورها... مما أدى إلى عدم وجود تعريف متفق عليه من طرف العلماء والمفكرين وخاصة الذين يهتمون بالتنظيم التربوي، ولا يوجد تعريف قائم لذاته وعلمي للجامعة⁽²⁾.

¹ - محمد عابد الجابري، الغرب والإسلام- الأنا والآخر... أو مسألة الغيرية. مجلة الفكر والنقد العدد الثاني، ص 03.
² - بن آشنهوو مراد، نحو الجامعة الجزائرية، ترجمة عائدة أديب باية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1981، ص 03.

ورد في قاموس المعاني عربي عربي: "الجامعة مجموعة علمية تسمى كليات، تدرس فيها الآداب والفنون والعلوم" وكلمة جامعة كثيرة المعاني على إيجازها، والجمع: جوامع. ووردت الكلمة في الحديث الشريف: "أوتيت جوامع الكلام"⁽¹⁾.

وفي المعجم الوسيط ورد: جامعة ج، جوامع، جامعات، والجامعة: معهد للتعليم العالي والاختصاص يضم عددا من المعاهد والكليات.

والجامعة: طوق أو قيد من حديد أو غيره يسد اليدين إلى العنق. والجامعة معناها علاقة⁽²⁾.

أما في معجم الرائد: فالجامعة مؤنث الجامع وجمعها: جامعات.

يدرس بالجامعة، من يتابع دراسته بإحدى الكليات أو المعاهد العليا، كلها تنضوي تحت إسم الجامعة. والجامعة العربية رابطة تظم كل البلدان العربية لدراسة قضاياها ومشاكلها وبحثها، العصبة.

سِفْرُ الجَامِعَةِ: أحد أسفار الكتاب المقدس⁽³⁾.

¹ - قاموس المعاني عربي عربي، نقلا من الموقع <http://www.almaany.com>.

² - المعجم الوسيط، نفس الموقع.

³ - المعجم الرائد، نفس الموقع.

وكلمة جامعة حسب تعريف الموسوعة الحرة: هي إشتقاق عربي من كلمة الإجماع. حول هدف، ألا وهو هدف العلم والمعرفة، وهي مؤسسة للتعليم العالي والأبحاث، تعطي شهادات أو إجازات أكاديمية لخريجها"⁽¹⁾.

وعليه ينظر للجامعة، على أنها المؤسسة المعنية ببناء ثقافة المجتمع وتحديد السمات العامة للشخصية الأساسية في المجتمع هذه الأخيرة (الشخصية الأساسية) التي تشكل القاسم المشترك لأفراد هذا المجتمع، وذلك لما تتوفر عليه من قدرات بشرية مؤهلة فكريا وعلميا (النخبة) للعب هذا الدور، كما ينظر إليها على أنها المؤسسة المنوطة بإعداد القيادات والكوادر اللازمة للتغيير والمهارات الضرورية للتجديد في شتى المجالات والإجتماعية، الثقافية، الإقتصادية والسياسية... " بناء على ما تقدمه للطالب من قدرات مختلفة واللازمة حتى يصبح مواطنا منتجا قادرا على خدمة مجتمعه وأمته...

والجامعة تعني لغة التجميع والتجمع، أما كلمة كلية فصدرها الكلمة اللاتينية " Colegie" وتشير إلى التجمع والقراءة معا، وقد استخدمت في القرن الثالث عشر- من قبل الرومان لتدل على مجموعة حرفيين أو تجار، ثم استخدمت في القرن الثالث عشر- بمعنى كلية في جامعة " أوكسفورد" لتدل على مكان التجمع المحلي للطلاب متضمنا مكان الإقامة المعنية والتعليم"⁽²⁾.

¹ - الموسوعة الحرة، الموقع: <http://dr. Wikipedia. Org>

² - محمد منير مرسي، التعليم الجامعي المعاصر: قضايا ه وإتجاهاته، القاهرة، دار النهضة العربية، 1977، ص10.

عرف مصطلح الجامعة عدة تعريفات. إلا أنها تجتمع حول نقطة مشتركة والمتمثلة في الأدوات التي وجدت من أجلها، ومن تلك التعريفات:

يعرف " جود Good " الجامعة على أنها: " تلك المنظمة التي تحتوي عددا من المعاهد التعليمية العليا، ويكون لديها غالبا، كلية الفنون الحرة، أو من المدارس أو الكليات المهنية وتقدم برامج للدراسات العليا، وتكون قادرة على منح الدرجات العلمية في مختلف مجالات الدراسة" ⁽¹⁾.

ويعرفها " البرعي " على أنها: " المؤسسة التربوية التي تقدم لطلابها الحاصلين على شهادة الثانوية العامة، أو ما يعادلها، تعليما نظريا معرفيا ثقافيا، يتبنى أسسا إيديولوجية وإنسانية. يلازمه تدريب مهني فني، بهدف إخراجهم إلى الحياة العامة كأفراد منتجين، فضلا عن مساهمتها في معالجة القضايا الحيوية التي تظهر على فترات متفاوتة في المجتمع، وتؤثر على تفاعلات هؤلاء الطلاب المختلفة في مجتمعاتهم، بما تملكه من قدرات أكاديمية وإيديولوجية وبشرية" ⁽²⁾.

¹ - نقلا عن: البرعي وفاء: دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري، ط1، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية سنة 2002، ص290.

² - المرجع السابق، ص290.

ويعرفها "كذلك سلامة لخميسي": أنها تلك المؤسسة التي تتبنى المستويات الرفيعة من الثقافة، فتحافظ عليها، وتضيف لها وتقدمها بعد ذلك إلى الطالب الذي يلتحق بها ما يجعل منه إنسانا مثقفا وشخصا مهنيا⁽¹⁾.

وعليه تصبح الجامعة ذات مهام للحفاظ على المنجز العلمي التكنولوجي و صقل المواهب (الطلاب) لإدماجها في المجتمع. وعرفها "رامون ماسيا مانسو Ramon Macia- Manco" على أنها مجموعة أشخاص يجمعهم نظام ونسق خاصين، تستعمل وسائل وتنسق بين مهام مختلفة للوصول بطرق ما إلى المعرفة العليا⁽²⁾.

ومما سبق نخلص إلى أن: الجامعة من المؤسسات، المجتمعية. الرئيسية التي يعتمد توظيفها في نقل الرأسمال المجتمعي إلى الأجيال وجعلها تواكب وتساهم في التغيرات الحاصلة في فضاءها الداخلي ومحيطها العام، وفي هذا السياق يقول علي حرب: "إن البيئة الجامعية هي السياق الإنساني والإجتماعي الذي يتم فيه وبه التفاعل بين العناصر الأساسية للعمل الجامعي من: مكان وهيئة تدريسية وطلاب وإدارة وتنظيمات طلابية ونواد وعلاقات مع المجتمع"⁽³⁾.

¹ - خميسي، السيد سلامة: المعلم العربي، بعض قضايا التكوين ومشكلات الممارسة المهنية، الإسكندرية، دار الوفاء. 2003، ص 15.

² - نقلا عن دليو، فضيل وآخرون: إشكالية المشاركة الديمقراطية في الجامعة الجزائرية، قسنطينة: مخبر التطبيقات النفسية والتربوية، 2006، ص 211.

³ - حرب علي، غزو ثقافي أم فتوحات فكرية، مجلة الفكر العربي، السنة (14) العدد 74، سنة 1993، ص 15.

التعريف الإجرائي للمجتمع الجامعي:

ونعني به البيئة الجامعية. أو الكيان الإجتماعي الذي يعيشه الطالب داخل الحرم الجامعي بتفاعلاته المتداخلة بين الأطراف المكونة له: من طلبة وأساتذة وإداريين والمناهج الدراسية ومختلف الأنشطة الجامعية (علمية، رياضية، ترفيهية...).

فالمجتمع الجامعي، إذن مجتمع تربوي يشكل كلا متكاملًا، يعكس صفات المجتمع البشري ودينامية (من العناصر ذات الأدوار المختلفة والمتراطة والمتكاملة التي لها دورها في بناء شخصية الطالب الجامعي...).

التعريف الإجرائي للطالب الجامعي:

ونعني به، كل طالب اجتاز الأطوار التعليمية المتتالية ما قبل الجامعة، وفق قانون المسار التعليمي الخاص بكل دولة، والذي سمح له مشواره الدراسي وكفاءاته وقدراته العلمية التحصيلية للحصول على شهادات كل الأطوار وآخرها شهادة الثانوية العامة (البكالوريا (دولة المشرق العربي) شهادة البكالوريا (المغرب العربي) أو على شهادات تعادلها قانونيا ومعرفيا، والتي فيها يتم التسجيل الجامعي... هذا من ناحية خصوصية الفئة (الطالبية) ومن ناحية أعم تعتبر فئة الطلاب)، جزءا ممثلا في فئة الشباب التي ينظر ويرمز لها لمفهوم مرحلة تنفيذ النشاط والقوة، وتعتبر أيضا الفئة الأكثر تعبيرا عن استمرارية الحركة الاجتماعية وتجديدها.

وبمعنى آخر مرحلة الاستقلال نفسيا واجتماعيا وتشكيل الفرد، والانتقال من وضعية الاستهلاك (التلقي Resever) إلى وضعية الإنتاج والمساهمة ونعني به التحول والانتقال من عنصر مجتمعي (مفعول Agi إلى أى عنصر فاعل Acteur)⁽¹⁾.

فإذا كانت المعرفة مفتاح التنمية، فإن الإنسان هو أداة التغيير والتطوير لتحقيق التقدم تنميته...

يقول ليهمان (Lehmann)، " أن للحياة (البيئة) الجامعية أثرا كبيرا في القيم الخلقية والسياسية والاجتماعية والدينية عند الطلاب... كما أن التفكير النقدي عند الطالب يزداد بازدياد سنوات دراستهم الجامعية كذلك فهم أكثر تقبلا للآراء والأفكار الجديدة وأنهم أكثر ميلا إلى التوجهات القيمة الحداثية، وأقل توجهها للقيم التقليدية"⁽²⁾.

كما عرّف الطلبة على أنهم شباب والشباب فئة عصرية تشغل وضعا متميزا في بناء المجتمع وهي ذات حيوية وقدرة على العمل والنشاط، كما أنها تكون ذات بناء نفسي- وثقافي يساعدها على التكيف والتوافق والاندماج والمشاركة بطاقة كبيرة تعمل على تحقيق أهداف المجتمع وتطلعاته⁽³⁾.

¹ - Kol, la thanh, jeunesse exploitée , jeunesse perdue, paris, p.u.f, 1978 p56

² - - نقلا عن: خليفة عبد اللطيف، التغيير في نسق القيم لدى الشباب الجامعي، مظهره وأسبابه في عالم متغير، بحث مقدم في المؤتمر السنوي الثاني بجامعة الزرقاء الأهلية، بتاريخ 27-29 يوليو- 2004 الأردن.

³ - إسماعيل علي سعد، الشباب والتنمية في المجتمع السعودي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1989، ص 37.

ب- المفاهيم ذات الصلة بالمفاهيم المحورية للدراسة:

كون التصور خاصة مرتبطة بالشخصية الإنسانية فردية كانت أو جماعية ولما تتميز به هذه الشخصية من تعقد وتركيب جعل مفهوم التصور ذا علاقة وإرتباط بعدد من المصطلحات التي توظف هي كذلك في تحليل جوانب هذه الشخصية ومن بينها نجد:

تعريف التصورات الاجتماعية:

يعد موضوع التصورات الثقافية الاجتماعية من المواضيع المشتركة لعدة من التخصصات العلمية، بل أصبح حقل للإستثمار لهذه التخصصات كل من جانب اهتمامه، أصبحت العلوم تتكامل فيما بينها لكشف المجهول وإيضاح الغامض في هذا الموضوع.

فبالرغم من أن التصورات مرتبطة بالعقل البشري، إلا أن صاحبه "الإنسان" المتميز بالغموض على باقي الكائنات والمخلوقات. يتأثر بما يحيط به: البيئة، المجتمع، الأحداث، تفاعلاته هي التي كانت وراء تعدد اهتماماته، التخصصات العلمية له. فالإنسان وحدة بيولوجية نفسية واجتماعية كذلك.

لقد ورد تعريف التصورات الاجتماعية في مصنفات العلوم الاجتماعية ومعجمها

كما يلي:

التصورات الاجتماعية " شكل من أشكال الفردية والجماعية المتميزة عن المعرفة العلمية"⁽¹⁾. كما عرفها القاموس الثاني لعلم الاجتماع ل: "Ferréol.G" على أنها " قد تكون التصورات الاجتماعية، صور من الواقع، معتقداته، فيم نظم مرجعية ونظريات اجتماعية في غالب الأحيان، ويمكن القول أن التصور الاجتماعي إلحاح أساسي للفكر الإنساني، وضرورة تمثيل الواقع"⁽²⁾.

ومن خلال هذين التعريفين، نخلص إلى أن التصورات الاجتماعية خاصة إنسانية سواء كانت فردية أو جماعية. مرتبطة بالعقل وتلعب دور التعويض للعالم المحسوس وهي نوع من المعرفة في أحد جوانبها إلا أنها تختلف عن المعرفة العلمية... كونها تجري في الغالب بالاستناد إلى المخيلة والأفكار السابقة لاسترجاع وآستحضار الموضوع.

كون التصورات خاصة بشرية، جعلها موضوع اهتمام لدى علماء الاجتماع وأول من استعمل مصطلح التصورات الاجتماعية (الثقافية)، هو الم الاجتماع " إميل دركايم" سنة 1898 حينما أشار لخصائص التفكير الفردي والتفكير الجماعي.

فالفرد حسب " دركايم" عنصر من الجماعة، فهو يتصرف من خلال جماعته كما تعتبر تميلات الفرد وتصرفاته تكون تحت تأثير المجتمع، بثقافته ونظمه وقيمه.... وعليه تبقى الحياة الاجتماعية هي القاعدة الأساسية لكل أنواع التفكير.

¹ - Akain.Aet Ansart. P: Dictionnaire De Sociologie, Dictionnaires De Robert, Seuil 1999 P450

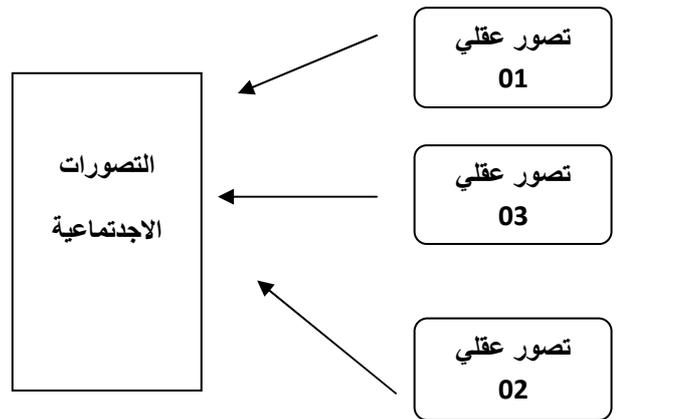
² -Ferréol.G et Coll, Dictionnaire De La Sociologie, 2^{eme} édition, Armand Colin, 1995, Paris P-242.

فالتصور يعمل على إعادة تقديم الموضوع للشعور بعد غيابه عن الحواس إلا أنه لا يتمكن من استحضاره بصورة مطابقة للموضوع الأصلي في حالة مثوله للمرة الأولى، كونه يستند على الذاكرة وما تنتقيه من أفكار وأجزاء مدركة مع اتلاف أخرى أو إعماد اتلافها....

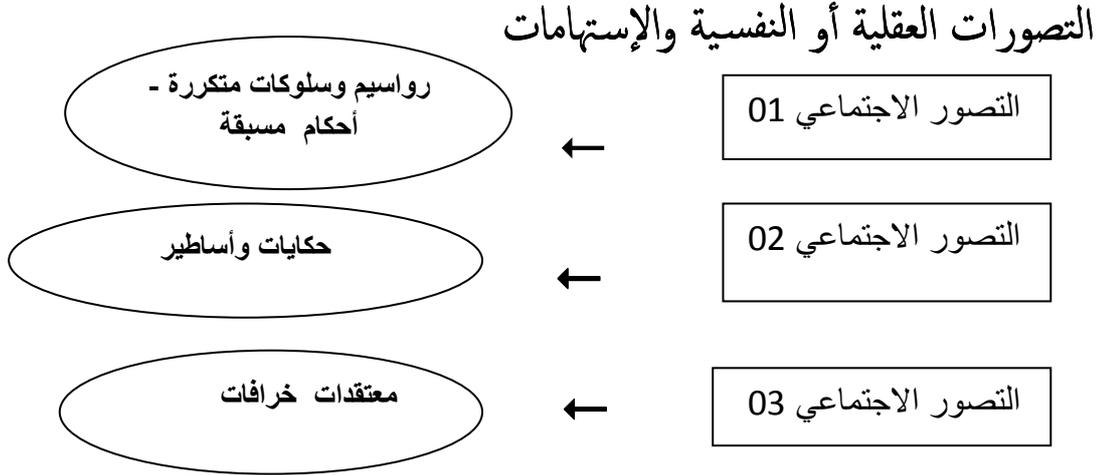
ففي نظر علماء الاجتماع، يوصف التصور وصفا اجتماعيا، بما أنه عملية تفاعل الفرد. تحت تأثير العوامل الاجتماعية المختلفة، والتصورات الاجتماعية الجماعية كما عبرت عنها "D.Jodelet" هي نمط من أنماط الفكر الخاص بالجماعة " معرفة مشتركة " أي شكل معرفي مبني اجتماعيا ومشارك، يهدف إلى بناء حقيقة مشتركة خاصة بمجموعة اجتماعية وفقا لثقافتها وتطلعاتها وأهدافها.

طبقا لما سبق يمكن القول أن التصورات الاجتماعية، هي شكل من أشكال الفكر المرتبطة بالجماعة (مجتمع)، يتشكل جماعيا ومشاركيا وفقا للمعارف والمكتسبات النفسية والثقافية والوجدانية لذات الجماعة،... هذا ما أشار إليه الدكتور عبد الوافي بوسنة على أن التصورات الاجتماعية هي نتاج مشترك للجانب النفسي- والاجتماعي على المستوى العقلي، إذ عمد إلى توضيح ذلك بالبيانات التالية:

التصورات الاجتماعية – Représentation Sociale



الشكل 01: يبين نهاية التصورات الاجتماعية



الشكل 02: يبين بداية تشكل التصورات الاجتماعية

فما يمكن استخلاصه، أنه إذا كان التصور يتباين فرد لآخر " تصور شخص " باختلاف القدرات والتجربة الشخصية مع ارتباطه دائماً بالبيئة الاجتماعية والثقافية للجماعة، فإن التصور الاجتماعي يعد تعبيراً إيجابياً لما للمجتمع من عادات وتقاليد وقيم وأفكار وأساطير (موروث) ⁽¹⁾.

¹ - بوسنة عبد الوافي زهير: التصور الاجتماعي لظاهرة الإنتحار لدى الطالب الجامعي أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، في علم النفس الإكلينيكي، إشراف أ.د. هاروني موسى. جامعة منتوري. قسنطينة، السنة الجامعية 2007/2008

التمثلات:

لغة: التمثل هو تصور الشيء معناه توهم صورته وتخيّله واستحضره في دينه. وتصور له الشيء معناه صارت له عنده تمثل مشخص أو صورة وشكل⁽¹⁾. يقول روبير لافون Robert Lafon التمثل أو التصور هو عملية جعل الشيء "الموضوع" حاضرا أو محسوسا للعقل أو الذاكرة، بالإستعانة بصورة شكل، أو دلالة رمزية ما... ولا تدخل الحواس في عمليات التمثل⁽²⁾.

اصطلاحا: أما اصطلاحا فالتعاريف كثيرة ومختلفة باختلاف الحقول المعرفية تقتصر- على بعض منها على سبيل المثال، ففي علم النفس: تعرف التمثلات بأنها صيرورة معرفية وتنتج هذه الصيرورة في نفس الآن، كما أن التمثلات قد تكون نمطا من أنماط التفسير والتأويل، إذ أن لكل من إطار مرجعيا يستند إليه في تفسير المعطيات الخارجية، والعلاقة بين الصيرورة والمعرفة هي علاقة تكوينية... ويرى محمد بوغالي أن: "كل تمثل إلا وينتج معطياته وتنظيمه، ولو كان مختزلا من سجلات ديناميكية خاصة بالشخص، وبالتالي فهي لا تقبل الشك أحيانا⁽³⁾".

فمن خلال تمثلاتنا للعالم في تشكل مكونات مجالية مختلفة ومتعددة، يمكننا أن نعرف بعض المظاهر وننفذ إلى بعض المتجليات الأساسية لعقلية الناس الذين هم الأصل.

¹ - المنجد في اللغة والإعلام نقلا من الرابط <http://taouinet.Maktoobbloge.Com>

² - نقلا عن الرابط <http://taouinet.Maktoobbloge.Com>

³ - العربي سليمان، التواصل التربوي، مطبعة النجاح الجديدة، سنة 2005، الدار البيضاء ص 64.

التمثل التصور يشير إلى الطريقة التي تعمل بها الصور والنصوص على إعادة بناء المصادر الأصلية التي تمثلها (موضوع التصور)، وليس مجرد عكسها فحسب تصوراتنا للغرب توصف توصيفاتنا المكتوبة له، لا يمكنها أن تجسد الغرب الحقيقي، إنما كل ذلك يعتبر إعادة بناء الغرب الذهني، بما هو لدينا من أفكار مسبقة، ولو استطعنا تجسيد الغرب الحقيقي، لما تكلمنا عن التصورات والتمثلات....⁽¹⁾.

إن التصور مفهوم سيميولوجيا (علم العلامات) مهما وفي علم اللغة يدل على طريقة إعادة بناء أو إعادة صياغة المعنى، ومن هنا يمكن أن يعد عنصر مهم في العمليات الاجتماعية... ويعرفه بول كيران Guérin.p التمثل بأنه: " إنشاء اجتماعي أو فردي لتخطيطات ملائمة حول الواقع"⁽²⁾.

إن التمثلات إنشاء اجتماعي أو فردي لأنها مرجعية فردية خاصة بالفرد، أو جماعة، بالتالي تصبح عبارة عن خطاطات ذهنية ملائمة يكونها الفرد أو الجماعة (المجتمع) عن العالم المحيط به، كما تعد التمثلات مادة أولية بالنسبة إلى الباحث الذي يريد دراسة وتحليل الممارسات المجالية باعتبارها ديناميات مرتبطة بالقيم والثقافة والإيديولوجية السائدة في مجتمع ترابي ما⁽³⁾.

¹ - المصدر نفسه، ص 78.

² - Guérin .p.Cité par André Y et al (1990) Modèles Graphiques et Représentations Spatials . P10 . Authropos/Reclus. Paris

³ - Baillyet Al, Encyclopédie De Géographie, Economica, Paris (1995) P.372.

يرى جان بياجي (Piaget. J) كذلك: أن التمثل هو ما الاستحضار الذهني لأشياء ومواضيع غائبة، وإما إكمال المعرفة الاستدراكية لأشياء حاضرة أمامنا بالرجوع إلى أشياء غير حاضرة في تلك اللحظة⁽¹⁾.

فتمثل الغرب، عبارة عن عملية ذهنية يلجأ إليها الطالب أو الشخص المتخيل إلى الذاكرة بأستدعائه (الفرز) مجموع الصور والأفكار ومعرفته المسبقة عن العالم الغربي... والتابعة في أعماق الذاكرة....

فالصورة والتمثل في مفهومهما السيكلوجي، يدلان على العملية الذهنية أو النفسية أو العقلية التي يتم بموجبها إعادة تركيب أو انتاج حسي- أو ذهني لموضوع ما، وهذا الموضوع، قد يكون مدركا عن طريق الإدراك الحسي- بوجه عام، أو قد يكون مدركا بواسطة تركيب ذهني⁽²⁾، فالصورة والتمثل خاصية إنسانية، لا ينفصمان، فالبحث عن الصورة المنتجة عن عملية تمثل (الخيال) تتطلب معرفة آليات إنتاجها (التمثل)، كما يؤدي بنا الاهتمام بالتمثلات إلى التطلع لمعرفة نتاج ما تسفر عنه تلك العملية الذهنية (التمثل) والتي تكون الصورة في حد ذاتها.

¹ - Piaget, Jean et Inhelder, B: représentation De L'espace Chez L'enfant Puf. Paris, P23.

² - أحمد أوزي، جودة التربية وتربية الجودة، منشورات مجلة علوم التربية رقم 3، طبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2005، ص 79.

الرأي:

ويعرّفه كل من " سميح أبو مغلي وعبد الحافظ سلامة " على أنه: " تعبير الجماعة أو المجتمع أو الجمهور العام عن رأيه ومشاعره وأفكاره ومعتقداته وإتجاهاته في وقت معين بالنسبة لموضوع يخصه أو قضية تهمة " (1).

والرأي هو الآخر شخصي- مرتبط بشخصية الفرد، ويكون في هذه الحالة استقلالي عن بقية الآراء وذلك حسب المكانة والأدوار والوضعيات، والرأي العام الذي يعبر عن الجماعة والمجتمع، والنابع من وضعية اجتماعية وثقافية وقيمة للجماعة في فترة زمنية معينة، فالرأي مقارنة مع التصور يميّز بتعبيره عما يجب أن يكون لا عمّا هو كائن كما يميّز بعدم الثبات لأطول فترة فإنه متغير بتغير الظروف والمعطيات.

الآراء المسبقة (الأفكار المسبقة) Stereotypes:

أفكار مكتسبة تتصف بالثبات ولها صفة الأحكام يحملها الفرد كما تحملها الجماعات وحتى الشعوب، تجاه موضوع ما، وللآراء المسبقة وقعها الكبير في تكوين وتشكيل الصورة. ولمصطلح الستيريوتايب مكانة في العلوم الاجتماعية كما عرفه المحلل السياسي الأمريكي Walter Lippman (والتر ليبمان) (2) " على أنه الصورة الذهنية المشتركة التي

¹ - سميح أبو مغلي وعبد الحافظ سلامة: علم النفس الاجتماعي، الطبعة 01، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2002، ص 105.

² - Walter Lippman (والتر ليبمان) محلل أمريكي مختص في الميدان السياسي، وهو أول مصطلح " البتيروتايب " إلى العلوم الاجتماعية وذلك سنة 1922 في كتابه المعنون Public Opinion بالرأي العام.

تحملها مجموعة من الأفراد والتي تتكون غالبا من رأي مبسط أو ناقص أو مشوّه أو قد تتمثل في موقف عاطفي تجاه شخص أو قضية أو حدث...⁽¹⁾.

الأحكام المسبقة:

يعرفها الباحث الألماني "إيريل ديفيس Earle E. Davis" على أنها: "مواقف سلبية أو رافضة تتخذ تجاه شخص أو جماعة من الأشخاص أو الأقوام، حيث تحصل هذه الجماعة بسبب المواقف المقبولة على صفات سائدة أصلا، يمكن تصنيفها بسبب الجمود والصفات الإنفعالية حتى لو تم التعايش مع تجربة مناهضة للحكم المسبق"⁽²⁾.

الدراسات السابقة:

تعد الدراسات السابقة لأي موضوع دراسة بحثية علمية، بمثابة الأرضية والمرجعية التي منها تكون الانطلاقة لأي باحث وكيفما كان تخصصه، ولاسيما لما يتعلق الأمر بالدراسات الاجتماعية والإنسانية، وتظهر أهميتها فيما تناولته من مادة علمية عن موضوع الدراسة أو ذات العلاقة به، تزيد في إنارة الطريق للباحث من زوايا عدة.

¹ - المحلل نفسه، نفس الكتاب (الرأي العام) ترجمة الدكتور محمود ميعاري، فلسطين
² - سامي مسلم: صورة العرب في ألمانيا الاتحادية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية 1985، ص 18.

كما تشكل الدراسات السابقة، دعامة أساسية من دعائم المنهجية العلمية⁽¹⁾، وبالتالي تصبح عنصراً أساسياً من عناصر البحث العلمي، تمكن الباحث من تكوين خلفية نظرية عن موضوع دراسته.

و أخذت الأدبيات العربية المختلفة التي تناولت الصور النمطية (صورة الذات والأخر) ثلاثة أشكال متباينة في طبيعة مواضيعها و مقاربتها النظرية و خطواتها المنهجية:

1. النوع الأول: اهتم بالصور الذاتية (صورة العرب لدى العرب).
2. النوع الثاني: اهتم بصورة الذات لدى الأخر (الغرب).
3. النوع الثالث: اهتم بالصورة النمطية عند المجتمعات الأخرى.

و حتى لا نعيد سرد محتويات كل هذه الدراسات، سنكتفي بمقابلة هذه الدراسات المختلفة من حيث أطرها النظرية التي تراوحت بين التفاعلية الرمزية، و نظرية التواصل و تصورات الهوية الاجتماعية، و نظرية صراع الجماعات.

ففي النوع الأول من هذه الدراسات أكدت النتائج على أحقية تفضيل الذات على الأخر، غلبت عليها النظرة النرجسية للذات و كرست مقولة التفوق العرقي و التعصب القومي، و هنا يكمن الخطأ الذي وقعت فيه الاثروبولوجية الاستعمارية التي اختلطت بين مقولة العرق التي هي مقولة بيولوجية، و بين المنتج الاجتماعي و النفساني الذي تفرزه الثقافات البشرية.

¹ - أحمد بمرسلي، مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر 2005، ص86

و من أهم الدراسات التي تناولت هذا النوع الأول نذكر:

دراسة سعد الدين إبراهيم حول اتجاهات الرأي العام العربي حول مسألة الوحدة، و دراسة البوهي ودويغر التي تبين فيها أن كل شعب من شعوب الوطن العربي ينظر على أنها مميزة و فريدة (بين المدح و الذم) كما أظهرت دراسة الطويسي- حول صور تهديد الأمن القومي العربي مرتبطة بمشاكل الحدود العربية و مشكل اختلاف التوجهات السياسية و الإيديولوجية و الانقسامات التي أفرزتها التراكمات التاريخية الناتجة عن فعل الحركة الاستعمارية.

في النوع الثاني من الدراسات لعبت الصراعات الإيديولوجية و العسكرية مع الغرب دورا كبيرا في ترسيخ الصورة العدائية و السلبية لدى الطرفين، مثلما جاء في دراسة سالم نادية حول "صورة العرب في الغرب" أو دراسة سليمان ميخائيل عن "الصورة العربية و الإسرائيلية في أهم الصحف الأمريكية"، و كيف تفاوتت النظرة بين الصورة السلبية و الايجابية بحسب الظروف السياسية و سياقات الأزمات الإقليمية والعالمية التي حددتها وسائل الإعلام و السينما والفن و المسرح.....التي ارتبطت فيها صورة العربي بالشجاعة و المروءة و كرم الضيافة، و بين رفض العقلانية، و الانتقام و تكفير الآخر... و من أهم الدراسات التي تناولت هذا النوع نجد:

دراسة خالد زيادة المعنونة: " تطور النظرة الإسلامية إلى أوروبا " والتي عمد صاحبها إلى تتبع علاقة المسلمين التاريخية بأوروبا المسيحية، من العصر الوسيط إلى غاية ما اصطلح عليه " بالنهضة العربية " وذلك بوقوفه عند المحطات الرئيسية والحرجة " لتلك العلاقة " مستعينا بكل ما توفرا من تراث مدون، متنوع من كتابات المؤرخين

والجغرافيين الرحالة المسلمين كاستعانية بالمقدسي والمسعودي وابن رسته، وابن خردادبة التي ساعدته في تحديد بعض عناصر نظرة المسلمين لأوربا، كما تطرق للمرحلة الحرجة " الضعف " التي ميزت العالم العربي الإسلامي في علاقته بأوربا خلال القرنين الخامس عشر- السادس عشر- والتي كانت الغلبة فيها لأوربا، وظهور الدولة العثمانية كقوة عسكرية أخذت على عاتقها المهمة الجهادية " صراع ديني: إسلام / مسيحية " ليخلص في الأخير إلى نتيجة: إن نظرة المسلمين لأوربا مع نهاية القرن 16 سمحت لهم بمعرفة الذات العربية الإسلامية وما آلت إليه من ضعف وتراجع عما كانت عليه سابقا من قوة وذلك مقارنة بما أصبحت عليه القوى الغربية من تقدم في جميع الميادين، وهو عبارة عن اكتشاف متجدد لأوربا نتيجة سياسة العثمانيين على الوطن العربي قبل حملة نابليون على مصر... الدافع الذي كان وراء إرسال البعثات العلمية للنهل من مختلف العلوم الأوربية بغية النهوض والتحضر إقتداءا " بالغرب "

جمعت هذه الدراسة، بين المسح التاريخي وتحليل مضامين النصوص التراثية وتحليل الأحداث التاريخية في سياقها الزمني بغية استنباط النظرة التي كانت عبارة عن مجموعة صور متباينة " من العداة واللامبالاة، والاهتمام، والانهار والتقليد ⁽¹⁾ .

و أظهرت نتائج النوع الثالث من الدراسات أن العداة بين الجماعات هو الذي يحدد طبيعة الصورة النمطية المرتبطة بالأهداف المتصارع من اجلها و التي ينتجها الخوف و القلق و الإحباط و الشعور بالنقص لدى الجماعة بسبب الفشل في تحقيق هذه

¹ - خالد زيادة، تطور النظرة الإسلامية إلى أوربا، معهد الانماء العربي، بيروت 1983.

الأهداف، كما انتهت هذه الدراسات إلى تأكيد مبدأ التحيز للجماعة و التمرکز العرقي و غياب التفاعل الايجابي في التواصل الثقافي بين المجتمعات على اختلاف مشاربها الايديولوجية والفكرية و الدينية و ركزت في جوانب أخرى على عملية التصنيف كأساس معرفي لسلوك الجماعات، لان الصورة النمطية تتكون من خلال العلاقات التبادلية بين الصور المتكونة و النتائج المترتبة عليها.

ومن أهم الدراسات السابقة التي تم اطلعنا عليها نشير إلى:

1) دراسة بعنوان " صورة المملكة السعودية في الإعلام الغربي بين الواقع والطموح " للباحث السعودي " على آل ثابت "، تمثلت مشكلة هذه الدراسة في البحث عن تلك الهجمة الشرسة من الحرب النفسية تجاه المملكة العربية السعودية. عن طريق تشويه صورتها في الذهن الغربي عامة والأمريكي البريطاني على وجه الخصوص. وذلك بتقديم أفكار خاطئة ومغلوبة عن نظامها ومسلماتها وأنموذجها الحضاري القومي عبر مختلف المؤسسات ذات الطابع الإعلامي الواسع، والمؤثرة في أوساط المجتمعات الغربية، مما كان وراء تكوين صورة قائمة عن المملكة في أذهان الغربيين،...

يتساءل الباحث، لماذا المملكة السعودية بالذات؟ بالرغم وأن العلاقات الاقتصادية والمنافع المشتركة والصداقة والتعاون الطويلين بين الجانبين ظلت على أحسن ما يرام؟

استعمل الباحث في دراسة هذه المنهج الوثائقي الذي سمح له بالإطلاع على المخزون الإعلامي الغربي المنتج (الصحف / الكاريكاتير / السينما / الأفلام...) وتحليله لما

تضمنته من معلومات منمطة وسلبية من صور نمطية مشوهة في أذهان الغربيين، تعمل على إعاقة وكبح العلاقات المختلفة بين المملكة والغرب.

خلصت هذه الدراسة إلى نتيجة:

إن حرص المملكة على رعاية وتنمية علاقاتها مع الغرب، في ظل المصالح المشتركة، لم يشفع لها لدى الغرب لأن تكون موضوع للتشويه الإعلامي الغربي. إن تشويه صورة المملكة، جزء من التشويه المقصود والعمدي الذي لاحق ويلاحق العالم العربي الإسلامي والإسلام الذي لا يرجع إلى الفترة الحالية " مطلع القرن الواحد والعشرين"، بل هو امتداد للتشويه الذي له جذور في التاريخ الغربي، مشيراً إلى " الحروب الصليبية" وما تلاها من تيار إستشرافي والتوسعات الإستعمارية الغربية المسيحية....

إن الصورة الذهنية السلبية في أذهان الغربيين على المملكة راجع إلى زيادة الإعلام الغربي الصهيوني القوي والمعولم من جهة، في ظل غياب إعلام قومي فعال من شأنه تصحيح صورة المملكة وإبراز حقيقتها...

(2) دراسة بعنوان العرب في عقول الأمريكيين⁽¹⁾ بحثت هذه الدراسة في الصور الذهنية المرتسمة عن العرب في أذهان الأمريكيين، كما اعتنت بالبحث عن ضوابط تشكيلها وذلك بالإشارة إلى أن هناك جملة من العوامل التي كانت وراء انبثاقها واستقرارها على ذلك الشكل السلبي في عمومها.

¹ - ميخائيل سليمان، صورة العرب في عقول الأمريكيين، ترجمة عطا عبد الوهاب، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية 1987.

إن صورة العربي في أذهان الأمريكيين في تلك الفترة الزمنية كانت متأثرة بالأحداث الدولية التي كان العرب (الشعوب العربية) طرفا معناها، تلك الأحداث التي كانت لها قراءة في غير صالح العرب من طرف الغرب.

إن صورة العرب، في أذهان الأمريكيين، صورة موصلة (تابعة) لصورة العرب المتوارثة لدى المجتمع الأمريكي تاريخيا.

أن صورة العربي لدى الأمريكيين هي نتاج المنظومة الإعلامية الغربية عامة والمنتوج الإعلامي الأمريكي على وجه التحديد الذي يعمد إلى تشويه الآخر والعربي الإسلامي بأخص، وذلك راجع إلى سياسة التمرکز ونظرتها للأطراف.

أن المواطن الأمريكي، مواطن مستهلك خاضع للمادة الإعلامية عن العرب والتي هي عبارة عن أفكار منمطة ومقولة بشكل سلبي.

3) دراسة بعنوان: "الغرب المتخيل: صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط"⁽¹⁾ وتعد هذه الدراسة من البحوث القيمة، في موضوع الصورة والمتخيل والبناء النمطي، للعربي المسلم لآخر (الغربي على وجه التحديد) المغاير الذي اعتبره تقيده العقدي في مرحلة زمنية (التاريخ الوسيط) وفي سياق جغرافي خاص، وداخل مجال ثقافي متداخل العناصر والأسس والتجليات⁽²⁾. بحث نور الدين أفاية في مجال تاريخ

¹ - نور الدين أفاية، الغرب المتخيل: "صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط"، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 2000.

² - شرف الدين ماجد ولين، مقال: الصورة والنوع والمتخيل الثقافي، قراءة في نموذجين تقديين لفريد الزاهي ونور الدين أفاية، مجلة نزوى، العدد 35، عمان، سنة 2003، ص. 107.

الثقافة بين الغرب المسيحي والعالم الإسلامي في العصر- الوسيط،... استعان الباحث بالتحديدات النظرية المستوحاة من الفلسفة والأثروبولوجيا الغربية الفرنسية وجه الخصوص عن " الصورة الثقافية" و " الصورة النمطية" و " الصورة الأسطورية" مثل تحديدات " جيلبير ديوان" و " سارتر" وبالأخص مقولات الناقد الفرنسي- المقارن " دانييل هنري باجو D.H.Pageaux " يقول أفاية " سنركز في بحثنا على موضوع الصورة النمطية (التي) تتضمن مفهوماً و عقيدة وأسلوباً أدبياً... فتغدو هذه الصورة وكأنها حارسة للذاكرة من تحولات الزمان، الأمر الذي يجعلها متموجة ولكنها حاضرة باستمرار، وديمومتها تعود إلى كونها لا تتعرض للطعن في وجودها من طرف الواقع والتجربة المباشرة، فهي توجه تجاربنا بطريقة لا تسمح لنا، أحياناً بالتساؤل عن الواقع وعن العالم وعن الحقيقة، وقد تتحول هي مع الزمن والتكرار إلى حقيقة"⁽¹⁾

عمل الباحث "أفاية" على رصد بعض آليات اشتغال الخطاب العربي الإسلامي الوسيط، في عملية تمثله للعالم الغربي (الأوروبي، اللاتيني) بإبرازه الأبعاد المتخيّلة في ذلك التمثل من حيث هي : صور، وصور نمطية، وأحكام ومواقف فقد ما كانت تمنح من خزان رمزي يكتفّ الوجداني والعقلي والقدسي، فإنها تتبلور في شكل تدخلات وإجراءات ومعارك. .

4) دراسة بعنوان: " صورة أوروبا عند العرب في العصر- الوسيط"⁽²⁾ للباحث "شمس الدين الكيلاني". تعد هذه الدراسة من أهم المصادر، لصورة أوروبا أو " الغرب

¹- نور الدين أفاية ، المرجع السابق، ص.21.

²- شمس الدين الكيلاني، صورة أوروبا عند العرب في العصر الوسيط، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق 2004.

الوسيط" لدى العرب في العصر الوسيط، لما تضمنته من معلومات متباينة المصادر تصب في وعاء تصور الإنسان المغاير وتمثلاته "الإنسان الأوربي الإفرنجي المسيحي" معتمدا ثنائية وحدة الجنس والاختلاف العقيدي.

وظف الباحث: المنهج التاريخي الوصفي، إلى جانب تحليل مضمون النصوص التراثية، نكل من الجغرافيين والرحالة والمؤرخين العرب التي ارتبطت بالنظرة لأوربا وعلاقة الأوروبي بالعربي الإسلامي في ميادين مختلفة، هذا ما زاد للدراسة قيمة.

ركز الباحث في دراسة على استنباط الصور على أنماذج من الشخصيات العربية التي عاشت الفترة وساهمت بمدوناتها في إغناء التراث العربي الإسلامي أمثال: ابن رسته، ابن خرداذبة، اليعقوبي وقدامة بن جعفر... كما اعتنى الباحث كذلك بفترة الحملات الإفرنجية الصليبية على دار الإسلام، هذه الفترة التي كانت غنية بالصور المنطبقة بالنظرة العدائية السلبية. ليخلص الباحث في النهاية إلى نتيجة: أن الصورة الإجمالية لأوربا لدى العربي، كانت صورة مركبة تراوحت بين السلب والإيجاب وحتى الإعجاب وذلك حسب ما أملت الظروف والفترات التاريخية " التفاعلات السلبية والحربية".

(5) دراسة د. ياس خضير البياني تحت عنوان " الفضائيات الثقافية الوافدة وسلطة الصورة"⁽¹⁾ هدفت هذه الدراسة إلى معرفة نوعية البرامج وحجمها الساعي وأوقات المشاهدة التي يشاهدها الطالب الجامعي، وأجريت الدراسة على عينة طلابية تقدر ب: 200 طالب وطالبة وبطريقة عشوائية: وخلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

45% من العينة يشاهدون القنوات الفضائية الغربية. بمعدل ثلاث ساعات يوميا و 39,5% يشاهدونها بمعدل 4 ساعات يوميا.

(والملاحظة: أن هذه المدة الزمنية تعد جد كبيرة من يومية الطالب الجامعي إذا قورنت بالمعدل الساعي الذي يقضيه الطالب في الأقسام (الدروس) وقاعات المطالعة ضف إلى ذلك الوقت الذي يقضيه الطالب لقضاء حاجاته المختلفة المترتبة عن حياته اليومية...)

إن الأوقات المفضلة لمشاهدة الفضائيات الغربية لدى الطالب الجامعي تكون ليلا وذلك بنسبة 74% من طلبة العينة المستجوبة.

تفضيل الشباب مشاهدة أفلام العنف والجريمة بنسبة 45,5%، والأفلام الاجتماعية بنسبة 33%، فالخيال العلمي بنسبة 14% وأفلام الرعب النفسي بنسبة 7,5%

أما عن البرامج المفضلة لدى الطلبة الجامعيين، فاحتلت البرامج الموسيقية والغنائية المرتبة الأولى في سلم المشاهدة بنسبة 32%، لتليها البرامج الاجتماعية بنسبة

¹ - د: ياس خضير البياني: دراسة الفضائيات الثقافية الوافدة وسلطة الصورة، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد 267، أيار 2001م، ص 111-114

30%، فالبرامج الثقافية بنسبة 19,5% والصحية بنسبة 12%، فالسياسية بنسبة 6,5%

وخلصت الدراسة إلى نتيجة عامة وهي: تأثير العنف والجريمة في الشباب بنسبة 78% وازدياد الاستهلاك في مختلف المجالات بنسبة 75%.

6) دراسة الدكتور حسن عماد مكاوي: المعنونة: البث الثقافي الوافد (الغربي) وإنعكاساته على الواقع الثقافي. هدفت الدراسة إلى معرفة نظرة المجتمع المصري من خلال فئة الشباب إلى البث الثقافي الإعلامي الغربي الوافد، من خلال سؤالاً محورياً: هل البث الثقافي الوافد (الغربي) يعكس غزواً ثقافياً أم تهديداً ثقافياً؟ وكانت النتيجة من الدراسة على ثلاثة أوجه:

1. أن هناك فريقاً عبّر عن رفضه لثقافة الغرب وقيماً باعتبارها ثقافة غازية ومسلبة وتشكل خطراً على ثقافة المجتمع المصري وقيمه مع ملاحظة أن هذا الفريق يعد الأصغر عدداً مع الفرق الأخرى.

2. فريق ثاني عبّر عن تقبله لثقافة الغرب وقيماً باعتبارها الطريق الوحيد إلى بوابة الحداثة والعصرية، هذا الاتجاه يعبر عن مخيال أصحابه حيال ثقافة المجتمع على أنها ثقافة بالية وتعبر عن التخلف وتقليدية لا تسمح بتقدم المجتمع المصري وتعميق التحاقه بركب المجتمعات المتقدمة (المجتمعات الغربية).

3. فريق ثالث مثل الوسط بين الفريقين الأولين، وتمثل نظرية في ضرورة الأخذ من الغرب بدون الوقوع في التغريب أو الإغتراب الثقافي. وخلص حسن عماد مكاوي إلى أن الثقافة المصرية عرفت العديد من التيارات والاتجاهات الثقافية الوافدة إعلامياً، مما

تسبب في استلاب واختراق النخبة إعلاميا وثقافيا وقيميا، مما جعل الثقافة المصرية في مرتبة التهميش، بسبب تقليد الطابع الغربي.

(7) دراسة "طان كولتيدا" Tan Kultida " هدفت الدراسة⁽¹⁾ إلى التعرف على تأثير التلفزيون الأمريكي في تشكيل صورة الأمريكيين لدى الطلبة التايلانديين وذلك من خلال دراسة ميدانية على عينة بلغت 679 طالب وطالبة من تايلاند في خمس جامعات في "بانوكن" استعمل فيها المنهج الإحصائي كوحدة تحليل كميّة لما تضمّنه إستمارة من معلومات.

خلصت الدراسة إلى نتيجة أن التلفزيون الأمريكي يعد المصدر الرئيسي- في تكوين الصور النمطية عن الأمريكيين لدى طلاب تايلاند.

(8) دراسة: "سينها Sinha" و "أوبادها Upadhyia".

تناولت هذه الدراسة. الاتجاهات المبنية على نظرة الشباب الهندي للصين والصينيين في فترتين زمنيّتين مختلفتين (قبل / وبعد) النزاع المسلح الهندي الصيني على الحدود المشتركة.

اتخذت هذه الدراسة من الشباب عينة للبحث، كما اعتمدت على منهج قياس الاتجاهات ونظريتي التعصب والتسامح لأدوات التحليل والقياس..
خلصت هذه الدراسة إلى ما يلي:

¹- نقلا، عن مطلق المطيري في دراسته (صورة المملكة العربية السعودية في الصحافة الإسرائيلية).

- أن اتجاهات الشباب الهندي المبنية على النظرة للصين كانت إيجابية قبل اندلاع النزاع. كما تحولت إلى اتجاهات سلبية نتيجة تحول النظرة للصين أثناء وبعد مرحلة النزاع.
- والخلاصة العامة: أن النظرة والاتجاهات نحو المغاير مرتبطة بنوعية العلاقات القائمة بين الطرفين.

(9) دراسة⁽¹⁾ بعنوان: " الصورة المدركة لدى الإفريقيين عن العرب من خلال إتجاهات الطلاب الإفريقيين بجامعة إفريقيا العالمية"⁽²⁾

هدفت الدراسة إلى معرفة الصور الذهنية للعرب لدى الأفارقة، وذلك من خلال عينة من الطلبة الأفارقة الذين يزاولون دراساتهم الجامعية، بجامعة إفريقيا العالمية المتواجدة بالخرطوم، والتي تمثل أكبر تجمع متنوع من الطلبة الأفارقة يمثلون مجموعات عرقية مختلفة وثقافات متباينة تنتمي إلى أكثر من أربعين دولة إفريقية، مما جعلها مؤهلة لتكون مجتمع البحث المناسب للدراسة، ظهرت أهمية الدراسة في نقاط عدة:

- أن هناك من الصلات والروابط التاريخية والدينية والجغرافية والسياسية بين العرب والأفارقة.

- أن العرب يمثلون حوالي 23% من سكان القارة الإفريقية، وأن الإسلام ثاني ديانة معتنقة بالقارة، مما جعلهم يمثلون جزءا ذو ثقل في الإتحاد الإفريقي الذي يسعى إلى

¹ - الدراسة: قام بها فريق من الباحثين أساتذة ينتمون إلى جامعة إفريقيا العالمية سنة 2006.

² - جامعة إفريقيا العالمية: جامعة موجودة بالخرطوم (السودان)، بدأت كمعهدا دينيا أهليا في منتصف الستينيات من القرن الماضي، ثم أغلقت لأسباب سياسية، ثم أعيد فتحه تحت إسم: "المركز الإسلامي الإفريقي" ثم رقي إلى جامعة سنة 1991 تحت رعاية عربية تضم كل من (المملكة العربية السعودية، الإمارات، المملكة المغربية، قطر، مصر، الكويت والسودان دولة المقر)

الدفع بالقارة الإفريقية نحو النهوض: إقتصاديا والتقارب السياسي والتبادل الثقافي... وكل ذلك لا يتم، إلا إذا تقاربت الرؤى وتبادلت الثقة بين شعوب هذه القارة....

● هناك من الأطراف (الغرب) الذي يسعى إلى تشويه صورة العربي وحضارته (وبالأخص الدين الإسلامي لدى الشعوب الإفريقية وزرع التنافر والكراهية تجاهها... وذلك بغية بقاء هذه الشعوب (الشعوب الإفريقية / العربية) عبارة عن شتات في غياب آليات توحيد الرؤى والمصالح، ليسهل على الغرب استغلالها اقتصاديا....

● تمحورت مشكلة الدراسة في معرفة السمة العامة لدى اتجاهات الطلبة الأفارقة بجامعة إفريقيا العالمية نحو العرب والصور التي ارتسمت في أذهانهم من خلال مؤسسات التنشئة الإجتماعية بما فيها المناهج الدراسية التي خضعوا لها في بلدانهم و مدى قدرة مناهج جامعة إفريقيا العالمية على تعزيز الصورة الموجبة ومحو الصورة السالبة، على الرغم من المؤشرات الإعلامية الغربية التي لا تزال تلاحقهم لترسيخ الصورة السالبة للعرب في ذهن الإفريقي.

● لقد اعتمد الباحثون على عدة أدوات لجمع المادة الدراسة، إلى جانب الملاحظة والمعاشية، اعتمد فريق البحث على المقابلة، إلى جانب الاستبيان لقياس اتجاهات آراء الطلبة نحو العرب، أما العينة فكانت عشوائية مست الجنسين معا (طلاب / طالبات) بلغ عددها 467 فرد أما المناهج الموظفة فكانت:

المنهج الوصفي التحليلي (تحليل إجابات عينة البحث)

المنهج التاريخي (التطرق إلى الغلاقات التاريخية: الإقتصادية، الدينية، الهجرات،

التي دارت بين الطرفين)

خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

✓ أن اتجاهات الأفارقة تجاه العرب، اتجاهات سلبية لدى الجنسين معا (طلاب وطالبات).

✓ صورة العرب صورة سلبية لدى الطلبة الأفارقة تبعا لمتغير الإقليم.

✓ صورة العرب لدى الأفارقة سلبية تبعا لمتغير الثقافة المنتمية لها عينة الدراسة (التنشئة).

✓ كما خلصت الدراسة إلى رفع توصيات منها:

✓ توجي الدراسة بدراسة تحليلية للكتب المدرسية المعتمد لدى الدول الإفريقية. لما لها من دور في ترسيخ الصورة.

✓ توجي الدراسة بإجراء دراسات مماثلة لمعرفة أثر الإعلام في تكوين الصورة المتبادلة بين العرب والأفارقة.

✓ العمل على تحسين صورة العرب لدى الأفارقة.

(10) الاستطلاع الصحافي الموسع: تعود فكرة مشروع مارأيك في الغرب⁽¹⁾؟

¹ - سؤال محوري لمشروع الصحافيتين، حول نظرة وآراء الشباب العربي للغرب، ومعنى آخر صورة وتمثلات الشباب العربي للغرب. وهو عبارة عن استطلاع واسع مركب من قسمين:

- القسم الأول: قامت به صحيفة "بيريل مولان": في نيويورك تحت عنوان: ما رأيك في الغرب؟

- القسم الثاني قامت به الصحيفة "جوليا جيرلاخ": بمساعدة زميلتها صحيفة "بيريل مولان"، في مدينة "دبي" تحت عنوان ما رأيك في الغرب؟.

للصحافيتين الألمانيتين " جوليا جيرلاخ"⁽¹⁾ و "بيريل مولمان" إلى الفترة التي تلت أحداث 11 سبتمبر 2001 بالولايات المتحدة الأمريكية " التفجيرات".

هذه الفترة التي عادت فيها " أطروحة" " صراع الحضارات" بقوة لصاحبها صامويل فنتنغتون بتغذية وترويج من الخطاب السياسي الإعلامي الإيديولوجي، لمقولة أنّ العرب والمسلمين "الإرهابيين منهم" يكرهون الغرب مجرد أنه عالم ديمقراطي وحرّ وذلك لأسباب دعائية لحشد التأييد الدولي الغربي على الإرهاب وتقديمها للجماهير الغربية " حرباً دينية مقدسة" المسيحية / الإسلام.

قامت الصحافية والمصورة " بيريل مولمان"⁽²⁾ بإستطلاع حول السؤال ما رأيك في العالم العربي؟ في أوساط الشباب في مدينة نيويورك". ولنتصور إجابات الشباب الأمريكي عامة، وهم تحت الصدمة من جهة وتحت وطأة الإعلام الأمريكي الذي اتخذ من الحادث الفرصة السانحة والمبرر القوي للإعلام عن السياسة الأمريكية الجديدة تجاه العالم العربي الإسلامي بحجة القضاء على الإرهاب، والنتيجة أنها توصلت إلى مدى الصورة السلبية التي يحملها الشباب الأمريكي للعرب، تقول بيريل مولمان: " أنّ صورة الشباب العرب في الغرب مشوهة إلى حد كبير، ويعتقد أنّ الإعلام يجسد هذا الشعور لدى الغرب" أنّ العرب يكرهون الغرب وماندفعون لمحاربة كل ما هو غربي.

¹ - صحافية ألمانية، عملت لفترة طويلة بمنطقة الخليج العربي .

² - صحافية ومصورة ، ألمانية بالولايات المتحدة الأمريكية.

ولعل أول ما يتبادل في ذهن المواطن الغربي هو أنّ "الشباب العرب هم أولئك المسلمين المتطرفين الذين يتظاهرون في شوارع القاهرة وقطاع غزة رافعين المصاحف ويحرقون العلم الأمريكي ويهتفون للجهاد".

أما فيما يخص العالم العربي في المشروع اختارت الصحافيتان "دبي" باعتبارها مدينة تشبه "نيويورك" أو "نيويورك العالم العربي"⁽¹⁾، لأنّ "دبي" تضم شباب من مختلف بلدان العالم العربي.

كان الهدف من هذا الاستطلاع في "دبي" حسب الصحافيتان، أنّ الحوار المباشر، يمكن أن يساعد على خلق التفاهم والتقارب بين الغرب والعالم العربي، وتحسين صورة الآخر لدى كل طرف.

وكانت إيجابيات الشباب العربي على السؤال حسب جوليا جيرلاخ متنوعة وعلى الاتجاهات التالية:

- هناك من ينظرون من حيث المبدأ للغرب:
- الإعجاب بالتطور التقني وطبيعة الحياة في الغرب.
- التطلع إلى حياة مشابهة "للحياة الغربية".
- هناك من ينظرون للحياة في الغرب على أنّها غير أخلاقية أو باردة¹:

¹ - على حد تعبير جوليا جيرلاخ.

- أن العلاقات بين الناس والعلاقات الأسرية ليست مترابطة بشكل قوى كما هو في الوطن العربي.

- "الجميع تقريبا يتفق في نقده للسياسات الغربية تجاه الوطن العربي" ⁽¹⁾.

- تقول نفس الصحافية كذلك: "كانوا يقولون لنا، أنتم الإسلام وأنّ الغرب يقود حربا ضد الإسلام ويعتقدون أنّ كل العرب إرهابيين" ⁽²⁾.

- وعن سؤال الصحافيتين عن ماهية الغرب؟ كون مصطلح الغرب عام وواسع، فكانت الإجابات متباينة، هناك من ركز على الجانب السياسي، ومن ركز على الثقافي، إلا أنّ منهم من فرق بين أوروبا وأمريكا، لكن ظلت الإشارة إلى النزاع بين الغرب كله والعرب قائمة في نظرهم.

والجدير بالذكر أنّ الصحافيتين أتممتا الاستطلاع "بدي" قامتا معرضا "ببارلين" لعرض نظرة وآراء الشباب العربي للغرب بالصوت والصورة وبدون تعليق أمام جمهور الزائرين للمعرض. وكانت ترددان على الزائرين "مارأيك"؟ أي في ما سمعه على لسان الشباب لعربي. وكان من ضمن التعليقات: "إنهم لطيفون وليسوا كما كنا نعتقد، إنهم أناس مثلنا!" ⁽³⁾.

دراسة "بوجاردس Bogardus": عمدت هذه الدراسة إلى تناول العلاقات بين الشعوب. وأستجلاء ظاهرة التعصب فيها، قام Bogardus "بأستحداث مقياسه

¹ - الكلام للصحافية جوليا جيرلاخ.

² - الكلام لنفس الصحافية.

³ - تعليقات الزائرين للمعرض على الشباب العربي، على لسان الصحافية "جوليا مولان".

الشهير للتعصب، وطبقة على عينة بلغت 1725 فمن مختلف فآت الشعب الأمريكي وذلك سنة 1930. والمقياس يحتوي على عدة عبارات موجه للمبحوثين، يقاس من خلالها الرضا والقبول للمنتمين لشعوب أخرى وبينت الدراسة ما يلي:

زواج	يهود	الألمان	الإنجليز	
01%	08%	54%	94%	أتزوج منهم
09%	22%	67%	97%	أهادفهم
12%	26%	79%	97%	أسكن معهم
57%	54%	87%	96%	أقبلهم لمواطنين

اتضح من خلال النتائج المتوصل إليها، أن هناك ونظرة متفاوتة من حيث القبول للأمريكين تجاه كل من: الإنجليز والألمان واليهود والزواج، مما جعل الإنجليز الشعب المقبول والمحبيب (لدى الأمريكين وبدرجة كبيرة يليهم الألمان في الدرجة الثانية وبنسب عالية استناد للمقياس المرسوم. ثم في درجة أدنى اليهود خاصة من ناحية الزواج (08%)، إن الأمريكين لا يرغبون في الزواج من اليهود نتيجة الصور والأفكار المسبقة الراسخة لديهم عن اليهود (الخداع / المكر، ...) عدم الوفاء....) وهي الصور نفسها عن اليهود في العالم بأسره، ثم في المرتبة الأخيرة الزواج، أين نسجل التعصب في أعلى درجاته نحو هؤلاء، إذ بلغت نسبة رغبة زواج الأمريكين من الزواج 1% وهي نسبة تقارب العدم... وللملاحظة : أن Bogardus أعاد تطبيق المقياس نفسه بعد حوالي عشرين عاما، داخل المجتمع الأمريكي ونحو الشعوب نفسها (الإنجليز / الألمان / اليهود /

الزنج، وتحصل على النتيجة نفسها) أي: لا تغيير يذكر في الاتجاهات المرتبطة بالنظرة لهذه الشعوب.

التعليق على الدراسات السابقة:

يتضح لنا من خلال الدراسات السابقة المذكورة وأخرى ذات العلاقة أنّ موضوع التصورات الخيالية عن المجتمعات المغايرة، لقي عناية بالغة من طرف الباحثين وفي تخصصات علمية عدّة لما لها من أهمية في بناء الأفكار وتوجيه المواقف والسلوك تجاه المغاير سواء كان خارجي أو داخلي، خاصة في الوقت الراهن الذي تميّز بالدينامية العالية على مستوى العلاقات الدولية وتداخلها وتقارب المسافات الزمانية من جانب التواصل لتعدد وسائله من حيث الكمّ والنوع...

أكّدت الدراسات السابقة هذه على أهمية الخيال ومكانته في طلق الأحكام على المغاير، كما وضّحت مدى معرفتنا له، التي تكون عادة مبنية على الأحكام والأفكار المسبقة، مما يجعلها معرفة غير موضوعية كثيرا ما تنتعد عن حقيقة المغاير بشكل عام.

بنيت الدراسات السابقة على تنوع وتعدد الجوانب التي نظر من خلالها للغرب مثل: النظرة من خلال الموروث والتراث العربي (الرحلة، الحروب الصليبية، الرواية، الدين، الأسطورة،..).

من جانب التواصل الثقافي وعملية التثاقف الناجمة عن انفتاح المجتمعات العربية على العالم الغربي منذ نهاية القرن التاسع عشر- (الصدّام العنيف، الاستعمار) والمتواصلة

وبشكل أوضح حتى الوقت الراهن (نتيجة التفوق وحاجة العرب للمنتوج الغربي: منتوج فكري، تكنولوجي، اقتصادي، سياسي،...).

رَكَزَت معظم الدراسات السابقة على دور الإعلام (علم الإجتماع الإعلام Sociologies de la communication) ودوره في فرز وبلورة صورة الغرب لدى المتلقي العربي، والمناسب للعالم الثالث بشكل عام. وقد استفادت هذه الدراسة من الدراسات السابقة الآتفة الذكر وأخرى كانت لها علاقة لم يتم ذكرها بما يلي:

- ✓ المادة العلمية المتعلقة بالمخيل والتصورات والأفكار المسبقة والنمطية.
- ✓ النظرة للغرب هي شكل من أشكال النظرة للذات.
- ✓ النظرة للمغاير وعلاقتها بهوية الناظر.
- ✓ الاطلاع على مختلف النظريات التي وظّفت كآليات للتحليل، إلى جانب الأدوات والمناهج التي استعملت في هذه الدراسات.
- ✓ دور الإعلام (المرئي والمسموع بشكل خاص) في بلورة صورة الغرب.
- ✓ إحالتنا إلى أهم المصادر والمراجع التي بإمكاننا الرجوع إليها وبذلك تكون أهدتنا السبيل وذلّت لنا الكثير من الصعوبات...

التحليل النظري للدراسات السابقة

فعلى مستوى النظريات المعتمدة في جل الدراسات السابقة التي تم اطلاعنا عليها بعد عملية مسح وتنقيب التي طالت العديد من المكتبات الجامعية الوطنية وأخرى خارجية يمكن حصرها فيما يلي:

نظرية الاتصال :

التي ترمي إلى نتيجة أو فكرة رئيسية والمتمثلة في أن " صورة المغاير " بالنسبة للذات المصورة لا تخلو من راهينية الذات الزمانية والمكانية وعلاقتها مع الذات المصور، وطبيعة العلاقات السائدة بينهما، وبعبارة أخرى أن الصورة تصبح وليدة اللحظة الزمانية والمكانية التي من خلالها صوّرت الذات المغايرة مع الأخذ بعين الاعتبار الإمكانيات الإتصالية المتوفرة بين الطرفين لحظة عملية التصور.

نظرية الصراع:

تهدف هذه النظرية إلى الحرص على تبيان قيمة العداء بين الجماعات والمجتمعات الناتج عن تعدد المصالح وتداخلها في بناء الصورة الخيالية والأفكار النمطية عن الآخر الذي يعتبر مصدر التهديد والخطر على الذات.

نظرية الهوية الإجتماعية / الثقافية:

هذه النظرية تصب إلى تفسير الصور الخيالية المنتجة عن الآخر المغاير في ارتكازها على ما هو ذاتي، فالنظرة إلى الآخر لا تتجاوز ولن تتجرد من الارتكاز على العناصر المكونة للهوية الثقافية الاجتماعية للذات الناظرة.

نظرية الإعلام:

تعد إحدى النظريات التي تكررت في جل الدراسات السابقة، خاصة تلك التي تناولت موضوع الصورة الخيالية للمجتمعات المغايرة (الغريبة) في الوقت الراهن وذلك

راجع لمكانة ودور الوسائط الإعلامية خاصة (الصوت والصورة) في رسم صور الخيالية بطريقتها المتناغمة وأهداف أصحاب القرارات و الدوائر المتحكمة في الإعلام. هذا إلى جانب نظريات أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها، مثل النظرية الرمزية ونظرية التعصب. أما فيما يخص النظريات المعتمدة في موضوع دراستنا هذه نشير إلى توظيفنا لكل من النظريات التالية: نظرية الهوية، نظرية الإعلام نظرية التغير.

أ- نظرية الهوية:

تم اعتمادها لما لها من ارتباط بالذات الناطقة، هذه الأخيرة التي ترى للمغايير انطلاقا من مركزاتها الهويةية الخاصة (التاريخ، الدين، اللغة، الموروث الثقافي، ...) من جهة، و ما تفرزه عملية التواصل مع مجتمعات مغايرة من تأثيرات " تغييرات " من جهة أخرى.

ب- نظرية الإعلام:

تم تبني هذه النظرية لأهمية الإعلام ودوره في كل من الاتصال (الاجتماعي- الثقافي) في الوقت الراهن، وما يقوم بتثبيته من قيم وأفكار لها أهميتها في تشكيل الصور الخيالية .

فالوسائط الإعلامية لما تنتجه من مادة " ثقافية، ترفيهية، إخبارية،... أصبحت المنافس الأول لمؤسسات التنشئة الإجتماعية الثقافية. بل أصبحت تعتمد إلى صناعة كل من الثقافة والخيال.

ت- نظرية التغير:

تمّ تبني هذه النظرية لارتباطها الوثيق بما يجري من تغيرات ثقافية اجتماعية متنامية في المجتمع الجزائري أكثر من ذي قبل، و لما يعرفه هذا الأخير من تحولات بنائية وثقافية منها ما هو داخلي وأخرى خارجية لها تأثيراتها على مستوى النظرة للذات وللعالم الخارجي.

أما عن المناهج المعتمدة في دراستنا هاته، فيمكن الإشارة إلى أن هناك عوامل أثرت في اختيار الأساليب المنهجية وتعددها لهذا البحث وتتمثل في متطلبات الإطار النظري العام للدراسة، كونه محاولة للكشف والفصح عن رموز ومرجعية الخيال بشكل عام وانتقالا إلى الخيال العربي الإسلامي ومنه إلى خيال الأمة الجزائرية... هذا من جهة ، ومن جهة أخرى رصد وتتبع تلك الصور التي تتشكل عنه عبر الصيرورة التاريخية وعرفته من أحداث وتغيرات مختلفة مست مختلف الميادين، وكذا طبيعة بعض الفرضيات المتبينة كحلول أولية للإشكالية المتبناة.

صعوبات البحث :

من الصعوبات التي تلقيناها هو إنفتاح الموضوع على عدّة تخصصات العلمية من جهة، وظروفنا الصحية التي تزامنت مع فترة البحث. إلا أنّ الإرادة والتوفيق من الله عز وجلّ وتحفزيات أستاذنا المشرف حالت دون ذلك.

خطوات البحث

وللإحاطة بكل جوانب هذا الموضوع قمنا بتقسيم عملنا إلى قسمين: قسم نظري وتضمن خمسة فصول، و آخر ميداني من فصلين.

الفصل الأول: فصل تمهيدي ويتضمن :

أولاً: الخطوات المنهجية المتبعة في الدراسة، التي حاولنا من خلالها التطرق إلى مشكلة البحث وأهم الأسئلة المتعلقة به، وكذا التنويه بأهداف وأسباب إختيارنا لهذا الموضوع لما له من أهمية، وتطرقنا فيه كذلك إلى تعريف بعض المفاهيم المحورية المستخدمة في الدراسة، والتذكير بأهم الدراسات السابقة التي عالجت هذا الموضوع، وأخير تطرقنا إلى حل الصعوبات التي لاقيناها في هذه الدراسة.

الفصل الثاني: والذي عنون بالخيال و الصورة ، و يتضمن مبحثين ففي:

المبحث الأول : فخصص للخيال من حيث المفهوم و المصطلحات ذات نفس الجذر: كما حاولنا إبراز قيمة الخيال ك موضوع مشترك للعديد من التخصصات العلمية (الأثروبولوجيا والخيال، الفلسفة، علم الاجتماع،...) من جهة و قيمته "الخيال" في حياة الأفراد والجماعات إضافة إلى التطرق إلى أنواع الخيال (الخيال الديني، الخيال الثقافي الاجتماعي)، وإلى إنصهار وتكامل مجموع تلك الأخيلة في تكوين الخيال الجمعي "الخيال الجماعي".

المبحث الثاني: تم التطرق إلى الصورة من حيث المفاهيم وأنواعها (أنواع الصور الخيالية) والتخصصات التي اتخذت من الصورة موضوعاً لها، وعلاقتها ببعض المفاهيم:

التعصب، التمييز...، وختما هذا الفصل بتبيان العلاقة القوية الموجودة بين كل من الصورة والمخيل.

الفصل الثالث : عنون بـ"صورة الغرب نتاج لتمثلات الهوية الثقافية الجزائرية"، والذي تضمن بدوره مبحثين :

حاولنا من خلال مبحثه الأول " الهوية الثقافية الجزائرية " التطرق لمفهوم الهوية الثقافية في شقيها الجماعية والفردية بشكل عام، لنصل في خطوة ثانية لضبط محددات الهوية الجزائرية وعلاقتها بالشخصية الجزائرية، وهذا تماشيا مع ما أجمع عليه المهتمين بموضوع صورة الآخر المغاير لدى الذات " أن النظرة إلى الآخر تمر أصلا بالنظرة إلى الذات " فيصبح الآخر (الغرب) بمثابة تلك المرأة العاكسة للذات .

وفي المبحث الثاني " التطور الكرونولوجي لصورة الغرب في المخيل الجزائري " تطرقنا إلى تتبع صورة الغرب عبر فترات تاريخية كانت حافلة بما يغني أخيلة الطرفين "الجزائري الغربي" عن بعضهما البعض، انطلاقا من فترة ما قبل التاريخ ومرورا بالفترتان الجزائر الحمادية، و الجزائر في الفترة الموحدية ك نماذج من التاريخ الوسيط، متبوعتان بنماذج من تاريخ الجزائر الحديث وما احتفظ به من صور وتصورات ومواقف تجاه الغرب المتمثل في الإستعمار الفرنسي على وجه الخصوص⁽¹⁾.

الفصل الرابع: " صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري " وقسمناه إلى ثلاثة مباحث:

¹ - * ملاحظة: نتخذ من الإستعمار الفرنسي جزء من الإستعمار الغربي الذي جسّد ميدانيا الإرتباط العميق بين الإستعمار كظاهرة تاريخية إقتصادية إجتماعية ونظام الرأس المالي الذي يعدّ آخر مرحلة من مراحل التطور العالم الغربي.

ففي المبحث الأول " مدخل مفاهيمي للتغيرات السوسيو ثقافية " والذي اقتصرنا فيه على ضبط المفاهيم ذات الصلة بالتغيرات السوسيو ثقافية.

أما المبحث الثاني الذي عنون ب " تمثلات الغرب على مستوى التغيرات الاجتماعية للمجتمع الجزائري " فخصناه لدراسة التغير الذي يعرفه المجتمع الجزائري، إلا أننا ركزنا على التغير الاجتماعي الثقافي ذو المرجعية الغربية، حتى يتسنى لنا تعيين دور هذا التغير على المستوى الذهني وما ينتج مخيالاً تجاه العالم الغربي ومواطنيه من صور وتصورات وأفكار ومواقف.

لنصل إلى المبحث الثالث والأخير المعنون ب " الإعلام وأثره في بناء الصور الخيالية " وهنا تعرضنا إلى مفهوم الإعلام بصفة عامة والإعلام الغربي على وجه الخصوص، وكيف يؤثر هذا الأخير على الهوية الجزائرية، فتطرقنا فيه إلى سياسة التمييز والتسليع الغربي، وكذا أثره "الإعلام الغربي" على كل من الأسرة واللغة والقيم.

الفصل الخامس: "صورة الغرب والإنسان الغربي في الثقافة الشعبية" الذي قسمناه إلى مبحثين.

المبحث الأول: المعنون ب " صورة الغرب في الأمثال الشعبية الجزائرية " والذي اقتصرنا فيه على الأمثال الشعبية كتموج ، والتي تطرقت للغرب كفضاء وللإنسان الغربي كجنس مغاير.

المبحث الثاني " صورة الغرب في الشعر الشعبي الجزائري " تناولنا فيه نماذج من الثقافة الشعبية الذي تمثل في فن الشعر الشعبي ببعض ألوانه كمصدر توجب الرجوع إليه لما له من أهمية في موضوع دراستنا. وما يكتنزه من مادة تعبيرية عن المجتمع الجزائري في علاقته مع الغرب "الإستعمار خاصة" غنيّة بالصور، التمثلات، التصورات، المواقف، آمال.

الفصل السادس: الدراسة الميدانية بعنوان "الغرب من خلال تصورات طلبة جامعة تلمسان "

تم تقسيمه إلى مبحثين الأول بعنوان حدود البحث الميداني تعرضنا فيه إلى:

✓ التعريف بالدراسة التي تحتوي العناصر التالية: تعريف مجتمع الدراسة، عينة البحث، تقنية البحث.

أما المبحث الثاني فخصته لنتائج الدراسة و التي تحتوي العناصر التالية:

✓ الدراسة الاستطلاعية رصدنا فيها صورة الغرب من خلال الثقافة الشبابية.

✓ تحليل المعطيات.

✓ النتائج.

✓ الخاتمة

الفصل الثاني

المخيال والصورة

المبحث الأول: المخيال

في التحليل السوسيو أترولوجي، تعد الصورة المخيالية من المواضيع ذات الأهمية البالغة في معرفة الذات (الذات الجماعية / القومية...) ومعرفة الذوات المغايرة لها وتعيينها، وذلك من خلال ما يكونه أفراد النسق الاجتماعي الثقافي من صور مخيالية ذهنية مشتركة من خلال عملية التفاعل والتنشئة الاجتماعية وما تفرزه من رموز وتمثلات اجتماعية تماشي ووحدها النفسية الاجتماعية التي تكونت عبر مشوارها التاريخي...

فالصورة الذهنية، لا تلبث أن تتدخل وبشكل غير واع في تحديد العلاقة بالآخر، كما تحدد في ذات اللحظة حقولا دلالية فيه. وعليه يصبح الآخر (المغاير) صورة الذات في المرآة وهو الذي يوحى بوحدتها التي لا تدرك إلا من خلاله⁽¹⁾.

يقول ابن رشد شارحا أرسطو: "محال أن يكون الخيال (المخيال) ظنا أو حسا أو علما أو عقلا وعموما أيا كانت من ملكات العقلانية... فهو ليس مركبا من الظن والحس

¹ - نزار الدين، تساؤلات حول الهوية العربية، مجلة المواقف، عدد 66، توزيع دار الساقى، بيروت، شتاء 1992، ص25.

كما يقول بعض القدماء ... فجلي أن الخيال ليس ظنا مقترنا بحس ولا بملكة مركبة من الظن و الحس ... إذن الخيال ليس إحدى تلك القوى و لا مركبا منها .⁽¹⁾

و في مجال آخر يقول : " إن المعاني الخيالية هي محرّكة العقل لا متحركة ... فالخيالات هي ضروب من المحسوسات عند غياب المحسوسات ... (إذن) فالإيجاب و السلب في غير الخيال " فالعقل مجرد التصور ويخلقه أي أنه يجعل من الصور التي تتخيلها النفس معقولة وهذا بخلاف ما يفعله العقل القابل أو العقل المنفعل⁽²⁾ .

فالخيال، هو فيض ومنبع للتخيلات والإرادة، فهو يتمثل الأشياء ويصورها ولكنه لا يتوقف على ما فيها من دلالات معهودة ومألوفة، فهو يعين من جديد ومنه ينبثق الآخر والمغاير. وعليه كل تفكير هو تمثّل وصياغة ولا وجود لعقل دون مخيال أو كما يقول الفارابي لا وجود لعقل دون فانتاسيا وهذه الأخيرة لا تعرف الحدود ولا تستقر على أي تحديد عقلائي⁽³⁾ .

لا يمكن فصل العقل عن المخيال فهما متلازمان فالإنسان ينشئ الدلالات الخيالية والرموز ولكنه يتوهم أن هذه الدلالات متعالية و موضوعية تاريخية. إنه ينشئ

¹ - ابن رشد : الكتاب الكبير للنفس لأرسطو، نقله من اللاتينية إلى العربية الأستاذ إبراهيم الغربي، دار الحكمة، 1997، ص 218-221.

² - ابن رشد : نفس المرجع ص 308 .

³ - Edward Boudi : Quand les conditions ont la force de la réalité, l'unanimité , l'immigration et la cinquième dimension. Le Monde janvier 2001, page 26-27.-

الدلالات الخيالية ويجيها إلى قوى خارجة عن إرادته فيصبح أسيرا لها، كونه لا يخضعها للفحص العقلي.

مفهوم المخيال:

عكس ما تقره الفلسفات العلمية والتيارات الوضعية فإن المتخيل يخترق كل المجالات، ولذلك فبدل تهميشه وإقصائه فمن الأحسن إعادة اكتشاف حقيقته، وقد عرفته إيفيلين بتلجيون Evelyne Patalgean⁽¹⁾ "بأن" مجال المتخيل يتكون من جملة التمثلات التي تتجاوز الحدود المرسومة لشروط التجربة وللتسلسل الاستنتاجي الذي تستوجهه"⁽²⁾.

فعن المخيال يقول الجابري "إن كلمة مخيال Imaginaire هي غير كلمة خيال Imagination، وإن كانتا تنتميان إلى نفس الجذر اللغوي. فالمخيل يتشكل تاريخيا في الذاكرة الجماعية أو في الذهن، ويمكن استغلاله سياسيا وإيديولوجيا في اللحظات التاريخية العصبية. فهو يضرب بجذوره في أعماق اللاوعي عبر تشكله خلال مختلف المراحل التاريخية. هكذا نتحدث مثلا عن مخيال إسلامي ضد الغرب، أو مخيال

¹ - إفلين بتلجين، Evelyne Patalgean: باحثة في التاريخ الاجتماعي والسياسي والديني، أستاذة بجامعة باريس، العاشرة- "NANTERRE"

² - Edition RETZ, paris, 1978, P, 249 Evelyne Patalgean, l'histoire de l'imaginaire dans la nouvelle histoire

غربي ضد الإسلام. فالخيال هنا هو " عبارة عن شبكة من الصور التي تستثار في أية لحظة بشكل لاواعي وكنوع من رد الفعل. بل ويوجد متخيل (مخيل) كاثوليكي ضد البروتستانت أو بروتستانتى ضد الكاثوليك، أو شيعي ضد السنة أو سني ضد الشيعة، الخ... كل فئة تشكل صورة محددة عن الفئة الأخرى، وترسخ هذه الصورة بمرور الزمن في الوعي الجماعي"⁽¹⁾.

بمعنى أن المتخيل هو ما يقع خارج الواقع الحسي، وهو كل ما ليس حقيقة تدرك إما مباشرة، وإما عن طريق الاستنتاج المنطقي، أو عن طريق التجربة العلمية.

ويذهب محمد عابد الجابري إلى أن كلمة imaginaire من الكلمات التي لا نجد لها مقابلاً مألوف الاستعمال في اللغة العربية، والكلمة مشتقة من image بمعنى " صورة ،صورة الشيء في المرآة أو في النفس ،أي في الخيال ،ومن هنا ترجمة الفلاسفة العرب القدماء للاسم الذي يطلق على الملكة الذهنية التي ترسم فيها صور الأشياء الحسية والمتخيلة بلفظ المصورة تارة والخيلة تارة أخرى "⁽²⁾

أي أن المتخيل هو جملة الصور غير الواقعية التي ترسم في النفس، و يتميز المتخيل بتمايز الصور المكونة له، مما يسوغ الحديث عن أنماط للمتخيل.

¹ - محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي، معددات و تجلياته، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، ص 10.

² - محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي، معدداته و تجلياته، ص 15.

و في المعنى الاصطلاحي يحدد الفلاسفة الخيال أو المتخيل كما يلي:

- 1 إنه ملكة استحضار صور شيء ما كنا قد رأيناه سابقا.
- 2 إنه ملكة خلق صور لأشياء غير واقعية، أو لم تر أبدا في السابق، أو ملكة تركيب صور معروفة سابقا و لكن بطريقة جديدة.
- 3 إنه الملكة التي تمكننا من بلورة المفاهيم و التصورات و النظريات الجديدة، و إيجاد تجارب عملية في كل مناسبة.
- 4 إنه عبارة عن العقائد الخاطئة التي تتصورها الروح و تجسدها في المتخيل خارج كل رقابة أو سيطرة للعقل⁽¹⁾.

يخصى مفهوم المتخيل في العلوم الإنسانية و الاجتماعية بأهمية كبيرة حيث تتسع مدلولاته و يوظف بخلفيات معرفية مختلفة كما هو الشأن في الأثربولوجيا، و التاريخ، و علم الاجتماع، و علم النفس، و مقارنة الأديان و الاهتمام بالخيال و المتخيل عند أركون يرتبط بهدفين أساسيين:

الهدف الأول: يتمثل في إبراز دور العامل الرمزي ككل، من خلال الوقوف

على تظاهراته، و تجلياته المختلفة، و من ثمة تجاوز تبخيسه و الحط منه.

¹ - محمد أركون، الإسلام، السياسة و الأخلاق، ترجمة هاشم صالح، اليونسكو، باريس، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط 1، 1990، ص 9.

فالخيال من الواقع و لا يمكن إقامة خطوط قارة بين ما هو خيالي و ما هو واقعي أي أن الخيال بعد أساسي للوجود الاجتماعي لما له من قدرة كبيرة على تشكيل الصور الذهنية و على إنتاج رؤية للوجود و الإنسان، و ذلك ما انتهى إليه " جورج دوبي " عندما درس المتخيل الاجتماعي " L'imaginaire Social "

الهدف الثاني: هو تجاوز الثنائية الميتافيزيقية التي تفصل العقل و الفكر عن الخيال و الصورة، و هي الثنائية التي كرستها العقلانية الديكارتية عندما انتصرت لسلطة العقل و سيادته، و استبعدت الخيلة، التي وصفها ديكارت بأنها "مجنونة المسكن La folle du Logis"⁽¹⁾

و من ثمة تجاوز النظرة القذحية للخيال و عناصره اللامعقولة، و رفض عبادة العقلانية " فالعقل لا يمارس دوره إلا بعلاقة مع الخيال و المتخيل "⁽²⁾ و بالنسبة لمحمد أركون الإلحاح على استخدام العقل و الاستعانة به، غيَّب الحديث عن مفهوم الخيال بصفته ملكة، أو وسيلة للتصور و المعرفة مرتبطة بالعقل في كل العمليات التي يخوضها من أجل الإدراك و التعبير، و الكشف المعرفي⁽³⁾

¹ - محمد أركون، العلمنة و الدين، الإسلام المسيحية، الغرب، ص 26.

² - المرجع نفسه، ص 25.

³ - محمد أركون، الإسلام السياسية و الأخلاق، المرجع السابق ص 08.

فهما تباينت التعاريف المرتبطة بالمخيل بتباين التخصصات العلمية، إلا أنها تلتقي حول أهميته في حياة الفرد (مخيل فردي) والجماعات (مخيل جمعي)، بتعيينه للإشارة إلى الذاكرة، "المعرفة السابقة" وتاريخ وثقافة الذات المتخيلة.

الأتروبولوجيا والمخيل:

اهتمت الأتروبولوجية في دراستها الكلاسيكية التي تناولت المجتمعات البدائية أو الشبه بدائية بالمخيل، من حيث أنه كون عنصراً أساسياً في بناء وإنجاز تلك الشعوب والجماعات لهويتها، وذلك باتخاذها من المتخيل وحقله الواسع من "الأساطير، والحكايات، والخرافات" المرتبطة بسيرورتها التاريخية مرجعية أساسية ومنغلقة لتعيين وعيها بذاتها، ولشدة ارتباط تلك الجماعات بتلك العناصر الميثية من خلال أفعالها وممارساتها اليومية، تحولت إلى حقائق على مستوى وعي أفرادها، فأصبح المخيل أحد عناصر وعيها الثقافي الاجتماعي والسياسي كذلك، يلعب دوراً في بقائها وانسجامها وحتى تطلعاتها: إذ يشير الريبغو تركي إلى مدى "فاعلية المخيل الذي يبلور الأساطير الخاصة بأصول كل فئة أو ذات جماعية، وتساهم في تأسيسها وإنجاز هويتها"⁽¹⁾.

¹ - الريبغو، تركي علي: الإسلام وملحمة الخلق والأسطورة، المركز الثقافي العربي، ط1، 1992، ص 214.

المخيل الديني "Imaginaire religieux":

يقول محمد الجابري في سياق حديثه عن المخيل الديني "بأنه مركب بالمعنى الأكثر عضوية و حيوية لكلمة تركيب بواسطة الصور المتعالية التي تستند إلى دعامة واحدة هي اللغة الدينية" (1).

في حين أن العقل النقدي يأخذ على المتخيل كونه المولد للتصورات و الأفكار الوهمية، لأن المخيل يتشكل في منظوره من الحكايات الخرافية و التصورات الوهمية، و الحكايات الشعبية، و العقائد الأسطورية.

إن سيطرة المخيل الديني على أفراد الأمة يجعل كل عضو من أعضائها يقفز على الأحداث التاريخية، ليعيش وبشكل مباشر وأسطوري مع كل السابقين واللاحقين المعتبرين كرموز وشخصيات مؤسسة لمعنويات الأمة وقيمها الخالدة.

وعليه فإنّ المخيل الديني حسب أركون يطغى على كل ذات مؤمنة أو جماعة كذلك، كونه يملئ عليها كل شعورها وإحساسها فيصبح محرك آمالها وهذا ما يسميه "بالدينامو الروحي". فتتكون الصور الخيالية لديه عن الحياة الخالدة، "الدار الآخرة" وبما فيها من نعيم موعود من جهة والصور عن الرموز الدينية التي وردت في النص الديني

¹ - المرجع نفسه ، ص10.

" الرسل والملائكة ... " ومن جهة ثانية يثري المخيال الديني المؤمن برصيد من الصور عن مغايره ومخالفه في الدين. مما يكون وراء توجيه سلوكاته ومواقفه منه. فتصبح بذلك المخيلة خزان رمزي هائل. يتقاطع فيه المتخيل بالواقعي، الرمزي بالاجتماعي، ويتشابك فيه الأسطوري بالسياسي في شكل تصورات ومواقف فتتكشف التعابير المعززة لهذه المواقف في الخطاب التعبيئي⁽¹⁾، كتلك التي وظفت أثناء الثورة التحريرية الجزائرية مثل: "الصليبيون، الكفار، أعداء الله، الجهاد، الشهادة، الشهيد...."

هذا ما يدفعنا للقول أن صورة الجزائري للإنسان الغربي لا تخلو مما هو ديني باعتباره صاحب ديانة غير ديانتته. فتظهر قيمة المخيال الديني في تعبئة الجماهير في الأوقات الحرجة أو الحروب معه، وذلك بتشويه صورته والطمع في مبادئه ونعته بكل الصفات التي تتعارض وقيمه الدينية السامية. فتظهر لنا قيمة الدلالات الخيالية باعتبارها تمثل حالة ذهنية وعقلية يصعب التشكيك في قوتها وكونها محرّكة أساسية وفعّالة للتاريخ.

المخيل الإجتماعي "L'imaginaire Social":

عرفه " ماكس فيبر " بكونه نشاطا يحمل معنى يقوم بشد الفاعلين الاجتماعيين فينظمون سلوكهم بعضهم إزاء بعض على أساسه " ، ويوضحه " بيير أنصار " من خلال

¹ - إرجع: محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي، محدداته وتجلياته، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء.

شرحه للفعل الاجتماعي الذي يفترض من أجل إنجازه أن يندمج كل سلوك فردي في عمل يحمل طابع الاستمرارية، وبعبارة أخرى فإن الممارسة الاجتماعية، بوصفها تنظم شتات تصرف الأفراد وتوجهه نحو أهداف مشتركة، تفترض وجود بنية معقدة من القيم والاندماج المحمل بمعاني ودلالات، ولغة رمزية ومن هنا فإن كل مجتمع ينشئ لنفسه مجموعة من منظمة من التصورات أي مخيالا من خلاله يعيد إنتاج نفسه، يجعل الجماعة تتعرف بواسطته على نفسها ويتم توزيع الهويات والأدوار ويعبر عن الحاجات والأهداف المنشودة⁽¹⁾.

فالمخيل الاجتماعي دور في الحفاظ على تماسك الجماعة الاجتماعية من حيث تماثل وحدتها النفسية وتطلعاتها المستقبلية . فلا يمكن الفصل بين المتخيل والفئة الاجتماعية، كما لا يمكن فهم الفئات الاجتماعية بدون فهم متخيلها الاجتماعي المنتج لتمثلاتها ، فالدلالات الخيالية قد تشكل المحرك الديناميكي والفعال للمجتمع أكثر بكثير من الشروط المادية. وهذا ما يذهب إليه " بول ريكور" عندما يحدد بدوره المتخيل الاجتماعي بأنه "هو هذه الملكة المنتجة لتمثلاتها، لدورنا في التاريخ و ذلك بالربط بين طموحاتنا المتجهة نحو المستقبل و تقاليدنا الموروثة من الماضي"⁽²⁾.

¹ - عامر عبد زيد، المتخيل السياسي في العراق القديم، مجلة الحوار المتمدن، الموقع. <http://www.ahewar.org>

² - حسن بن حسن، النظرية التأويلية عند بول ريكور، منشورات الاختلاف، ط2، مجلد 1، 1992، ص26.

وليقيمه المخيال ومكائنه لدى الجماعات والمجتمعات اتخذت منه الدراسات السوسولوجية والأنتروبولوجية مرجعا وموضوعا لدراستها قصد معرفة حقيقة تلك الشعوب وطبيعة علاقاتها ومواقفها مع مثيلاتها المغايرة⁽¹⁾، و عليه فمؤرخ الفكر مطالب بتحليل البنى الاثربولوجي للمخيل الديني و الاجتماعي، و الحفر تحت العمليات النفسية و الثقافية و الاجتماعية التي أنتجت باعباره وعاء من الصور و قوة اجتماعية ضخمة تكمن مهمتها في إعادة تنشيط هذه الصور بصفتها حقائق رائعة و قيما لا تناقش تكون الجماعات مستعدة لتقديم التضحية العظمى من أجلها⁽²⁾.

يقول الجابري في تناوله للمخيل الاجتماعي: « إن مخيالنا الاجتماعي العربي هو الصرح الخيالي المليء برأسمانا من المآثر والبطولات وأنواع المعاناة، الصرح الذي يسكنه عدد كبير من رموز الماضي مثل الشنفرى وامرئ القيس وعمرو بن كلثوم وحاتم الطائي وآل ياسر وعمر بن الخطاب و خالد بن الوليد والحسين وعمر بن عبد العزيز وهارون الرشيد وألف ليلة وليلة وصلاح الدين والأولياء الصالحين وأبو زيد الهلالي وجمال عبد الناصر.... إضافة إلى رموز الحاضر والغد المنشود⁽³⁾ »

¹ - هاشم صالح، قراءة في الفكر الأوروبي الحديث، كتاب الرياض، العدد06 ، 1994، ص 114.

² - محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، المرجع السابق ص 29.

³ - محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي، محدداته وتجلياته، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء ، ص 13

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أنّ المخيال الاجتماعي لأي شعب أو أمة هو مخيال مركب من جملة أخيلة التي تكونت لديها عبر تاريخها الطويل، " مخيال سياسي، أسطوري، ثقافي، إيديولوجي، ديني،..."

المبحث الثاني : الصورة.

تجدر الإشارة إلى توظيفنا لفظ " الصورة " بصيغة المفرد، ليس معناه أن هذه الصورة واحدة مؤتلفة ومتفق عليها، بل هي توظيف لجمع صور بصيغة المفرد.

فالمبحث في صورة الغرب وتجلياتها في المخيال الجزائري عامة لا يقتصر- عن منظومة التصورات و التمثلات للغرب فحسب، بل يتعداه إلى منطلقات و مرتكزات بنياتها الفكرية والاجتماعية والقاعدية، كون الصورة في بعض مضامينها التأويلية والإيحائية تتضمن تعبيراً عن أوضاع المجتمع المنتج لها لفترة زمنية معينة ومحدودة والتي ترسخها ثقافته السائدة هذا ما ذهب للتعبير عنه " تودوروف T.todorov " بقوله:

«من المهم (...) إدراك صورة الآخر تحيل إلى واقع من بينها وتعبّر عنه، أكثر مما تحيل إلى واقع من بُنيت صورته»⁽¹⁾.

جليّ إذن، أن عملية البحث عن معرفة صورة الغير لفترة زمنية ما، هي عملية في الوقت ذاته للفصح عن الذات الباحثة وللفترة الزمنية ذاتها. يقول "تودوروف" : « إن

¹ - Todorov. Tzevetan- nous est les autres – la réflexion francais .

معرفة الآخر ترتبط بهويتي الخاصة بي، والمعرفة بالآخر تحدد معرفتي بذاتي، وكل إضافة في معرفة الآخر هي إضافة إلى معرفة الذات»⁽¹⁾

هذا معناه أن الإنسان حسب هذا القول يفكر من الخارج إلى الداخل، ولا يستطيع التفكير من غير أن ينقل من الخارج التصورات التي تثير في نفسه صوراً يجللها، ويحاول مطابقتها مع الخارج، وهذا التصور يجعل الإنسان مهمته تحليل الصور الذهنية التي يتلقاها ويحاول من خلالها معرفة ذاته.

الحقيقة أن التصورات التي تأتي من الخارج كما ترى "جودث غرين" يشترك فيها كثير من البشر لكن تصوراتنا الخاصة إنما تأتي من النسق الذي نضع فيه التصورات، وذلك وفقاً للثقافة التي نعيش فيها ونتلقاها، إن التنسيق الخاص للمعرفة يؤدي إلى تكوين مفاهيم عن الأشياء والصور الذهنية، ويربط بعضها ببعض، ويتكون منها نسج معرفي مغاير للأنساق المعرفية الأخرى⁽²⁾. أو بعبارة أخرى "الصورة هي تمثل لواقع ثقافي أجنبي يتمكن من خلاله الفرد أو الجماعة التي كونه من كشف وترجمة الفضاء الإيديولوجي التي تتموقع فيه"⁽³⁾.

¹ - نقلا عن حافظ إسماعيل علوي ، مجلة الثقافة الجديدة، المحمدية، العدد 29، سنة 1996، ص 26.

² - جودث غرين، التفكير واللغة، ص 110.

³ - D.H.Pageaux, Pour une approche méthodologique de l'image de l'autre. Etudes orientales. P18- (نقلا

عن محمد نور الدين أفايه، الغرب المتخيل المرجع السابق، ص 20).

كما تعتبر الصورة حالة عامة يشترك فيها جميع الناس فهي ليست حكرا على الأدب المقارن، إنها ما تزال الشغل الشاغل لكل الأمم، فقد تكون خيالية أو واقعية تتكون من العقل الجماعي دون أن يدرك أحدا بدايتها أو نشأتها، حيث تستمد مادتها من المقروء والمسموع، والمرئي والذاكرة الشعبية، إنها: أحيانا ما لا نريد لأنفسنا ولعلها موجودة في نفسنا ولكننا لا نريد أن نراها⁽¹⁾.

تتولد الصورة في غالب الأحيان عن أحكام جاهزة تحمل بين طياتها تشويها للقيم من خلال الرحلات والارتسامات والشفوي والجرائد والإذاعة والتلفزة والأفلام السينمائية والرسوم المتحركة، إنها تلعب دورا جوهريا بالإضافة إلى المذهبية العقائدية أو السياسية في ارتباطها الثقافي الوطني.

"ليس في العالم من يستطيع أن ينظر إلى ما حوله نظرة خالصة. كنا ننظر إلى العالم في إطار مجموعة العادات والتقاليد والطرق الخاصة للتقليد [....] ولن يستطيع إنسان حتى ولو كان يقوم باختبارات فلسفية، أن يهرب من هذه المقررات في المجتمع الذي يعيش فيه. بل أن فكرته نفسها عن الحق والباطل لا يمكن أن تكون فكرة مطلقة، بل أنها مرتبطة بالعادات والتقاليد الخاصة لمجتمعه"⁽²⁾.

¹ - سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية، ص 312.

² - بندكت زوث، ألوان من ثقافات الشعوب، ترجمة محمد مرسي وآخرون، ص 20.

إن صورة الآخر في ثقافة ما، هي نتاج لمعايير معرفة وقيمة لهذه الثقافة، وحصيلة الفارق الدال بين واقعتين ثقافيتين، تخضع علاقتهما لشروط تاريخية ملموسة، من الصدام والتنافس، والاقتباس، فهي تجسد عبر تمثلاتها المعقدة، الواقع، والموقف من ثقافة الغير وتمكن- في النهاية - الفرد والجماعة من كشف وترجمة الفضاء الثقافي وتحمل مزيجاً من الأفكار والمشاعر، والمواقف والدلالات الرمزية، وأحكام القيمة التي تتبلور على صعيد الممارسة في شكل تدخلات واحتكاكات، وتنافس في حالة التدافع والسلام⁽¹⁾.

في سبيل تحديد البنية القصدية للصورة والخصائص الجوهرية لها لا يفتأ "سارتر" ينبه في امتداد صفحات كتابه على الطبيعة المتعارفة للإدراك والتخيل باعتبارهما فعلين يحضر- بموجبهما الموضوع أمام الوعي ويتشكلان انطلاقاً من القصدية التي تملأ لها ذلك الموضوع، وان تمثل أساس تعارضهما جوهر قد تبنى مفهوم الصورة على هذا الاعتبار.

لم تشر إذن كلمة الصورة إلا على علاقة الوعي بالموضوع وبعبارة أخرى إنها طريقة معينة في ظهور الموضوع أمام الوعي أو إذا شئنا إنها طريقة معينة يسلكها الوعي لكي يمنح لذاته موضوعاً.

¹ - شمس الدين الكيلاني، صورة أوروبا عند العرب في العصر الوسيط، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2004 ص.12.

فمن خلال ما سبق ذكره، يمكننا القول بأن الصورة هي الأحكام والصفات والتقديرات العامة الإيجابية أو السلبية النابعة من الانطباعات الذاتية والمستندة إلى خلفية الإرث الثقافي والبعد الإيديولوجي والتراكم المعرفي والتي تطلقها جماعة بشرية على جماعة أخرى أو كيان جماعي تكرر نتيجة الأحكام المسبقة التي تحملها حولها.

وكما يمكن القول أن الصورة الخيالية المنتجة لدى جماعة أو مجتمع ما عن غيرها من الجماعات أو المجتمعات كما عبرت عنها المفاهيم الفكرية والتنظيرات، هي بمثابة عملية مخيالية تعكس فيها الجماعة رأيها عن نفسها، في الوقت الذي تنتج تخيلها عن غيرها فيمتزج فيها موقفها الإيديولوجي بحدود معرفتها واتجاه مصالحها ومدى انفتاح ثقافتها على تقبل الآخر الداخلي والخارجي ويمدى إدراك الجماعة للفارق الذي يفصل ثقافتها عن الثقافة الأخرى وتتأثر بحالة الصراع أو السلم التي تطبع علاقتهما في سياقها التاريخي.

فالصورة كانت موضوعاً مشتركاً لعدة تخصصات علمية مثل علم النفس وعلم النفس الإجتماعي وعلم الإجتماع والأنتروبولوجيا والأدب المقارن... إذ ساهمت هذه التخصصات كل بطريقتها في إثراء موضوع الصورة وما يمكن استنتاجه مما خلصت إليه تلك التخصصات من نقاط مشتركة حول الموضوع: هو ذلك التلازم بين "صورة الذات"، صورة الذات الناظرة والدارسة ومفهوم "صورة الذات المنظورة أو المدروسة" إذ يعبر ذلك التلازم على مستوى المفاهيمي عن طبيعة الآلية التي يتم وفقاً

لها تشكيل كل منها بمعنى أن صورة الشعوب والجماعات عن نفسها لا تتم إلا بحضور تصوراتها ونظراتها إلى ما يغيرها من المجموعات والشعوب. وما تحمله تصورات هذه الأخيرة عن الأولى والعكس... كون عملية لتصور وليدة المخيل الجمعي للذات الجماعية " النحن " و "الهّم".

الصورة الذهنية:

لقد تعددت التعاريف المرتبطة بالصورة الذهنية في الدراسات الغربية والعربية، فوردت توظيفات متعدّدة نذكر منها: الصورة الذهنية، الصورة النمطية، الصورة المقولبة والصورة المنطبعة إلا أنّها تؤدي نفس الدلالة في معظمها وكل هذه الاصطلاحات هي مرادفات عربية مقدمة لاصطلاحي stereotype و image، ويعني الأول، الصورة الذهنية على وجه التحديد، فيما ينطلق الثاني كما استعمله والتر ليبمان في كتابه الشهير (الرأي العام) من عالم الطباعة ليعني الصورة النمطية في معرض إشارته إلى إن الإنسان لا يستطيع أن يحيط بالعالم كله عبر مواهبه، لذا يلجأ إلى تكوين صور في خياله عن العالم الذي لا يستطيع أن يدركه عبر التجربة المباشرة من خلال حواسه وتكون هذه الصورة مقبولة لديه. وهذه الصورة " ما هي إلا تمثيل مبسط لبيئة غير حقيقية وينتج هذا التمثيل

بسبب ضيق الزمن الذي يمتلكه الإنسان في هذه الحياة من جهة ومحدودية الفرص المتاحة للتعرف الشخصي المباشر على حقائق العالم من حوله من جهة أخرى (1).

فيرى د. "علي عوجة": أن الصورة الذهنية هي النتاج النهائي للانطباعات الذاتية التي تتولد عند الأفراد أو الجماعات إزاء شخص معين أو نظام ما أو شعب أو جنس بعينه. أو منشأة أو مؤسسة أو منظمة محلية أو دولية أو مهنية معينة أو أي شيء آخر يمكن أن يكون له تأثير على حياة الإنسان (2).

وعرفها المعلق السياسي الأمريكي الشهير "والتر ليمان على أنها" الصورة الذهنية المشتركة التي تحملها مجموعة من الأفراد والتي تتكون غالبا من رأي مبسط أو ناقص أو مشوه أو قد تتمثل في موقف عاطفي تجاه شخص أو قضية أو حدث ما ، ويمكن القول في العلوم الاجتماعية هي صورة ذهنية أو فكرة مبسطة ومعممة على كل أفراد وجماعة وهي تتجاهل الفروق الفردية بينهم (3).

فالصورة الذهنية هي الأفكار التي تتكون في عقول ووجدان الجماهير تجاه قضية أو شخص أو منظمة أو فكرة، وهي تتبادر إلى الأذهان عند ذكر اسمها لتعطي مفهوما معينا عنها، قد يكون طيبا أو سيئا وتتكون هذه الصورة مما يستقيه الفرد من وسائل

¹ - Walter Lipman, Public Opinion, New York: Macmillan Co., 1922, p. 29.

² - د. علي عوجة، العلاقات العامة والصورة الذهنية عالم الكتب، القاهرة، 1983، ص 10.

³ - نقلا عن :

الإعلام وما يكتسبه من معلومات ومعارف وخبرات حول القضايا أو الأفكار أو المنظمات أو الأفراد⁽¹⁾.

فعليه تصبح الصورة الذهنية هي ذلك المركب من خبرات وأفكار ومعارف ومعلومات السابقة التي يملكها الفرد أو الجماعة المتخيلة عن موضوعها بغض النظر إن كانت صحيحة أو خاطئة، إيجابية أو سلبية، واقعية أو وهمية، والتي لها القدرة أن تحل محل الواقع.

صورة النمطية:

هي القوالم أو النماذج الجاهزة التي يكونها فرد أو جماعة أو شعب عن فرد أو شعب أو جماعة أخرى بفعل عمليات تاريخية تراكمية تلعب وسائل الإعلام دور كبير فيها اليوم ومن خلال هذه الصور النمطية يمكن أن نعرف تصور الشعوب عن بعضها البعض .

يبدو أن ثمة تقارب بين مفهوم الصورة النمطية والأحكام المسبقة ، فالأحكام المسبقة هي مواقف سلبية أو إيجابية تتخذ تجاه شخص أو جماعة ويصعب تصحيحها

¹ - عبد العزيز العسكر، الصورة الذهنية محاولة لفهم واقع الناس والأشياء، دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض، 1414هـ ، ص، ص:20-21.

بسبب الجمود والشحنات الانفعالية، حسب تعريف الباحث الألماني " أيريل ديفيس"⁽¹⁾، وبذلك تدخل الأحكام المسبقة في نسيج وتكوين الصورة النمطية.

ويرى "سيمسون وينغر" أن هذه الصورة النمطية تتبالغ في بعض الصفات الواقعية المستحبة أو غير المستحبة ولكنها تشمل صفات أخرى كاذبة كلياً مع أنها تبدو صادقة ظاهرياً بسبب ارتباطها بميول واقعية².

كما تعرف الصورة النمطية كذلك على أنها "«الرؤى أو التصورات الجاهزة الموجودة قبلياً لدولة أو لشعب والتي يتم استقائها من خلال بعض التفسيرات التاريخية أو يصنعها شخص ما بنفسه»"⁽³⁾، وعملياً يمكن القول بأن مفهوم الصورة يتضمن رأي شخص ما حيال دولة أو شعب بأنه سيء أو جيد... قويّ أو ضعيف... صديق أو عدو.

كما عرفتها الأستاذة إرادة الجبوري بأنها " حكم قيمة - سلبي أو إيجابي - بالغ البساطة والتعميم يقترن بفتة من الناس (قومية ، ديانة ، جنس ، جماعة معينة .. الخ) متجاهلاً الفروق الفردية بين أعضاء تلك الفتة ويصعب تغييره في معظم الأحيان"⁽⁴⁾.

¹ - عن إرادة الجبوري ، محاضرات في الصورة النمطية لطلبة كلية الإعلام جامعة صنعاء ، غير منشورة)

² عبد الله عبد الرحمن الفيصل مرجع سابق ص 117.

³ - غليلي كمالأمير، مداخلة دور المراكز البحثية في تشكيل الرأي العام وصورة الآخر، دراسة لحالة مركز الدراسات الآسيوية بجامعة القاهرة، المؤتمر الدولي، استطلاعات الرأي العام واتخاذ القرارين النظرية والتطبيق (6-8) فبراير 2007، جامعة القاهرة

⁴ - السيد ياسين ، الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر ، بيروت ، دار التنوير ، 1981م ، ص 41.

فالصورة النمطية تعدّ في تعريفها العام تلك الأحكام والصفات والتقديرات العامة الإيجابية أو السلبية النابعة من الانطباعات الذاتية والمستندة إلى خلفية الإرث الثقافي والبعد الإيديولوجي والتراكم المعرفي والتي تطلقها جماعة بشرية على جماعة أخرى أو كيان جماعي تكرر نتيجة الأحكام المسبقة التي تحملها حولها

فإذا ما حاولنا معرفة الفرق بين الصورة الذهنية والصورة النمطية فيمكن القول أنّ الأولى هي بمثابة الكل إزاء الجزء "إنها المرحلة التي تسبق الصورة النمطية" فهي في الغالب غير صحيحة كونها مجرد انطباعات عامة لا تخضع لأسس علمية. أما الصورة النمطية هي تلك الصورة التي تتولد عن عملية التكرار المتواصل للتصورات والانطباعات لدى الأفراد والجماعات، مما يجعل منها مستعصية التغيير والتصحيح.

علاقة الصورة بالتعصب:

التعصب ظاهرة اجتماعية لازالت مستمرة، ففي العصور القديمة مثلا كان اليونان يعتقدون أنهم وحدهم الجديرون بالحرية والسيادة وأنّ الجماعات الأخرى ليس لها إلا الخضوع والطاعة لهم⁽¹⁾، كما ينظر اليهود إلى أنفسهم على أنهم "شعب الله المختار" طبقا للتنزيل الرباني، قد يكون التعصب محليًا نحو جماعة أو مجموعة تعيش في نفس الحيز

¹ - السيد محمد بدوي، علم الاجتماع الاقتصادي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1988، ص 182.

الجغرافي ويصبح تعصباً إثنيّاً أو قومياً أ ودينياً (بين البيض والسود في الولايات المتحدة، جنوب إفريقيا، بين الصرب والمسلمين أسلافيين في يوغسلافيا، بين العرب واليهود في فلسطين) كما يمكنه أن يكون تعصبا نحو أقواما بعيدة.

كما عرّف التعصب على أنّه اتجاه " سلبي نحو جماعة معيّنة أو نحو أعضائها"⁽¹⁾. ولا يفهم من التعصب الاتجاه السلبي والرفضى للآخر فقط، بل هناك التعصب الإيجابي أي المآزرة والمناصرة لأقوام أجناس على حساب أقوام أخرى.... كمقولة الرئيس الراحل " هواري بومدين" التي ندرجها كمثل لهذا النوع من التعصب: " الجزائر مع فلسطين ظالمة أو مظلومة " فالمقولة تجسّد أسمى معاني التعصب للشعب الفلسطيني المرتكزة على القومية العربية والإسلامية الذي غدّته كل من الصراع الليبرالي الاشتراكي والتحالف الغربي الرأسمالي مع الصهيونية والصراع العربي الصهيوني والذي لازال قائماً. فالتعصب بشكل عام هو نصرة الجماعة التي نؤمن بمبادئها سواء في ذلك كان على حق أو باطل على أساس القاعدة القائلة "أنصر أخاك ظالماً أو مظلوما"⁽²⁾.

¹ - تأليف نخبة من أساتذة علم الاجتماع الإسكندرية، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، ص 345.

² - عبد الله معتز، الاتجاهات التعصبية بين الذكور والإناث، مجلة علم النفس، رقم 1، العدد 44، ص 57
أنظر كذلك السادة مصطفى: نحن والآخر الانفتاح أو التعصب، مجلة النبأ، العدد 47، ص 22.

قد عرف التعصب على انه اتجاه سلبي نحو جماعة معينة أو نحو أعضائها، وعمدنا إلى إقحام هذا المفهوم في البحث لما يحويه من آراء مسبقة وأفكار مقولبة تكون غالبا آراء تشكل صورا نمطية معينة للذات نحو الآخر ولما لها من انعكاسات.

كثيرا ما يطغى التعصب على العلاقات بين الجماعات الأثنية كما أن التعصب يتشكل من قضيتين متنافرتين أحدهما القبول المطلق والآخر الرفض المطلق⁽¹⁾، ويتميز التعصب بوجود ما يمكن تسميته بالعربية صورا نمطية أو أفكارا مقبولة أو آراء مسبقة.

لذلك الصورة النمطية لا تعكس بالضبط صفات أصحابها ومصداقيتها وقد لا تتعدى مصداقية "كاريكاتير" وهي من جهة نظر بحاجة إلى تصحيح، وهناك تفسيرات عديدة للتعصب وعلاقته بالصورة النمطية أهمها تفسيران رئيسيان :

التفسير النفسي: هو بشكل عام يرجع التعصب إلى الصورة النمطية وإلى العوامل النفسية مثل (الخوف والقلق والشعور بالنقص والإحباط) أو إلى الخلل في التركيب والتكوين النفسي للأفراد. إلا أن هذا التفسير لا يولي إهتمام لذلك التعصب الموجود بين الجماعات المختلفة الذي يكون عادة ذو علاقة بنوعية العلاقات السائدة بين تلك الجماعات من جهة، والمعتقد الديني السائد فيها.

¹ - عبد الله عبد الرحمن الفيصل المساندة الاجتماعية بين الطلاب السعوديين والجنسيات العرقية مجلة العلوم الانسانية العدد 03 عام 1995 ص 116.

التفسير الاجتماعي: يرى بعض العلماء أن التفاوت في المكانة والقوة بين جماعتين يخلق شعورا بالتعصب ولاسيما لدى أفراد الجماعة المسيطرة، فعلى سبيل المثال نذكر نظرة المعمرين الغربيين في فترة الإستعمار الدونية للأهالي الجزائريين باعتبارهم جنس متخلف لا يرقى إلى مرتبة الإنسان الأوربي ما توجب معاملته معاملة قاسية، معاملة الأسياد إلى العبيد .

إذن تعد الصورة النمطية مصدرا للتحيز والتعصب تجاه الجماعات النمطية ولقد عرفها "البورت" بأنه المعتقد المبالغ فيه والمرتبط بفئة ما".

إن ما يجمله الفرد من أفكار تجاه الآخرين ومعتقدات واتجاهات وما تحمله جماعة من صور تجاه جماعة معينة أو شعب اتجاه شعب آخر يؤثر في السلوك تجاه الأفراد والجماعات ويسهل أو يعيق التفاعل معها.

إن كشف هذه الصورة يسهل عملية الاتصال الثقافي ويبعد الأفراد والجماعات والشعوب عن الاستناد إلى معايير التمرکز العرقي، وزيادة الاعتماد على المعايير الاجتماعية السائدة في المجتمع المعني عند الحكم على سلوكيات الأفراد أو الجماعات فيه، وقد يسود ويظهر التعصب بشكل صور نمطية أو سلوكية خاطئة.⁽¹⁾

¹ ذياب البدانية مقال حول الصورة النمطية للعرب والغرب واليهود لدى الطلاب الاردنين جامعة منتوري قسنطينة الجزائر عدد 11.1999. ص 65

الصورة والمخيل:

" الصورة والمخيل " مصطلحان كثيرا ما يقتربان حتى لا نقول لا يفتقران، وذلك للعلاقة التي تربطهما في جميع الحقول العلمية التي تناولهما، كون المخيل هو الوعاء المتكون من مجموع الصور التي ترسبت في مخيلة الفرد أو الجماعة، والتي يتم إستدعاءها في عملية التخيل ولكلاهما أهمية في فهم الجماعات والمجتمعات بالبحث في ذاكرة والثقافة المتبناة لهذه المجتمعات.

يقول "ميشال مافيزولي"⁽¹⁾ «لا يمكن أن تتقدم المجتمعات إذا لم تهتم بهذا الموضوع (الصورة والمخيل) إنّ المخيل ضروري أيضا للتعبير عن الذات وإدراك الواقع»، وهو ما عبّر عليه "ماكس فيبر" بمقولته لا يمكن فهم الواقعي إلاّ عن طريق اللاواقعي. وهاتان النظرتان تتناغمان مفهوميما فيما ذهب إليه محمد أركون في تعريفه للمتخيّل بقوله أنّّه: "مشكل تاريخيا في الذاكرة الجماعية أو في الذهن، وهو قابل للاستثارة

¹ - ميشال مافيزولي (Michel Maffesoli): فرنسي، عالم الاجتماع، مولود بتاريخ 4 نوفمبر 1944، متحصل على دكتوراه في علم الاجتماع ودكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية، أستاذ بجامعة السوربون:

يدير مركز البحوث حول المخيل بفرنسا.

يدير مركز الدراسات حول المعاصر واليومي (فرنسا).

يشرف على نشرات عالمية.

من مؤلفاته: اللحظة الأزلية، نسق الحياة، زمن القبائل، تأمل العالم...

مع العلم أن هذه المؤلفات نشرت إلى عدة لغات.

والتحريك كلما دعت الحاجة إلى ذلك... إنَّ المتخيّل عبارة عن شبكة من الصور التي تستثار في أي لحظة في شكل نوعي وكنوع من رد الفعل⁽¹⁾.

وهذا ما نفسّر به تلك الردود من الأفعال العفوية والمنظمة من طرف الجماهير العربية الإسلامية في مناطق مختلفة للتعبير عن أحداث وسلوكات سياسية، عسكرية، غربية تجاه الأمة العربية أو بعض شعوبها أو رموزها "تصريحات أو صور كاريكاتورية مسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، اعتداءات صهيونية على الفلسطينيين العزل...".

فإذا رجعنا إلى علاقة العالم الغربي بالعالم العربي الإسلامي مثلاً، فنشير على أنّه رغم التباينات والفوارق الموضوعية داخل الفضاء الغربي، لازال مخيال الإنسان الغربي وثقافات الشعوب الغربية تحوي صوراً مخيالياً وتصورات تقليدية عن العرب والإسلام، تمّ إنتاجها خلال قرون مضت، صوراً تتميز بالتمطية ضلّت خاضعة للتكرار باعتبارها موروثاً عن السلف مما أهلها لتكون جزءاً من إرث التاريخ الثقافي لهذه الشعوب الغربية من جهة، وتقليدية مستحدثة من جهة ثانية، تمّت عملية إنتاجها وفق آليات "إعلام، استشراف"، خاضعة لسلطة الزمن الحاضر، الذي يعدّ امتداداً لماضيه والذي يولي أهمية لآتيه "المستقبل".

¹ محمد أركون: من فصل التفرقة إلى فصل المقال... أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثانية، 1995، ص 12.

بمعنى آخر أنّ صور الغرب عتًا، صورًا نتاج أبعاد الزمن الغربي الثلاثة⁽¹⁾. في علاقته مع العالم العربي الإسلامي وبعبارة أشمل، إنّها صور وليدة المنتج الثقافي السياسي الإيديولوجي والإعلامي الغربي.

¹ - عبارة يراد من خلالها الإشارة إلى الصورة الناتجة عن نظرة الغرب للعرب والمسلمين تبعًا للعلاقات البينية والتي تشمل الماضي والحاضر والاستشرافية كذلك.

الفصل الثالث

صورة الغرب

نتاج لتمثلات الهوية الثقافية الجزائرية

المبحث الأول: الهوية الثقافية الجزائرية

الهوية من أهم السمات المميزة للمجتمع ، فهي التي تجسد الطموحات المستقبلية فيه ، وتبرز معالم التطور في سلوك الأفراد وإنجازاتهم في المجالات المختلفة، بل تنطوي على المبادئ والقيم التي تدفع الإنسان إلى تحقيق غايات معينة، وعلى ضوء ذلك فالهوية الثقافية لمجتمع ما لا بد وأن تستند إلى أصول تستمد منها قوتها ، وإلى معايير قيمة ومبادئ أخلاقية وضوابط اجتماعية وغايات سامية تجعلها مركزا للاستقطاب العالمي والإنساني⁽¹⁾. فالهوية من أهم المواضيع التي شغلت المفكرين وتضخمت بشأنها المقاربات والدراسات والبحوث؛ فهي تعد مشروع مفتوح على المستقبل ومتداخل ومتشابك ومتفاعل مع الواقع والتاريخ في نفس الوقت.

فتنوع الهويات وتعدّد الخصوصيات ليس فيه ما يتعارض وقضاء المصالح المشتركة بين الشعوب والأُمم في إطار التعاون الإنساني القائم على قاعدتي التعارف والتعايش. وإنما ينطوي هذا التنوع على عناصر تغذي الميول الإنسانية الفطرية نحو امتلاك أسباب التقدم والرقيّ بجافز من التنافس الطبيعي، وبوازع من التدافع الحضاري. فيمكننا القول على أنها كل ما يشخص أو يصف الذات ويميّزها، فهي أساسا تعني التفرد

¹ - عبد الودود مكروم : قيم هوية وثقافة - الإنماء _ مدخل لتحديد دور التعليم العالي في بناء مستقبل الأمة العربية، المؤتمر العلمي العشرون " مناهج التعليم والهوية الثقافية " المنعقد في الفترة 30 - 31 يوليو 2008 بدار ضيافة جامعة عين شمس ، مجلد 4 ، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس ، ص 1375.

والاختلاف، كونها وحدة مترابطة ومتكاملة من المشاعر والأحاسيس الداخلية التي تتمثل في الشعور بالاستمرارية في البقاء وكذلك التمايز والديمومة والجهد المركزي⁽¹⁾.

الهوية هي الذاتية والخصوصية وهي القيم والمثل والمبادئ التي تشكل الأساس النخاع للشخصية الفردية أو المجتمع، وهوية الفرد هي عقيدته ولغته وثقافته وحضارته وتاريخه، وكذلك هوية المجتمع فهي الروح المعنوية والجوهر الأصيل للكيان الأمة. الهوية أيضا هي الوعي بالذات الاجتماعية والثقافية، وهي ليست ثابتة وإنما تتحول تبعاً لتحول الواقع.

فهوية أية أمة أو شعب من الشعوب هي مجموعة الصفات أو السمات الثقافية العامة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد الذين ينتمون أو يدعون الانتماء إلى هذه الأمة أو الشعب.

الهوية الثقافية الجزائرية:

لكل مجتمع من المجتمعات الإنسانية مجموعة من الخصائص والمميزات الاجتماعية والنفسية والمعيشية والتاريخية التي تعبر عن كيان ينصهر فيه جميع أفراد المجتمع، هذه الخصائص والمميزات هي ما يطلق عليه اسم الهوية الثقافية. وتعتبر الثقافة عنصراً هاماً

¹ - إيكس ميكشيللي، ترجمة: د. علي وطفة؛ الهوية، دار الوسيم للخدمات الطباعة، الطبعة 1، 1393، ص. 17.

من عناصر التراث الاجتماعي، و تشمل الثقافة فيما تشمله ما يتلقاه الفرد من مظاهر الفنون و العلوم و المعارف و الفلسفة و العقائد و ما إليها من خلال عملية التنشئة الإجتماعية الثقافية.

كما يشمل التراث الثقافي أموراً معنوية و أخرى مادية و لا تقل أحدهما عن الآخر و تعد العادات و التقاليد من مكونات الثقافة و يمكن اعتبارها الميزة الأساسية الثابتة و المتغيرة نسبياً و التي لا تخلو منها المجتمعات و منها المجتمع الجزائري، لأن العادات و التقاليد إرث ثقافي غني لا يستهان به في كثير من الأوقات فهي رسالة يحملها الفرد إلى أي مكان معبراً بذلك عن هويته. لكن اليوم كل هذا التراث مهدد بالضياع و الزوال و التغير، و هذا راجع إلى عدة أسباب تتمثل أهمها في تغير نمط الحياة التقليدية و عصرنة الثقافة المادية.

بعد تطرقنا لمختلف المفاهيم المفتاحية المرتبطة بالموضوع لابد علينا من ربطها بمفهوم لا يقل أهمية عنها وهو الهوية الثقافية الجزائرية.

فمجتمعنا الجزائري جزء من العالم العربي الإسلامي هذا يعني أن الهوية الثقافية الجزائرية بالمفهوم الحضاري تعني "الإنتماء إلى الأمة العربية الإسلامية بكل مكوناتها الواضحة اجتماعياً"، كما ولا بد لنا التنويه بوجود هوية ثقافية جماعية وكذا هوية ثقافية فردية.

فالنوع الأول: يختص بما يشترك فيه الفرد مع الأشخاص الآخرين المكونين للجماعته والتي يختلف بها بالمشاركة معهم عن سائر بني البشر.. وفي سياق هذا الكلام يمكننا الاستناد بتعريف " جلايزر وموينيهان " فيطلقان مصطلح الهوية على كل جماعة تتميز بالإحساس بالاختلاف الواضح بسبب الثقافة والأصل. أما "ماكس فيبر" يتحدث عن الجماعات لها إحساس بالأصل المشترك⁽¹⁾.

فهذا النوع من الهوية يحملها أفرادها الأعضاء في الجماعة ولكنها لا تظل أعضاء الجماعة بمجمل المفاهيم الخاصة بها، فهي من ناحية لها وجود منفصل في صورة نتاجات تاريخية مجتمعة، وتضم من ناحية أخرى قطاعات مختلفة من الجماعات تختلف كل منها عن الآخر اختلافًا كبيرًا في درجة تداخلهم الفعال والتزامهم الوجداني تجاه الجماعة⁽²⁾.

فكل هذا يسوقنا إلى التذكير بالهوية الثقافية الفردية التي تتأثر بالهوية الثقافية الاجتماعية، أي من إدراكه الخاص للطريقة التي يراها بها الآخرون. بمعنى أنّ نظرة الفرد الجزائري للغرب مستمدة في جزء منها من الوعاء الثقافي للمجتمع الجزائري، الذي يعبر عن تجربة الشعب الجزائري التاريخية مع العالم الخارجي بما فيها العالم الغربي.

¹ - محمد صالح الهرماسي، مقارنة في إشكالية الهوية، المغرب العربي المعاصر، دار الفكر، سوريا، الطبعة 2001، 1، ص 24.

² - عادل ندا، جدال حول الهوية "الحكمة والانفعال" الحوار المتمدن، العدد رقم 1433 بتاريخ 2006/01/17.

فالهوية الثقافية الفردية حسب علماء الاجتماع السياسي هي "مجموعة من الخصائص والمميزات التي يمكن للفرد عن طريقها أو من خلالها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها والتي تميزه عن الأفراد المنتمين للجماعات الأخرى⁽¹⁾.

أمّا "الشاميّ" فعرف هذا النوع من الهوية على أنه الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، والتي عن طريقها ومن خلالها يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتميا إلى تلك الجماعة.

بدون هوية اجتماعية وثقافية يغترب الأفراد عن بيئاتهم الاجتماعية والثقافية، بل وعن أنفسهم تماما ، وبدون تحديد واضح للآخر لا يمكنهم تحديد هوياتهم الاجتماعية والثقافية ، ويشير " برهان غليون إلى أنه " لا تستطيع الجماعة أو الفرد إنجاز مشروع مهما كان نوعه أو حجمه ، دون أن تعرف نفسها وتحدد مكانها ودورها وشرعية وجودها كجماعة متميزة ، فقبل أن تنهض لابد لها أن تكون ذاتا"⁽²⁾

وذكرت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أن الهوية الثقافية هي " النواة الحية للشخصية الفردية والجماعية ، والعامل الذي يحدد السلوك ونوع القرارات والأفعال

¹ - سالم حدّاد، صراع الهوية بين الأنا والآخر، المغرب العربي نموذجا، الأطلسية للنشر، ص8.

² - برهان غليون : اغتيال العقل ، القاهرة : مكتبة مدبولي ، 1990، ص32

الأصيلة للفرد والجماعة ، والعنصر- المحرك الذي يسمح للأمة بمتابعة التطور والإبداع، مع الاحتفاظ بمكوناتها الثقافية الخاصة وميزاتها الجماعية ، التي تحددت بفعل التاريخ الطويل واللغة القومية والسيكولوجية المشتركة وطموح الغد " (1)

إذن الهوية الثقافية لأي شعب من الشعوب وأمة من الأمم هي ذلك القدر الثابت والجوهرى المشترك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات أو أي شعب عن غيره من الشعوب، والتي تجعل الشخصية الوطنية طابعا تميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى، وفي هذا الصدد يقول الخطيبي: "إنّ العربي هو الذي يتقدّم بوصفه عربيا أينما وجد في تاريخه وفي ذاكرته في مجال حياته ومماته... أينما كا في العالم العربي أو غيره. الإسغاء لذاكرته "الفردية والجماعية" في تمثل الفضاء الذي يؤطرها وهذا التأطير متعدّد، لأنه يبدأ من الداخل الأكثر حميمة والأكثر سرية لشخص ما إلى هوية الارض أو مجال حضاري، بل إلى الحدود الإنسانية والكونية التي تكيف واقعه وتمخّيله لذلك فإنّ العربي يغدو إسما لهوية في صيرورة، أي ذلك الذي يتوافق مع متغيرات العالم للتفاوض على موقعه، أينما وجد حتى في بلدان أخرى، مع شركاء حقيقيين (2).

¹ - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : الحطة الشاملة للثقافة العربية ، ط 2 ، تونس : إدارة الثقافة ، د .ت ، ص 21
² Abdelkébir khatibi, peuserle Maghreb, ed. smer, rabat.1993.p51

محددات الهوية الجزائرية:

إن الهوية الوطنية هوية جامعة أي هوية مشتركة أو بتعبير آخر فإننا حين نتحدث عن هوية وطنية فإننا نتحدث عن القواسم الثقافية والدينية والتاريخية والمصلحية المشتركة التي يتفق عليها ويقبل بها غالبية المواطنين الجزائريين. هذه القواسم المشتركة التي أصبحت تمثل الحس المشترك لدى الفرد الجزائري المكتسب تاريخيا وفي حيز جغرافي " الجزائر". والهوية الوطنية ذات طابع بنيوي يمكن اختزاله في المكونات⁽¹⁾ العامة التالية:

- 1- الانتماء الجغرافي: ونقصد به ذلك الحيز الجغرافي المحدد سياسيا ضمن الخريطة المعيّنة لمختلف الدول القومية. هذا الحيز الذي يتوسط الدول المغاربية والمطل على البحر الأبيض المتوسط جنوبا ذو الامتداد مع دول الساحل الإفريقي.
- 2- الدين: باعتباره عقيدة تكيف المفاهيم والتصورات، وعبادات تنبع من هذه العقيدة وتضبطها، وشريعة تنظم الحياة في شتى مظاهرها، ومنظومة خلقية تحدد السلوك وأنماط العلاقات. فهو من المقومات الأساسية للهوية الثقافية، إذ أنه هو الذي يحدد للأمة فلسفتها الأساسية عن سر الحياة وغاية الوجود، كما يجيب عن الأسئلة الخالدة التي فرضت نفسها على الإنسان في كل زمان ومكان، فالإسلام له تأثيره العميق

¹ - عباس الجراري، الثقافة من الهوية إلى الحوار، منشورات النادي الجزائري، الرباط، 1993، ص 68.

والشامل في هويتنا الثقافية ، ويعد الدين الإسلامي من المكونات الأساسية للهوية والشخصية الجزائرية ، فاللغة مشحونة بمعاني الدين وكذلك الثقافة وحتى الفلكلور بأمثاله وحكمه ممزوج بالدين ومردّ ذلك إلى طبيعة الدين المتشعبة في نواحي الحياة الإنسانية الفردية و الجماعية والشاملة لكل المجالات: الإقتصادية والروحية والإجتماعية التي منحته قوة مهيمنة على كل الذين يؤمنون به⁽¹⁾ ، كما أن التوحيد بمعناه الشامل يمثل أبرز ملامح هويتنا الثقافية ، والتدين هنا لا يعني ممارسة الشعائر الدينية وحدها، بل هو موقف من ثوابت كثيرة ، منها ما يرتبط بالأسرة وكيفية تكوينها بشكل صحيح ، فهذا مكون رئيسي- من مكونات الهوية الثقافية ، ومنها ما يرتبط بالمنهج العلمي الذي اعتمد على العقل والوحي بشكل متوازن ، وهذا يمثل أيضا ملمحا من ملامح هويتنا الثقافية .⁽²⁾

إذن لا يمكن تصور وجود للهوية الثقافية العربية إلا بوجود الدين الإسلامي باعتباره سمة مميزة للمجتمعات العربية والإسلامية ، وأداة المسلمين لمقاومة الاغتراب الثقافي ، وبالتالي فأى هجوم على الإسلام هو بمثابة محاولة استلاب للهوية الثقافية والحضارية للأمة العربية.⁽³⁾

¹ - محفوظ نحناح، الجزائر المنشودة المعادلة المفقودة، الإسلام الوطنية الديمقراطية، دار النبأ، الجزائر، ط1، 1999، ص91

² - محمد إبراهيم المنوفي وباسر مصطفى الجندي : التربية وتنمية الهوية الثقافية في ضوء العولمة ، مجلة كلية التربية بدمياط ، جامعة المنصورة ، ع 43 ، 2003 ، ص ص 231- 233

³ - نفس المرجع، ص 233.

3- اللغة العربية:

إنها أداة خطاب وتواصل، ووعاء فكر وأحاسيس، ومظهر إثبات الوجود، والرمز المعبر عن الذات. إذ تعد اللغة المكون الأول والرئيسي في الهوية الثقافية، كونها ليست مجرد كلمات وألفاظ للتفاهم بين أفراد المجتمع، ولكنها وعاء يحوي مكونات عقلية ووجدانية ومعتقدات وخصوصيات هذا المجتمع.

تعد اللغة نسق معرفي من العلاقات الرابطة بين الألفاظ والمعاني وبين أصل اللغة ومشتقاتها وبين الكلام ونية المتكلم، واللغة نظام من الدلائل يعبر عما للإنسان من أفكار⁽¹⁾، يقول "آندري ميكيل" وهو أحد المطلعين على الأسس الرمزية والتاريخية للعروبة "أن تكون عربيا معناه، أن تكون وأن تشعر باتمائك لحضارة ولثقافة تعبر عن ذاتها داخل اللغة العربية"⁽²⁾.

هذا ما يؤكد ابن باديس: "أن اللغة العربية هي الرابطة التي تربط بين ماضي الجزائر المجيد، وحاضرها الأغر ومستقبلها السعيد، وهي لغة الدين والجنسية والقومية واللغة الوطنية المفروسة".

¹ فرديناند ديسوسير: دروس في الألسونية العامة، ترجمة صالح القومالي وآخرون، الدار العربية للكتاب، بيروت 1985، ص 29.

² نقلا عن محمد نور الدين، André Miquel, Les Arabes, l'islam et l'europe, ed flammarion, paris, 1991, p 13. أفاية "الغرب المتخيل". مرجع سابق، ص 10.

فاللغة هي أداة التعلم والتفكير ، كما أنها تمثل ذاكرة الأمة ، وهي أداة الاتصال الاجتماعي⁽¹⁾ إذن فالعلاقة بين اللغة وبين الهوية الثقافية علاقة قوية لا تنفصم ، ولهذا كان من أهم مقاييس رقي الأمم مقدار عنايتها بلغتها تعليماً ونشراً وتيسيراً لصعوباتها⁽²⁾.

التراث الثقافي والحضاري:

يعد التراث الثقافي ذلك الموروث من العادات والتقاليد والأعراف من جهة، وتلك المخلفات المادية الموروثة عن الأسلاف، والذي يعد إحدى منجزاتها الحضارية والثقافية، بإعتبار أنّ العادات و التقاليد وغيرها من العرف و الأخلاق و العقائد و غير ذلك تعد من مكونات الثقافة أيضاً، لذا كان لكل مجتمع من المجتمعات الإنسانية خصائص و مميزات تدل على اختلاف بعضها عن البعض الآخر، وتمثل العادات الجانب السلوكي لثقافة الجماعة وطريق الأفراد في ممارسة حياتهم وفق ضوابط مجتمعتهم. ولاشك أنّ أهميتها تنبع من شمولها لهذا الجانب من ثقافة الأمة وهي بهذه الصفة تعمل على وحدة المجتمع عن طريق تشابه الأفراد في ممارساتهم السلوكية، وهذا التأثير المتبادل بين الفرد والمجتمع مكنّ المجتمع من حفظ ثقافته بطريقة عملية تصب الأفراد في قوالب متشابهة⁽³⁾.

¹ - عبد السلام المسدي : الخطاب العربي وكونية الثقافة ، مجلة سطور ، القاهرة : دار سطور ، فبراير 1999 ، ص 40

² - سعيد إسماعيل علي : ثقافة البعد الواحد ، القاهرة : عالم الكتب ، 2003 ، ص 16

³ - سعيد بن مبارك آل زعير ، التلفزيون والتغير الاجتماعي في الدول النامية، دار ومكتبة الهلال بيروت، 2008، ص 134.

يقول بن خلدون في هذا الصدد " إنَّ أهل البداوة أقرب إلى الشجاعة من الحضرة ، أصله أنّ الإنسان ابن عوائده ومؤلوفه لا ابن طبيعته وميزاجه ، فالذي ألفه في الأحوال حتى صار خلقا ومملكه وعاده تنزل منزلة الطبيعة والجملة⁽¹⁾ .

كما تشمل تصرفات الناس في مختلف المواقف والمناسبات الاجتماعية، وتستوعب كل الطرق والأساليب التي أقرتها الجماعة وتعارفت عليها لمعالجة مشاكل ومواقف الحياة العادية الروتينية الجارية، وكذلك لمقابلة المناسبات التي لها دلالات اجتماعية خاصة كالأعياد الدينية والقومية مثلا⁽²⁾ .

من خلال ما سبق تعد العادات والتقاليد من أهم عوامل التنظيم والضبط الاجتماعي لعلاقات الأفراد بثقافتهم الاجتماعية، والتقريب بين أساليبهم في ممارسة الأنشطة التي يؤدونها بأسلوب معتاد مما يجعل منها " العادات " تشكل أهم جانب عملي في روح الجماعة⁽³⁾ . فالعادات والتقاليد تعتبر سلوكات معتادة و مألوفة موروثه يقوم بها الأفراد في ظروف ومناسبات معينة، فهي تنتقل من جيل إلى جيل.

كما تعتبر العادات والتقاليد تقليد الناس لمن سبقهم في بعض السلوكات على اعتقادهم بضرورة العمل بها (مثلا القيام بالوعدة) وللعادات والتقاليد تأثير نفسي- على

¹ - ابن خلدون، المقدمة، دار إحياء التراث، ط 4، (د.ت) ص 28.

² - فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، 1980، ص 116.

³ - سعيد بن مبارك آل زعير، المرجع السابق، ص 134.

الأفراد أكثر منه اجتماعي لأنها تتعلق بالحياة اليومي للفرد كونها سلوكيات يتبادلها الأفراد فيما بينهم بطريقة طبيعية تستلزمها الحياة العادية للأفراد كان ولا بد أن تشمل جميع الجوانب الحياتية، إنه المعبر عن الأجيال لما كان لها من إنتاج .

ورغم التعدد الكمي والكيفي للعادات والتقاليد الجزائرية، الراجع إلى شساعة حيزها الجغرافي وتنوع الإثنيات والتنوع الطبيعي والمناخي، إلا أنها تشكل في شموليتها الثقافة الجزائرية الغنيّة بثقافتها الفرعية والتي من خلالها ينظر الفرد الجزائري إلى سواه وعالمه الخارجي بما فيه العالم الغربي، والتي من خلالها كذلك ينظر له وتحدّد بعض سماته وخصوصياته من الآخرين.

التاريخ:

يبقى التاريخ مقوم من مقومات الشخصية، وعنصر مؤثر في نظرة كل جماعة وكل مجتمع وأمة إلى ذاتها وإلى العالم وإلى الآخر المغاير، كما يساهم التاريخ بشكل أو بآخر في بلورة وإقرار الصفة التي تؤمن التوازن بين الهوية والمغايرة وبين الأنا والعالم الخارجي.

فالتاريخ عنصر من عناصر هوية الشعوب إلى جانب اللغة والمعتقد والموروث الثقافي والوسط الجغرافي " فالوعي بالتاريخ هو الوعي بالذات ⁽¹⁾. إن هوية الشعوب الثقافية، هي تلك الخبرات المتكونة والمترسبة لديها عبر مسيرتها مع الزمان والمكان، ومعرفة هذه المسيرة هي التي تسمح للشعوب لمعرفة ذاتها و"أناها" وبالتالي يصبح التاريخ محصلة لأي ذات إنسانية جمعية كانت أو فردية، هو حافظ ماضيها الذي منه يشكل حاضرها، هذا الحاضر الذي يعتبر أساس المستقبل، فمعرفة الماضي بمكوناته الأساسية تعيننا على التوجه السليم في حاضرنا وتطلعاتنا المستقبلية نحو ذاتنا والذوات المحيطة لنا.

إذا كان الإنسان الفرد الفاقد للذاكرة يحتاج إلى العناية والرعاية، فالجماعة الإنسانية " شعب، أمة" تحتاج لنفس الرعاية، فرعاية الجماعة الاجتماعية تكمن في الحاجة إلى ربطها وإيصالها بماضيها وجذورها وجعلها تسير في خط مستمر غير منقطع بهذا الماضي الذي لا سبيل إليه، إلا إذا أدركت تاريخها ووعته، فالتاريخ ممارسة ثقافية ذات خصوصية كبيرة لارتباطها بالجماعة الإنسانية فنفريط أي جماعة أو شعب أو أمة لتاريخها يجعلها تعيش أضعف حالاتها بل أكثر من ذلك يجعلها تفقد ثقها بنفسها أمام معاصريها من الجماعات والشعوب والأمة، إن الوعي بتاريخنا هو منبع الثقة بأنفسنا والباعث على المحافظة على

¹ - قاسم عبده قاسم، كتاب العربي، العدد 546، وزارة الإعلام، مجلة العربي، مايو 2004، الكويت ص 76.

الذات بخصوصياتها ومكتسباتها تجاه عالمنا الخارجي " الغرب " في إطار عمليات التواصل المختلفة (السياسية، الإقتصادية، الثقافية، ...)، وللتاريخ في ذلك عبرة، فالدولة الإسلامية حققت مجدها في الوقت الذي كانت تعي ذاتها بين الأمم المعاصرة لها فكان مصدر قوتها نابع من الداخل، فإستطاعت أن توفر حمايتها وحاجتها، بل كانت مصدر القوة التي تنهل منه باقي الأمم ولما نفشى فيها الوهم والضعف أصبحت تعتمد على إستهلاك منجزات الآخر "الغرب" على كافة المستويات المادية، الثقافية، الإجتماعية والسياسية...

إذ نجد الدول العربية الإسلامية عامة تعتمد على الاقتباس من النظم الغربية متوهمة أنها سوف تقضي على التأخر والإنحطاط بواسطة هذه النظم المستعارة والنتيجة الماثلة أمامنا، توحى على أن جميع التجارب التي نسخت من التجارب الغربية باءت بالفشل، وذلك لسبب بسيط وجوهري في آن واحد وهو أن تلك التجارب لم تكن نتجا للتطور التاريخي الموضوعي للعالم العربي قدر ما كانت نتاجا للتطور التاريخي للأمم الأوربية والغرب بصفة عامة.

لا يمكن لأية أمة أن تشعر بوجودها بين الأمم إلا عن طريق تاريخها والجزائر تزخر بتاريخ عريق معروف منذ القرون، فالتاريخ هو السجل الثابت لماضي هذا الوطن وديوان مفاخرها وذكراياتها، وهو آمالها وأمنيتها، بل هو الذي يميزها عن باقي الدول

الأخرى، فكل الذين يشتركون في ماض واحد يعتزون ويفخرون بمآثره يكونون أبناء أمة واحدة، فالتاريخ المشترك عنصر مهم من عناصر المحافظة على الهوية الثقافية⁽¹⁾.

فالهوية "الجزائرية" إذن هي عنوانه الدائم وميزته بين الأمم والمجتمعات، تكونت نتيجة إنصهار المجموعة المرتبطة بجزءه الجغرافي، وما خلفته من تجارب وإنتاج فكري و مادّي المتوارث والمتواصل عبر الأجيال، وما أفرزته علاقاته بمحيطه الخارجي من تواصل متباين في طبيعته، هذا إلى جانب إلتئامه العقائدي "الإسلام" ولغة لسانه التي تعتبر الحاملة والمعبرة عن هذه المكونات الهويةية.

ومن أبرز الدوافع نحو تأكيد الهوية الوطنية والعربية والإسلامية، هو ما يشهده عالم اليوم المتغير في كثير من أحداثه، والمتمثل في الانفتاح والنمو والتقدم التكنولوجي الذي أصبح له تأثيراته على الهوية الثقافية للمجتمع⁽²⁾، ومما لا شك فيه أن الانفتاح على العالم الخارجي وبأشكاله المختلفة في الوقت الراهن أصبح يشكل خطرا على الهوية الثقافية و الوطنية لدى الأجيال الحاضرة على وجه الخصوص.

نحن نضيف إلى هذا كله ولما له من أهمية بموضوعنا، تلك الضغوطات الخارجية عن الواقع المحلي للمجتمع الجزائري، والتي نعني بها الضغوطات المتعددة للعالم الغربي في

¹ - عبد الرحمن عمر الماحي: العولمة واستلاب الهوية الثقافية للمسلم، المؤتمر العام التاسع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، في الفترة 27-30 مارس 2007، ص 654.

² - المرجع نفسه، ص 229.

شكل قيم اجتماعية وثقافية على وجه الخصوص بفعل التواصل والدور الذي تلعبه الوسائط الإعلامية على وجه التحديد، والتي تجعل من الفرد الجزائري باعتباره عضو مجتمعي يعيش حالة تيهان في التوفيق بين ما هو محلي مجتمعي من قيم وما هو وافد خارجي (غربي)، وبعبارة أخرى بين التقاليد والحداثة (بين الأصالة والعالمية) وفي هذا إشارة ضمنية لذلك التغير الاجتماعي والثقافي للمجتمع الجزائري.

المبحث الثاني: التطور الكرونولوجي لصورة الغرب في الخيال الجزائري

إنّ عملية البحث في موضوع صورة الغرب في الخيال الجزائري، بحث يتموضع ضمن موضوع عام، يتخذ من ثنائية الذات والآخر محوره الرئيسي- في عملية كشف واستنباط جملة التصورات والتمثلات والمواقف والأفكار التي بنيت واتخذت ثقافيا واجتماعياً تجاهه، ولاعتبارات موضوعية للهوية الجزائرية: "تاريخية، حضارية، جغرافية، ثقافية، دينية... " التي ظلت تعين ارتباطها بالحضارة العربية الإسلامية والوطن العربي، يتعين علينا منهجياً الإحاطة بصورة الغرب في الخيال والفكر العربيين كخطوة أولى للإنتقال في خطوة ثانية إلى تبيان تجلياتها لدى المجتمع الجزائري... وبعبارة أخرى، فالغرب المتخيل لدى الخيال الجمعي للمجتمع الجزائري، لا ينفك نهائياً عن ذلك الغرب الذي أنتجه الخيال العربي الإسلامي، كون الأول " الخيال الجزائري " لازال يتغذى في بعض زواياه من التراث والموروث الحضاري للأمة العربية الإسلامية، ومنه نكون قد انتقلنا مما هو عام إلى ما هو خاص.

صورة الغرب في الخيال الجزائري في فترة ما قبل التاريخ

إنّ عملية البحث في موضوع صورة الغرب لدى الجزائري، دفعت بنا إلى الرجوع للتاريخ الجزائري العميق، بغية رصدها كما تجلت في وقتها من جهة وتتبعها عبر الحقب التاريخية التي سمحت للجزائر أن ترفع اتصالا مع الغرب وتفاعلها معه وكيف ما كانت نوعية هذا الاتصال، مباشر أو غير مباشر من جهة أخرى.

إنّ عملية الإطلاع التاريخي هذه، سمحت لنا بالقول: أن الجزائر تعرضت إلى توسعات خارجية عديدة متباينة الأساليب والأهداف، بداية كانت من طرف الفينيقيين الذين كان هدفهم في البداية تجاري محض وسلمي، يرمي إلى إيجاد مراكز ساحلية للتبادل التجاري، مما جعلهم يتلقون تجاوبا من لدن القبائل البربرية وينسجون علاقات تجارية تخدم الطرفين معا، حتى أنّهم تمكنوا من تأسيس مملكة خاصة بهم "قرطاجة" كما أثروا في البربر من حيث اللغة، إذ تكونت إثر هذا الاحتكاك السلمي للغة البونيقية وهي خليط بين اللهجة البربرية واللغة الفينيقية وأصبحت لغة التواصل والتبادل بين الطرفين، كما أثر الفينيقيون في الديانة البربرية، إذ اعتنق بعضهم الديانة الفينيقية التي تمثلت في عبادة بعض العناصر الطبيعية مثل الشمس والقمر...⁽¹⁾، إلا أنّ القرطاجيون لم يحافظوا على هذا الجو السلمي، بل ذهبت بهم إلى أطماعهم التجارية إلى محاولة التوسع نحو الداخل

¹ - صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الإستقلال، دار العلوم للنشر والتوزيع، 2005، ص...

لمزيد من الربح التجاري واستغلال البربر مما أثر في العلاقة الفينيقيو- بربرية وأصبح البربر يتطلعون إلى مناهضة قرطاج⁽¹⁾، دفاعا عن خيرات بلادهم "شمال إفريقيا، حيث كان هذا الاستغلال استغلالا قاسيا وقبيحا، جعلهم يكرهونهم"⁽²⁾، ولما دخلت قرطاج في صراعها الحربي مع الرومان من أجل السيطرة على خيرات البحر المتوسط وضفته الجنوبية "موطن البربر"، إختلف أمراء البربر بين مؤيد للقرطاجيين وآخرون للرومان، رغم أنه كانت بين أمراء البربر بالوطن الجزائري وبين قرطاجنة معاهدات تقضي- بإعانة أولئك الأمراء لقرطاجنة أيام الحرب⁽³⁾.

ومن أمثلة ذلك نشير إلى موقف "ماسينيسا"، المعادي لقرطاج والموالي للرومان الذين قدم لهم دعما عسكريا بغية تحقيق أطماعه السياسية المتمثلة في بناء ملك مستقل عن قرطاج باستعانه بالرومان، عكس "سيفاكس" الذي أخذ موقفا مناصرا للقرطاجيين والذي كان يرى أن بقاء مملكته مرتبط بآنتصار القرطاجيين على الرومان، الذين بدأت أطماعهم تمتد إلى شمال إفريقيا⁽⁴⁾، ما دفع به إلى محاربة ماسينيسا الذي

¹ - قرطاج أو قرطاجنة، هي مملكة "غليسة" ذات الأصل الفينيقي والتي هربت من الشرق إلى شمال إفريقيا "بلاد البربر"، والتي استطاعت أن تنافس الرومان تجاريا في البحر المتوسط.

² - مجاهد مسعود، تاريخ الجزائر، الجزء الأول.

³ - مبارك الميلي: ابن باديس وعروبة الجزائر، ط2، الجزائر 1980، ص163.

⁴ - محمد الصغير غانم: الملك سيفاكس والكيان السياسي النوميدي، مجلة التراث، عن جمعية التاريخ والتراث الأثري لمنطقة الأوراس، العدد 09، 1997، ص 18-08

أصبح حليف الرومان، ما يؤكد مقولة محمد الميلي: " من أخلاق ملوك البربر التنافس والتخاذل والاستعانة بالأجنبي"⁽¹⁾.

بعد انتصار الرومان على القرطاجيين، شرعوا في بسط نفوذهم السياسي والإقتصادي على بلاد البربر متبعين سياسة الزجر والحرمان والعبودية و الاستغلال للبربر من جهة وسياسة التفرقة " فرق تسد" بين أمراء القبائل البربرية وشراء النفوس الضعيفة من جهة أخرى.

هذه السياسة الاستعمارية، جعلت من البربر يعيشون على هامش الرخاء الذي نعم به الرومان محليا وروما خارجيا، ما جعل البربر يقتنعون أن الاستعمار واحد ولا سبيل للتحرر إلا مقاومته... وهذا ما يفسر- مقولة روما التاريخية "كل من هو غير روماني فهو بربري" أي ينتمي إلى الجنس المتوحش المهمجي.

عموما، إن نظرة الجزائر البربرية للتواجد الروماني، كانت نظرة كره وحقد مما جعل معظم قبائل تنفادي الاتصال مع العنصر الروماني الاستعماري الاستغلالي وتتطلع إلى الحرية والانعتاق منه. من الأحداث التاريخية "التاريخ القديم" للمجتمع الجزائري التي تحيلنا إلى الوقوف على نظرة الجزائري للتوسعات الاستعمارية الإستطانية للغرب القديم، تلك الثورات المتواصلة التي قام بها السكان الأصليون "البربر" بقيادات محلية بغية

¹ محمد مبارك الميلي: ابن باديس وعروبة الجزائر، ط2، الجزائر، 1980، ص174.

التحرر والانعقاد من الاستعمار الخارجي ومن أمثلة تلك الثورات التي خلدها التاريخ نتطرق إلى نموذج والمتمثل في مقاومة تاكفاريناس على الرومان.

ثورة تاكفاريناس والتي دامت حوالي سبع سنوات (17-24م) هذه الشخصية القيادية البربرية الجزائرية، التي تركت أثرها حتى لدى المؤرخين الرومان أنفسهم. يذكر تاكينوس أن تاكفاريناس عمل في صفوف الجيش الروماني قبل أن يفر منه ويعلن الثورة على الرومان متبعا أساليبهم في القتال بادئ الأمر مقسما جيشه إلى مشاة وفرسان⁽¹⁾ ويذكر المؤرخون أن تاكفاريناس كان ضابطا في الجيش الروماني، ورغم رغد العيش وترفه الذي كان يعيشه في ظل الرومان، إلا أنّ عزة نفسه وآنتمائه البربري، حركت عواطفه تجاه قومه "البربر" الذين كانوا يستغلون ويستعبدون ويحرمون من خيارات بلادهم من طرف الرومان، الأمر الذي دفعه إلى التمرد وإعلان الثورة على الإحتلال والتواجد الروماني في المنطقة⁽²⁾.

إنّ نظرة تاكفاريناس للتواجد الروماني ومعاملتهم لقومه الاضطهادية تحولت إلى نظرة سلبية تماثل نظرة قومه البربر، مما سهل عليه التحالف مع القبائل ضد الرومان، كون

¹ - محمد الهادي حارش، ثورة تاكفاريناس (17-24م)، مقال، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد التاسع، السنة 1995م ص129.

² - صالح فركوس، المرجع السابق، ص52،

* إرجع إلى كل من: - توفيق المدني، كتاب الجزائر، الطبعة الثانية، الجزائر 1963، ص11-15.

- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسطى، الجزء الأول، ديون المطبوعات الجامعية-

الجزائر 1992.

تلك القبائل كانت مهيأة نفسيا للمقاومة والثورة، فلما ظهرت الشخصية القيادية "تاكفاريناس" لم تتوان في إعلان الثورة التي انطلقت من الأوراس وامتدت لتشمل مجالا جغرافيا أوسع من موريطانيا غربا إلى طرابلس شرقا تقريبا⁽¹⁾، ولشدة ما عانته القبائل البربرية من استغلال وقهر روماني وسياسته التوسعية على بلاد المغرب، كان رد فعلها الثوري عنيفا، إذ استطاعت تكبيد الجيش الروماني المنظم العديد من الهزائم والمحاصرات بقيادة تاكفاريناس وحنكته الحربية التي تمثلت في عمليات حرب العصابات ومخادعة العدو، وبفضل هذه الخطط الحربية المحكمة، شكّلت القبائل البربرية تحت قيادة تاكفاريناس تهديدا للتواجد الروماني بالمنطقة، ما دفع بالبروقنصل إفريقيا الروماني "فيربوس كاميلوس" بالاستئجار بقوات رومانية إضافية أتته من إسبانيا⁽²⁾.

ونسجل مدى استمالة تاكفاريناس وجنوده في وجه وكبرياء الرومان لمدة سبع سنوات انتهت، بقتله في قلب المعركة مفضلا الموت على أن يقبض عليه حيا.

إنّ قوة الروم المتعاضمة بعد الفينيقيين، جعلت من البحر الأبيض المتوسط بحرا تابعا لسيادتهم، فأنسبوه عليهم "بحرنا" البحر الرومي "mar nostrum" وفي تلك التسمية إلغاء لكل من هم من غير الروم، وبعد الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا "الظفة الجنوبية الغربية للبحر المتوسط، عمل الفاتحون على إلحاقه بالخاطرة الإسلامية، فأنشأ

¹ - صالح فركوس، المرجع نفسه، ص152.

² - محمد الهادي حارش، ثورة تاكفاريناس (17-24م) المقال السابق.

موسى بن نصير دار لصناعة المراكب البحرية بطنجة فتح بها الأندلس⁽¹⁾، بل تمكن الفاتحون من التحكم في هذا البحر وجزره من طنجة إلى بيروت ورغم هذا التفوق، ظل العرب والمسلمون يطلقون على هذا البحر إسم "بحر الروم" والبحر الرومي، ولم ينسبوه إليهم.... ويسجل المؤرخون حضور الجزائر البارز والفعال في تلك الفترة لما كان يمارس من أدوار انطلاقاً من مراسيها في عملية الغزو "الفتح" إلى بلاد الروم يقول البكري: "... ومن مرسى بونة (عنابة) تخرج الشوافي (المراكب) غازية إلى بلاد الروم وجزيرة سردانية وكرسقة وما والاها، وبشرقي بونة مدينة مرسى الحزر (القالة حالياً)... وقد صنع بها مرفأً للسفن منذ مدّة قريبة. وفيها تنشأ السفن والمراكب الحربية لغزو بلاد الروم. وإليها يقصد الغزاة من كل أفق لأن مقطوعها يقرب من جزيرة سردانية. بينهما نحو مجريين *⁽²⁾.

إنّ هذه المساهمة الجزائرية المبكرة في الأدوار التي ارتبطت بالبحر المتوسط، تعكس مدى اتصالها الزمني المبكر بالغرب القديم وأسلاف شعوب الغرب الحالي وعلى عالمها الخارجي على العموم، في ميادين التجارة والحروب والفتوحات حيث وصل منتوج تجارة المرجان "الجزائري في هذه الحقبة التاريخية إلى الهند والصين...

¹ - مبارك بن محمد المليي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 170.

² - نقلاً عن مبارك بن محمد المليي، نفس المرجع، ص 170.

* المجري يعادل مائة ميل بحرية

يقول صاحب الاستبصار: "مرجان مرسى الخزر (القالة) أنفس مرجان الدنيا وأنفق (أثن) شيء بالهند والصين"⁽¹⁾ ومما لاشك فيه أن سكان الجزائر "الأسلاف" بعد الفتوحات الإسلامية للمنطقة، تكونت لهم نظرة وصورا عن العالم العربي القديم، ذات مرتكزات دينية "الدين الإسلامي" وإتماء جغرافي وذلك بفضل تلك الاحتكاكات بأنواعها السلمية والحربية.... ولاشك أنهم نعتوا الغرب بالنعوتات والتسميات التي استعملها المسلمون في تلك الفترة مثل الروم، الإفريج العدو.....

صورة الغرب في المخيال الجزائري في العصر الوسيط.

أ- الفترة الجزائرية الحمادية

إن المتمحص لتاريخ الجزائر الوسيط يصل في اعتقادنا إلى قناعة أنّ الجزائر بفضل موقعها الاستراتيجي على المتوسط ودورها الفعال على ساحة الأحداث بالمنطقة، جعلها في اتصال متواصل مع الغرب ومؤسساته الفاعلة خاصة الكنيسة البابوية بروما، لما كان لهذه الأخيرة من دور سلطوي على الغرب في العصور الوسيط،

ففي فترة الجزائر الحمادية يقر المؤرخون بذلك التواصل بأنواعه الذي لم ينقطع بين الحماديين والغرب والكنيسة الغربية، يشير محمد الميلي إلى وجود طوائف مسيحية بالمدن الحمادية والتي تمثلت في بقايا الرومان وأقلية من البربر "السكان المحليين" الذين ظلوا

¹ - مبارك بن محمد الميلي، نفس المرجع، ص 171.

على مسيحياتهم، إلى جانب عناصر مسيحية التي مثلت عملية السبي (الجهاد البحري)... كما أشار إلى معاملة الحماديين الحسنة للمسيحيين من توفير الأمن لهم ورعاية حقوقهم، والتسامح الديني معهم كأقلية. امتثالا للتشريع الإسلامي، وآقتداء بسنة الرسول (ص) والخلفاء الراشدين، حيث أسست الطائفة المسيحية في الفترة الحمادية كنيسة مريم العذراء وذلك سنة 508هـ / 1114م، التي كان يشرف عليها القسيس عزون كما يشير معظم مؤرخي الفترة الحمادية إلى العلائق البابوية لرومة مع الحماديين، خاصة في فترة حكم الناصر بن علناس والتي اتسمت بالانفراج والانفتاح من الطرفين كما تمثلت في الاعتراف المتبادل عن طريق الهدايا والرسائل.

فيذكر أن بابوات رومة كانوا يسمون ملوك الحماديين ب "ملوك موريطانيا السطيفية" ومن بين ما قام به الناصر بن علناس الحمادي، شراءه الأسرى المسيحيين وإرسالهم إلى روما، بل وصل به تسامحه الديني إلى أن وعد البابا بروما بعثق كل أسر مسيحي يعثر عليه لاحقا⁽¹⁾. "...وسُرت الكنيسة الرومانية كثيرا بفعل الناصر، فلما عاد "سرفاند"⁽²⁾ إلى بونة (عنابة) أرسل معه كبار رجال الكنيسة رسائل شكر وثناء للناصر،

¹ - مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 172.

² - سرفاند: أسقف الطائفة المسيحية بونة (عنابة) في العهد الحمادي.

وأرسل له البابا أيضا رسالة خاصة تعد أكبر رسالة وأعظمها أرسلت من بابوات رومة إلى ملوك المغرب وذلك سنة 469هـ / 1076م⁽¹⁾.

يتجلى لنا إذن جانبا من نظرة الحماديين للغرب النصراني، هذه النظرة التي امتزجت بالتسامح الديني "الإسلام" تجاه الأغيار الدينيين، النصرانيين مثلا في أوقات السلم من جهة، والتي تتحول إلى نظرة سلبية عدو ديني كافر وجب مجاهدته أوقات التهديد الخارجي الغربي المسيحي من جهة ثانية، كما تتحول إلى نظرة تعاملية دنيوية "تجارية" تقتضيها الضرورة والحاجة البشرية الاستهلاكية.

إن النظرة والمعاملة وآنفتاح الجزائر الحمادية على الغرب المسيحي بمصطلح الفترة التاريخية، مع مراعاة الخصوصية والاختلاف، سمحت لهم من إنشاء حضارة راقية (الحضارة الحمادية) طالت جميع مناحي الحياة، ساهم فيها بعض المسيحيين لما قدمون من خبرات في الصنائع والعمران والفنون.... استفاد منها الحماديون، هذا الانفتاح الإيجابي الذي مارسته الدولة الإسلامية في بداية عهدها على الحضارات السابقة "الحضارة الفارسية والرومانية واليونانية، من خلال عملية الترجمة. والذي كان له أثره على إشعاع الحضارة العربية الإسلامية.

¹ - مبارك بن محمد المليي، نفس المرجع ص 256 إلى 268.

مما ذكره ابن خلدون عن هذه الفترة قال: " بني بجاية قصر- اللؤلؤة، وكان من أعجب قصور الدنيا⁽¹⁾، ومما يحيلنا كذلك إلى تواصل المنطقة على العموم بالغرب الرومي في هذه الفترة ما ذكره المقري في نفع الطيب في إطار تناوله للعمران الإسلامي:

ومضت على الروم الدهور وما بنوا لملوكهم شبيها له ونظيرا⁽²⁾

ففي البيت مقارنة بين القصور الإسلامية ونظيرتها الرومية الأفرنجية ودلالة على التفوق والفرق بين فن العمران الرومي والإسلامي لصالح هذا الأخير.... ولولا وجود ذلك الاحتكاك والتواصل المتعدد الأوجه لما أقيمت هذه المعرفة والنظرة للغرب المخالف... كما وصل صدى وتأثير الحضارة الحمادية إلى الغرب (صقلية)، إذ كان النرمان⁽³⁾ من جهتهم مغرمين لحضارة وإنجازات الحماديين، فشيّدوا قصورا شديدة الشبه بالقصور الحمادية... وعلى العموم ظلت بجاية مركز حضارة ساهمت في إثراء الحضارة الإسلامية وفي نهضة إيطاليا وجنوب غرب أوروبا⁽⁴⁾، إن ما يلفت الانتباه في هذه الفترة التاريخية "العصر الوسيط"، أن سماحة الحماديين الاجتماعية والدينية مع المسيحيين كما سبق الإشارة إليه، لم تشفع لدى الغرب المسيحي ولا الكنيسة البابوية في فترة ضعفهم، إذ

¹ - نقلا عن مبارك بن محمد الملي، نفس المرجع، ص 261.

² - أحد قصيدة مطولة للشاعر عبد الجبار بن حمديس الصقلي.

³ - النرمان: مصطلح أطلقه المسلمون في العصر الوسيط، على سكان شمال الغرب الوسيط، وهم من أصل ترونجي ودانماركي انتشروا في شرق أوروبا ثم جنوبها وفرنسا وصقلية على وجه الخصوص في عهد شارلمان.

⁴ - سعيد عبد الفتاح عشور: أوروبا في العصور الوسطى، القاهرة، الجزء 2، سنة 1959، ص 43.

اغتم النرمان (الغرب) صراع الحماديين مع الموحيدين، كما اغتموا فرصة استنجد الحماديين بهم، فحاصروا بونة (عنابة) بقيادة "فليب المهدي" ⁽¹⁾ وقتلوا ونهبوا فيها الكثير، كما احتل النرمان جيجل سنة 537هـ ومارسوا فيها النهب والحرق والتخريب... ويشير المؤرخون إلى أن رغم كل ما قام به "فليب المهدي" من تخريب وتقتيل ببونة، إلا أنه غض عن بعض العلماء والصلحاء المتواجدين بها، فكان لفعله هذا رد فعل لدى الأساقفة والقسيسون والرهبان، الذين اجتمعوا واتفقوا على حرقه لرفقه بأولئك العلماء والصلحاء، فكان مصيره الإعدام حرقاً مباشرة بعد رجوعه إلى صقلية.

بهذا الفعل الشنيع، يظهر إذن المكبوت والموروث العدائي الديني من زمن الحروب الصليبية للغرب المسيحي تجاه الإسلام والمسلمون، كما يستنتج أن الحماديين تعاملوا مع الغرب في الغالب معاملة المتسامح والمتفتح وتبادل المصالح إلا أن في آخر ملكهم الذي كان عرضة لتهديد الموحيدين، نظروا للغرب (النرمان) نظرة المخالف والعدو الصديق والحليف الذي يمكن الالتجاء إليه والتقرب منه لحاجة النصر السياسة وتثبيت الملك، حتى ولو كان على حساب الأخوة في الدين وللإشارة تحولت هذه النجدة (الاستنجد بالعالم الغربي المسيحي) في العالم العربي الإسلامي، إلى ظاهرة كثر تكرارها خاصة في الوقت الراهن. ولا نجد حرجاً في ذكر بعض الأمثلة لهذه الظاهرة:

¹ - فيليب المهدي: قائد الأسطول النرمانى الذي قدم لنصرة الحماديين في صراعهم مع الموحيدين.

- استنجد دولة الكويت بالساسة والقوى الغربية لصد العدوان العراقي، وذلك بمباركة عدة دول عربية.

- استنجد الليبيين والشعوب العربية التي اعترفت ما يسمى بالربيع العربي بالغرب، لإسقاط الأنظمة القائمة وتغييرها... حتى أصبح الغرب ذلك المنجد والمنقذ الذي لا يمكن الاستغناء عنه في حل أزمات العرب والمسلمين ويحضرني في هذا المقام، سؤال وجهه أحد الصحفيين العرب لوزير خارجية دولة الكويت إبان حرب الخليج الأولى، لا أتذكر عنوان الجريدة للأمانة العلمية.

- لماذا لجأت للغرب والولايات المتحدة بالتحديد في صراكم وعراق، وغيبتم دور جامعة الدول العربية، التي كان بإمكانها إيجاد حل لفظ الصراع وبالتالي يكون الحل عربي عربي؟ فكانت إجابة الوزير بكل بساطة عبارة عن سؤال محمل بل مثقل بدلالات تحيل إلى حال العرب والمسلمون وما وصلوا إليه في الوقت الراهن من تفرقة وصراعات لا يستفيد منها إلا الغرب وحليفته الصهيونية... جواب الوزير كان: "ومتى كانت جامعة الدول العربية، تحل مشاكل العرب؟؟ ففي الإجابة إقرار العرب بالتفوق الغربي واستسلام وتسليم بدوره في حياتهم السياسية والدبلوماسية وحتى الاقتصادية.

ب- الفترة الجزائرية الموحدية:

استطاع الموحدون أن يؤسسوا دولة شاسعة الأطراف، ضمت كل بلدان المغرب العربي والأندلس. امتدت من طرابلس الغرب شرقا إلى المحيط الأطلسي- غربا وقلب الأندلس شمالا وأعماق الصحراء جنوبا⁽¹⁾ وذلك بعد أن تمكنوا من القضاء على بقايا الحماديين والدولة المرابطية و "تحرير كل من المهديّة وتونس وجربة وطرابلس وصفاقس وقابس من غارات النورمان على هذه المدن الساحلية وتمكنهم من استمالة القبائل العربية والبربرية بمنطقة المغرب العربي الكبير، وتحرير الكثير من القلاع والحصون التي وقعت بيد الإسبان بالأندلس بعد تخاذل وضعف المرابطين⁽²⁾.

لقد نجح الموحدون في بناء دولة قوية ذات إشعاع ثقافي علمي واقتصاديا بفضل سياسة حكاهم، خاصة في عهد المؤمن الذي اعتمد على تقوية الميدان التجاري داخليا وخارجيا، بتكوينه أسطولا بحريا ضخما تحكم به على التجارة البحرية مع دول الشمال "الغرب" وفرض الضرائب الجمركية على السفن الأجنبية "الغريبة" التي كانت تعبر البحر الأبيض المتوسط.

استطاع الموحدون، فرض مكانتهم في المتوسط كقوة اقتصادية وعسكرية إسلامية تهاجمها كل القوى المعاصرة لها خاصة "القوى الأوروبية الفاعلة في تلك الفترة

¹ - مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 260

² - مبارك بن محمد الميلي، نفس المرجع، نفس الصفحة.

* عبد المؤمن، الخليفة الموحد، فترة ولايته من 524هـ، 1130م إلى 558هـ 1163م

التاريخية" النرمان، الإسبان، البرتغاليين وصقلية...، كما حرص الموحدون كل الحرص على تأديب الممالك الأوروبية المسيحية التي ظلت حريصة على استرجاع الأندلس إلى الحضيرة المسيحية بغاراتها المتكررة وتحت راية الصليب وبإعاز من البابوات والقساوسة، وذلك إيماناً منهم بواجب الجهاد ونصرة الدين الإسلامي وتمكينه من تلك البقاع الأوروبية "الغربية" المفتوحة... لقد كان جهاد غارات الممالك المسيحية على الأندلس لدى الموحدين من أسمى الأهداف، ويؤثر عن عبد المؤمن أنه لما حضرته الوفاة، جمع أبناءه وحاشيته وأوصاهم: "أوصيكم بالأيتام واليتيمة، قيل له وما الأيتام واليتيمة؟ قال: اليتيمة الأندلس والأيتام أهلها"⁽¹⁾.

ويفهم من هذا كله، أن سكان الجزائر من قبائل ذات الحمية المحلية، بعد إعتراهم بسلطة عليا "سلطة الموحدين"، قد ساهموا في تحقيق تطلعاتهم وأهدافهم خاصة الخارجية منها. خاصة لما يتعلق الأمر بنصرة إخوانهم في الدين في الأندلس في صراعهم مع الغسبان وباقي الممالك الأوروبية، بدافع الوازع الديني... كما شاركوا في ذلك الجيش الجرار، الذي اجتاز به يوسف بن عبد المؤمن للأندلس والذي كان قد كونه من جميع القبائل المغاربية، وكما شاركوا في تلك التجارة البحرية التي ازدهرت في الموحدين مع

¹ - نفس المرجع السابق، ص 309

مختلف الممالك الأوروبية، كل هذه العوامل نعتقد أنها ساهمت في تكوين نظرة لهذه القبائل القاطنة "الجزائر" تجاه الممالك الأوروبية .

هذه نماذج من العلاقات التاريخية البينية "الجزائرية-الغربية" في ميادين عدة السياسية الإقتصادية الدينية الثقافية في التاريخ القديم والوسيط، والتي تقدم لنا صورة عامة عن نظرة الجزائري للغرب والتي تباينت بين الصداقة والعداوة واللامبالاة حسب ما تمليه المصالح والظروف لكل فترة.

صورة الغرب في المخيال الجزائري في العصر الحديث نماذج من الثورات الجزائرية:

أ) ثورة الأمير عبد القادر:

..... كما يظهر الدين مقومًا لمشروع دولة الأمير عبد القادر في آثاره من رسائل بعث بها إلى مختلف النواحي والشخصيات العربية الإسلامية والغربية كذلك.

ففي منشور وجهه الأمير إلى أهالي الشرق الجزائري (سطيف) يتضمن حثهم على عدم المتاجرة مع الإستعمار والإنقياد إليه، يقول: "لقد إعتقدتم في كلامهم السفیه وأطعتم الكفار ولكنهم إغتموا فرصة غيابي عنكم وخانوا عهدهم لكم، وهاهم قد لطفوا مساجدكم، وأخذوا منكم أحسن أراضيكم وأعطوها لأبناء جنسهم، واشتروا أعراض نسائكم.... ورأس عليكم مسلمين ملاعين إشتروهم بأموالهم، وسجن أشرافكم ومرابطيكم في

بلاد النصارى...، إنكم اليوم تحت رئاسة رومي، يقاضيك رومي، ويدير شؤونكم رومي، وهو يسوقكم سوق القطيع إلى السوق... أيها المسلمون! لقد حان وقت اليقظة، فانهضوا على سماعي صوتي، لد وضع الله سيفه الملتهب في يدي، وسنمضي جميعا نروي سهول أرضكم بدماء الكفار" (1).

من خلال هذا المنشور وما تضمنه من مصطلحات تحيل إلى الإستعمار وقادته وسياسته المتبعة محليا لتمكين مشروعه الإستطاني، تظهر لنا جليا نظرة الأمير للمستعمر "الغرب" وصفاته، إذ نجده يصفه بالسفاهة، والكفر، وخائنو العهود، والمعتدي على رموز والمؤسسات الدينية وأعراض الناس وممتلكاتهم، كما سّمّاهم النصارى والروم كما يظهر من خلال المناشير التي كان يوجهها الأمير لمختلف جهات الوطن تركيزه على سياسة المستعمر المنتهجة حيال الجزائريين والتي عمدت على مسخ هويتهم والقضاء عليها، "الدين، الأرض" إلى جانب إشارته إلى التباين العقائدي الذي لا يسمح للجزائريين الإنصهار ولا للإتقياد للمستعمر، وإن كانت هذه النظرة من الواقع إلا أنها تحمل في ثناياها جزءا من الخيال الديني الذي يتجلى في توظيف المصطلحات ذات الحمولة الدينية وذلك راجع لثقافة الأمير الدينية.

¹ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، القسم الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص ص 277 - 278.

وفي رسالة أخرى، وجّه الأمير عبد القادر إلى شيوخ وأعيان أهل فيقيق يحثهم فيها على الجهاد يقول: "أما بعد، فإنّ الغيرة الإسلامية تحق لأمثالكم، والإغتياضات (الغضب) الأنفية تجب على أقوالكم وأفعالكم...، كيف لا والعدو الكافر أذله الله، جال في بلاد المسلمين وصال، وسعى في خراب مدنهم وقصورهم بمساجدها المعدّة للغدو والآصال.... وأجمع عزمه وكيدته في جميع برّه وفاض على ضوء الإسلام ظلام ليله، حتى كاد يخفي جدول فجره...." (1).

تظهر صورة المستعمر لدى الأمير من خلال تصرفاته وممارساته "تخريب، الكيد، محاربة الإسلام،.. "على الأرض الجزائرية وتجاه الجزائريين وممتلكاتهم المادية والرمزية "مساجد" والهوياتية، حيث نجده يشير في خطابه إلى التباين في الإلتواء العقدي "مسلمون -كفار" وذلك لإثارة مشاعر الجزائريين الدينية ويجي فيهم الوازع والحافز القوي لمقاومة المستعمر والثبات على أصالته وهويته، خاصة وأنّ الأمير كان يعمل على بناء دولة وطنية قومية ذات إلتواء عربي إسلامي.

¹ - موجز من نداء الأمير عبد القادر إلى أهل فيقيق، الوارد في المجلة الإفريقية 1913، نقلا عن أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 277.

ب) ثورة الزعاطشة:

فتورة الزعاطشة⁽¹⁾ مثلا اندلعت بمنطقة الزاب الظهراوي، بقيادة "الشيخ بوزيان"⁽²⁾ باسم "الجهاد"، جهاد كفار الذين اعتدوا وطغوا على المؤمنين.

لقد اعتمد الشيخ بوزيان في إعلان حركته للجهاد ولاستمالة المزيد من الأتباع ومن مختلف الأعراش بالمنطقة ولتقوية عزيمة مؤيديه وترسيخ إيمان بالنصر- المؤكد على فكرة مؤادها أنه: " رأى في منامه الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن النبي قد قال له بأن عهد الكفار قد انتهى وسوف يبدأ عهد المؤمنين وأنه مكلف بمحاربتهم وإخراجهم من الجزائر"⁽³⁾.

وفعلا، استطاع الشيخ بوزيان من خلال هذه الرؤية المتبناة أن يؤثر في العديد من القبائل والأعراش بالمنطقة وآستألتهم إلى صفه وكلهم عزيمة وإيمان بالنصر" وفي هذه النقطة تظهر قيمة الدين الذي هو أحد عناصر الهوية الوطنية والنخيل الديني في قضية مجاهدة العدو" "عدو الدين الإسلامي" قبل أن يكون عدو الإنسان الجزائري⁽⁴⁾ إذ دب

¹ - ثورة الزعاطشة، نسبة لواحة الزعاطشة التي تبعد حوالي 35 كلم جنوب غرب بسكرة "منطقة الزاب الظهراوي" بقيادة الشيخ بوزيان.

² - الشيخ بوزيان: ينتمي إلى عرش واد عبدي في الأوراس، وكان نائبا للأمير عبد القادر في منطقة الزاب الظهراوي من قبل، ورجل دين.

³ - عيسى جعنبط، مقاومة سكان الواحات للاحتلال الفرنسي في القرن 19- ثورة الزعاطشة 1849، أسبابها- تطوراتها، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد 09، 1995، ص 142.

⁴ - عيسجعنبط، نفس المرجع، ص 143-144.

الخوف والارتباك في صفوف جيوش العدو أمام الثوار الذين لا يملكون إلا قوة الإيمان، إذ تحتم على قائد قوات الجيش الفرنسي بالمنطقة مراسلة الحاكم العام بالجزائر طلبا لمدد بقوات إضافية يقول فيها: "لقد أدت الحالة الخطيرة التي تفجرت في منطقة الزاب إلى إسقاط هيبتنا وسلطتنا في أعين أهالي المنطقة"⁽¹⁾.

كما يقول في موضع آخر بعد أن استعصى عليهم دخول الواحة: "شعرنا بهذه الأحداث البائسة شعورا عميقا، وأدركنا أهمية التستر من نيران القرينة المحاصرة في أسرع وقت ممكن، فإن هؤلاء الثوار قد أعطونا دليلا قاسيا على مهاراتهم في القتال" بمعنى أن دافع الجهاد في سبيل الله ولحماية العقيدة ضد الكفار، فعل فعله في النفوس.

وبتبع نظرة الجزائري للغرب في المرحلة الأولى التي تلت الاستعمار الفرنسي- للجزائري "مرحلة الثورات الشعبية" كون فرنسا كانت تمثل الغرب المسيحي برمته في الخيال الفرد الجزائري. نشير إلى تلك الرسالة التي بعث بها "سليمان بن حمزة، قائد ثورة أولاد سيد الشيخ إلى بقية العروش والقبائل بالجنوب الغربي الجزائري، يعلن فيها الجهاد ويدعوهم بالانضمام للثورة، وتعتبر هذه الرسالة⁽²⁾ في نظرنا، إحدى الوثائق التي تعبر عن نظرة و تمثلات التي تكونت لدى الجزائريين في تلك الفترة المتقدمة عن تاريخ التواجد الاستعماري بالجزائر، وذلك لمات تضمنته من مصطلحات وعبارات، وآيات قرآنية

¹ - نفس المرجع، ص 143

² - الرسالة أشار إليها العديد في مؤلفات العديد من المؤرخين الجزائريين: وهي عبارة عن منشور إعلامي موجه للعروش والقبائل، يحث على الالتحاق بالثورة.

ذات مدلول واضح التعبير: شأنها شأن جميع الثورات التي كان منطلقها من الزوايا الدينية.

- بعد تقديم وجيز يشير ويعرّف بمصدر الرسالة يقول سليمان بن حمزة " بشرى بإعلان الجهاد في سبيل الله وعلى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، ضد الكفار الفاسقين الفرنساويين لعنهم الله الذين صلوا علينا وتعدوا وأطفوا وشرعوا في إهانة ديننا الحنيف لا أراد الله بعدما فسقوا في أرضنا وأحلوا ما حرّم الله..."

- يستهل سليمان بن حمزة، رسالته بتبشير "بشرى" قبائل بإعلان الجهاد على الاستعمار، ويوظف مصطلح الجهاد دون غيره من المصطلحات كالثورة أو الحرب... لأنّ الجهاد يكون في سبيل الله ولنصرة الحق، والله تعالى لم يرخص للجهاد مع أهل الكتاب "المسيحين" إلا في حالات خاصة "الإعتداء مثلا: وهذا ما أشار إليه سليمان بن حمزة، بمعنى أن الجهاد أصبح مشروعا،..كما يتضح من خلال الرسالة الثقافية والدينية الواسعة لصاحبها حيث تتكشف التعابير والمصطلحات التي تصوّر استعمار تصوّرا دينيا، فمن جهة نجد: الجهاد في سبيل الله وعلى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن جهة أخرى نجد: الكفار، الفاسقين، لعنهم الله، تعدوا، طفوا، إهانة الدين الحنيف، فسقوا، أحلو ما حرّم الله.

ت) ثورة أولاد سيد الشيخ:

تعد من الثورات الشعبية التي كانت إمتداد لتلك التي قام بها الأمير عبد القادر في سبيل تحقيق الذات والتحرر من سياسة التوسع الغربي خارج فضائه الجغرافي والذي تمثل في شمال إفريقيا للإستعمار الفرنسي نذكر ثورة أولاد سيد الشيخ للجنوب الوهراني الممتدة من 1864 إلى 1881، التي كان قائدها الأول سي سليمان بن حمزة الذي بعث منشورا للقبائل جاء فيه بعد البسملة والتصلة:

"أمّا بعد: هذا مَنّي إليكم باتفاق جماعتنا بشرى بإعلان الجهاد في سبيل الله على سنة رسول الله (ص) ضد الكفار الفاسقين الفرنسيين لعنهم الله الذين صالحوا علينا وتعدوا وطمغوا وشرعوا في إهانة ديننا الحنيف لا أراد الله بعدما فسقوا في أرضنا وأحلوا ما حرم الله، فها نحن رفعنا راية المحمدية وبشرنا كل مسلم بالجهاد راجين من المولى سبحانه وتعالى أن ينصرنا على الكفار المخزيين"⁽¹⁾.

إنّ المتمعن في مضمون هذه الرسالة يقف ولا شك على تفقه سي سليمان بن حمزة الديني، الذي أعلن الجهاد، والذي يكون لنصرة كلمة الحق والدين، بعد أن تحققت شروطه، وذلك طبقا للنص القرآني، " ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۗ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ

¹ - إبراهيم مياشي، من تاريخ أولاد سيدي الشيخ، مجلة الثقافة العدد 114، وزارة الثقافة والإتصال- الجزائر سنة 1997، ص 126.

الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١﴾

ذلك بعد أن إعتاد المستعمر المنطقة وتفننه في الفساد في الأرض وانتهاك الحرمات وإهانة الدين وقتل الأبرياء.

إنّ استعمال سي سليمان للعبارات و تكثيف المصطلحات المحملة بالمعاني القرآنية في خطابه مثل الجهاد في سبيل الله وسنة رسول الله، إهانة الدين الحنيف، أحلوا ما حرّم الله، تجعلنا نحدّد العناصر التي إنبتت عليها النظرة للإستعمار. "العداء في الدين، الكفر، إضافة إلى المصطلحات ذات الدلالة الرمزية والأوصاف السلبية الكفر، الفسق، عدائين، طغاة، الخزي، ... " مصطلحات تتردّد في الخطاب القرآني كلّما تعلق الأمر بمن أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها من الأقوال السابقة واللاحقة كذلك.

كما تضمّن خطاب سي سليمان الإيحاء لهويته وهوية أتباعه "العروبة والإسلام، الأرض"، ويضيف سي سليمان "... راجين من الله سبحانه وتعالى أن ينصرنا على الكفار المخزيين وراجين منكم ومن ناسكم جميعا: أن أعدّو لهم ما إستطعتم من قوة ومن رباط الخير ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفى إليكم وأنتم لا تظلمون، ولن يخلف الله وعده الجهاد ثم

¹ - سورة الممتحنة، الآية 8 - 9.

الجهاد] إلى أن ختم المنشور بالعبارة]...كتب بأمر خليل الدين سليمان بن حمزة يوم 22 من شهر شعبان عام 1280هـ/ الموافق ل أول فبراير 1864م، إذ تظهر حنكة سي سليمان في تجييش مخيال القبائل بإستمالتهم دينيا بتوظيف الآيات القرآنية وجعل الهدف هو الدفاع عن الدين الحنيف من العدو الكافر فيظهر العدو بصفات سلبية تساهم في توحيد الكلمة.

الفصل الرابع

صورة الغرب من خلال

التغيرات السوسيو ثقافية

للمجتمع الجزائري

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي للتغيرات السوسيو ثقافية

إذا كانت صورة المغاير لأي مجتمع هي نتاج لمعايير معرفية وقيمة لثقافة هذا المجتمع، التي تعينه باختلافاته وتميزاته عن غيره من المجتمعات فالتغيرات السوسيو ثقافية أثرها على عملية بناء الصور الخيالية، والتصورات الإجتماعية.

فالتغير من القوانين الملازمة للطبيعية البشرية وللطبيعة بشكل عام، فهو سمة من سمات الوجود (الكون). يمس جوانب الحياة سواء منها المادية أو المعنوية، كما يمس الأفراد والجماعات والمجتمعات، ومن تمّ القيم والعادات والثقافات. كما يرتبط بالتحضر- والتنمية والنمو والتقدم والتكنولوجيا والإعلام ...، كما يمسّ التنشئة الإجتماعية وطريقة الحياة. فالتغير بمعناه العام يشمل التغيرات البنائية، أي تغيرات في جميع أنواع العلاقات الاجتماعية وأطرافها، والتغيرات الثقافية بكل ما يشمله معنى الثقافة من معاني وأفكار "مستوى الفكر"⁽¹⁾ من تصورات وتمثلات ومواقف وقيم.

فالمجتمعات البشرية دائمة التغير، بغية البقاء والاستمرار، كون فقدانها القدرة الكافية لمواكبة التحولات، يجعلها تلجأ للانطواء والتفوق على الذات مما يدفع بها

¹ - محبوب محمد عبده، مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية (منهجاً وتطبيقاً) وكالة المطبوعات، الكويت، ط2، دون سنة، ص68.

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

للتعارض و القانون الطبيعي " التغير " وكل هذا يؤدي بها إلى التراجع أو الزوال، وما يثبت حقيقة وجود وسريان هذا القانون " التغير " في حياة الأمم والشعوب.

يقول الله تعالى: « إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ⁽¹⁾ » وقوله كذلك: « ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ⁽²⁾ » فالتغير الاجتماعي وفق التصور الإسلامي مرتبط بالإنسان وفق إرادته الحرة لتوجيه مساره الديني ومن ثم يصبح المسؤول على ما يترتب عن التغير من نتائج.

مفهوم التغير:

حظي مفهوم التغير باهتمام كبير من علماء الاجتماع فتعددت التعاريف بتعدد منطلقات الباحثين ما أفرز تعدد في النظريات، وحتى لا نخوض في الحقل التنظيري نكتفي بتعريف العلامة الاجتماعي ابن خلدون الذي يعد أول تعريف اجتماعي شامل وجامع لجميع اتجاهات. حيث تطرق إليه في مقدمته بقوله: "إن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة، ومنهاج مستقر، إنما هو الاختلاف على

¹ - سورة الرعد، الآية رقم 11.

² - سورة الأنفال، الآية رقم 53.

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

الأيام والأزمة، وانتقال من حال إلى حال، وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأبصار، فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمة والدول، سنّة الله قد خلت⁽¹⁾.

إنّ مفهوم التغير الذي نعتمد إلى توظيفه كآلية تحليل في هذا البحث هو التغير الإجتماعي الثقافي الناتج عن جملة التحولات المرتبطة بعوامل داخلية وأخرى خارجية التي يمكن ملاحظتها والتحقق منها في فترات قصيرة من الزمن والذي يمس حيز جغرافي محدد (القطر الجزائري) فيصبح التغير ظاهرة اجتماعية تشمل كيان (مجتمع) معين في مستوى ظروف وأنماط الحياة وأنماط التفكير والتصورات .

وبمعنى أوضح نرمي إلى الوقوف على جملة العوامل و التغيرات الثقافية الاجتماعية الداخلية منها والخارجية المرتبطة بأنماط التفكير (الفكر) والتي تكون بمثابة المؤشرات لفهم جملة التصورات والتمثلات والمواقف التي بحوزة المواطن الجزائري عن الغرب.

لقد خضع المجتمع الجزائري لبعض التغيرات التي رافقت انضوائه تحت سلطة الأتراك مسّت عدّة مجالات اقتصادية وإدارية وثقافية.... إلا أنّها لم تغير من طبيعته كونها لم تكن عميقة، وعليه عموماً ضلّ المجتمع الجزائري قبل الغزو الفرنسي مجتمعا زراعيا رعويا بالدرجة الأولى، "زراعة الحبوب وتربية الماشية، وكانت نسبة هذين النشاطين تتغير

¹ - ابن خلدون: مقدّمة: نقلا عن سليمان إبراهيم العسكري، إعلام العولمة، مقال: ضمن كتاب: العربي الإسلام والغرب، العدد 49، الكويت، 15 يوليو 2002، ص 52.

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

تبعاً للاتجاه شمالاً أو جنوباً للبلاد، أما في السهول الداخلية المرتفعة، فقد كان النشطان متشابكين، يدعم الواحد منهما الآخر¹.

فالتغيرات الحاصلة في هذه الفترة من تاريخ المجتمع الجزائري، كانت سطحية، نتيجة سياسة الإدارة العثمانية بالمنطقة، التي لم تعتمد إلى تطوير المجتمع خاصة في ظل عزلتها عمّا كان يجري في المجتمع الغربي، قد عمل الأتراك لتحقيق المصالح الخاصة "العقارات" وجمع الأموال "ضرائب" على حساب الجزائريين، "إهمال شؤون الرغبة"، إذ لم يحصل الانسجام المطلوب بين مواطني الإيالة، فضّل الجزائري يعاني من جملة القرارات الإدارية المطبّقة محلياً، عكس تلك التحولات السريعة التي عرفها المجتمع الجزائري لاحقاً التي مست جميع مجالات الحياة بداية من الاعتراف الاستعماري وتحقيق الاستقلال السياسي والتغيرات اللاحقة الحاصلة في النظام السياسي من نظام أحادي إشتراكي موجه إلى نظام تعدّدي منفتح على إقتصاد السوق ومن نظام إعلامي مرئي مسموع مركزي لخدمة السلطة، غلى آخر متعدد مفتوح وآخر وافد لا قدرة على التحكم فيه ولا في توجيهه.

رغم أنّ المهتمين بموضوع التغيير يشيرون إلى صعوبة الفصل بين ما هو تغيير اجتماعي "البناء الاجتماعي، علاقات اجتماعية" وما هو ثقافي "التصورات، معتقدات،

¹ Haddi el houari, De l'algérie pré- coloniale à l'algérie coloniale : economie et société, alger : E N L , 1985, p 18.

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

مثل رموز، قيم، سلوكات، فأولهما هو الذي يطرأ على العلاقات الاجتماعية، بينما الثاني يعترى القيم والمعتقدات والمثل والرموز الشائعة في المجتمع، غير أن الواقع الفعلي، يشير إلى صعوبة الفصل بين هذين النمطين من التغير لأنهما مرتبطان بجماعة معينة وباقليم معين. ولهذا ارتأينا إلى تحديد عام لكل منهما.

التغير الاجتماعي:

يعتبر مصطلح التغير الاجتماعي مصطلحا حديثا نسبيا بوصفه دراسة علمية، ولكنه قديم من حيث الاهتمام به وملاحظته. ولقد تطور مفهوم التغير الاجتماعي ماراً باتجاهات ومراحل مختلفة ومتعددة تعددت معها المفاهيم والمصطلحات المتشابهة لهذا المفهوم والمتداخلة فيما بينها إلى درجة كبيرة.

هو عملية إجتماعية تتحقق عن طريقها تغير في المجتمع بأكمله، أي نظمه الإجتماعية كالنظام السياسي و الإقتصادي والعائلي... الخ . وذلك في حدود فترة زمنية محددة نتيجة عوامل ثقافية واقتصادية وسياسية يتدخل بعضها ببعض ويؤثر بعضها في الآخر، فالتغير صفة ملازمة منذ القدم حتى اليوم، فهو صفة أساسية للمجتمعات على اختلافها سواء كانت رعوية أو زارعية أم رأسمالية أم إشتراكية، نامية أم متقدمة.

فمن خلال ما سبق، نستشف أنه ليست كل التغيرات التي تطرأ على المجتمع تغيرات اجتماعية، فهناك تغيرات عديدة في المجتمع في الجانب الثقافي، المادي والمعنوي.

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

فالتغير الاجتماعي الذي نصل إلى الخوض فيه هو تلك التغيرات التي تحدث على مستوى البنيات الاجتماعية "مؤسسات إجتماعية" والأدوار المرتبطة بهذه المؤسسات ذات الارتباط بما هو غربي.

التغير الثقافي:

يقصد به كل تغير يحدث في الجوانب المادي و الغير المادية للثقافة، بما في ذلك العلوم والفنون والفلسفة والتكنولوجيا والأذواق الخاصة بالمأكل والمشرب واللغة. هذا بالإضافة التي تحدث في بنيا المجتمع ووظائفه⁽¹⁾، وعلى هذا المفهوم فالتغير الثقافي أوسع حدودا ومدلولا وأكثر شمولا وامتدادا من مفهوم التغير الاجتماعي، لأن كل تغير ثقافي يتضمن بالضرورة تغير اجتماعي.

التغير الاجتماعي والتغير الثقافي:

يعني التغير في هاته النقطة ذلك الذي يصيب البناء الاجتماعي والقيم والعادات والأدوار خلال فترة من الزمن، والتغير الاجتماعي يخص بالجانب اللامادي للثقافة، فمن أشهر تعاريف الثقافة نجد تعريف عالم الأثروبولوجيا "إدوارد تايلور" الذي جاء في كتابه عن الثقافة البدائية بأنه (ذلك الكل المعقد الذي يشمل على المعروف والعقيدة، الفن،

¹ - عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات ...من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، شباط/ فبراير 2006، ص318.

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

والأخلاقيات والقانون والعادات والقدرات الأخرى والتقاليد التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع). يتضح لنا من خلال التعريف أن الثقافة تتضمن كل ما أنتجه الفرد من معطيات مادية أو غير مادية، وذلك منذ القدم وحتى اليوم، وهي تنشأ نتيجة التفاعل الاجتماعي وتلبي الحاجات البيولوجية والسوسولوجية لأعضاء المجتمع إذ هناك تداخل وصلة لا تنفصل بين ما هو ثقافي وما هو اجتماعي، بمعنى وجود أحدهما يستدعي وجود الآخر⁽¹⁾. التغير الثقافي هو كل ما يتغير في المجتمع سواء كان هذا التغير محدودا أو واسعا في ظواهر مادية أو معنوية. وهكذا تكون هناك علاقة بين المتغيرين.

إلا أن التغير الثقافي يكون أعم وأشمل من التغير الاجتماعي بمعنى أن التغير الاجتماعي يقع ضمن دائرة الثقافي بينما ليست جميع التغيرات الثقافية تقع ضمن دائرة الاجتماعي، مع أن التغير الاجتماعي يتأثر بالتغيرات التي تحدث في الجوانب المادية للمجتمع.

¹ - د. فضيل دليو، المرجع السابق، ص 137.

المبحث الثاني: تمثلات الغرب على مستوى التغيرات الاجتماعية للمجتمع الجزائري

طبقا لما سبق ذكره من تعاريف، نخلص إلى أنّ التغيرات الاجتماعية والثقافية نتاج للصيرورة التاريخية الخاصة بالمجتمعات والتي تفرز ضمن الدينامية الداخلية والخارجية لهذه المجتمعات والتي تظهر على مستوى أنساقها الاجتماعية الثقافية، إلا أنّ المهتم بواقع المجتمع الجزائري لا يجد صعوبة في الوقوف على البعض من التغيرات السابقة الذكر ذات المرجعية الغربية، نتيجة ما جدّ في المجتمع الجزائري من عوامل على ظهورها.

التغير الاجتماعي والثقافي والمجتمع الجزائري:

ما نود التطرق إليه من خلال هذا العنصر، ليس الخوض في نظريات علم الاجتماع الكلاسيكية والمحدثة منها التي تعلق بموضوع التغير الاجتماعي، ولا نزع إلى تتبع عملية تشكل المجتمع الجزائري في صيرورته التاريخية وللوقوف على التغيرات الجوهرية التي طرأت ولزالت متواصلة على مستوى بناءاته الاجتماعية. لأن هذه العملية تتطلب دراسة خاصة، وكل ما نصب إليه، وهو الرجوع إلى الدراسات السوسيو تاريخية والأثروبولوجية للمجتمع الجزائري، وأدبياتها لتشخيص ظاهرة التغير الاجتماعي التي رافقت المجتمع، وبالتالي تصبح ظاهرة التغير ظاهرة صحية، لدى جميع المجتمعات البشرية ذات النمو الطبيعي، كون أي مجتمع أو جماعة تغيب فيها عامل التغير (سواء كان هذا

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

التغير داخلي، أو خارجي...) معناه أن هذا المجتمع أو الجماعة تعيش حالة الثبات والجمود وهذا ما لا يتماشى والسنن أو النواميس الطبيعية.

فالجزائر عرفت بعد الاستقلال تغيرات عدة، مست جميع جوانب الحياة، فمنها (التغيرات) من كانت مقصودة نتيجة السياسة التنموية المعتمدة عادة الإستقلال، ومنها ما كان تلقائي عفوي نتج عن التفاعلات والحراك الإجتماعي الذي عرفه المجتمع الجزائري.

بعد خروج الإستعمار، كان معظم سكان الجزائر يتركزون في الأرياف يمتنون الزراعة بطرق تقليدية والرعي، يعيشون وفق نظام اجتماعي ثقافي معين ميزته الترابط والتكافل الاجتماعي، ما ميّز هذه التجمعات بالبساطة والبعد عن كل تعقيدات الحياة اليومية، ما أدى إلى تمتين أواصر المعرفة والتداخل بين الأسر والأفراد. ومع تبني الجزائر لإقتصاد السوق كمنهج وخيار جديد الذي صاحب التحول الذي مس معظم الدول ذات النهج الاشتراكي مع الثمانينات من القرن الماضي، بدأت قيم جديدة في الظهور في المجتمع الجزائري والتي تتماشى وقيم المجتمعات ذات السبق في هذا الإتجاه "المجتمعات الغربية الرأسمالية" وإذا كانت هناك سرعة حدوث هذه التحولات أو تضارب بينها وبين الواقع، فإنها سرعان ما تحدث صراعات قيمة، إما أن تتمخض عن تذبذب قيمي لدى الأفراد أو حدوث تحولات وتغيرات قيمة.... إن كل هذه التحولات الإجتماعية السريعة أدت إلى

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

الصراع قيمة خطيرة، مازالت تتفاعل حتى اليوم ولقد كان من المستحيل لتحويلات كهذه أن تشارك في وضع قيم ثابتة، فأى قيم يكونها الفرد هي قيم رأس مالية⁽¹⁾.

على مستوى العادات:

العادات اصطلاح يشير إلى أشكال التفكير والسلوك المستقر الذي يقوم به الفرد في المجتمع، ويصف مالنوفسكي العادات بأنها: " روتين الحياة الحقيقية التي يشهدها الأفراد... وتأخذ هذه العادات خاصية رمزية يصعب تدوينها أو وضعها أو تحليلها إلى أرقام، ولكن يمكن مشاهدتها وقت حدوثها أو التكلم عنها⁽²⁾ .

للعادات أهمية بالغة في حياة الشعوب الثقافية والاجتماعية، بل هناك من يعتبرها عناصر هوية المجتمع المنتمية إليه، لما تتضمنه من اختلاف وتباين عن عادات المجتمعات المغايرة، وكونها تنتج جماعيا وتتوارث عبر الأجيال المتعاقبة لدى مجتمعات ذاتها، " إذ يعرفها زكي بدوي في معجم العلوم الاجتماعية على أنها "أنماط سلوكية جمعية تنتقل من

¹ - حيدر حميد الدهوي: العولمة والقيم ، رسالة في الطريق إلى ما بعد العولمة وقيمتها، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، سوريا، ط1، سنة 2004، ص 29

² - ميتشل- دينكن،: معجم علم الاجتماع، تعريب: إحسان محمد الحسن، دار الطليعة، بيروت، 1986، ص ص 70-71.

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التفيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

جيل إلى آخر وتحتاج إلى فترة طويلة حتى تثبت وتصل إلى درجة إعراف الأجيال المتعاقبة"⁽¹⁾.

فكلّ التعاريف المتعلقة بالعادات تأخذ منحاً واحداً المتعلق بالخصوصية الثقافية والارتباط الاجتماعي، إلا أنّ المتمنّ في واقع المجتمعات العربية عامة والمجتمع الجزائري جزء منه في الوقت الحاضر، يقف على ما يتناقض مع هذه التوجهات وذلك لما نلاحظه من انتشار لعادات غريبة وليدة مجتمعات غريبة في المجتمع الجزائري وسط مختلف شرائحه الاجتماعية. وتكون هذه العادات محمّلة برموز إجتماعية ودلالات ثقافية دينية تتعارض وثقافة المجتمع الجزائري والدين الإسلامي، و ماله من رموز وموروث تاريخي " هوية ثقافية اجتماعية". وتزيد هذه العادات الغريبة عن طريق التكرار اليومي أو المناسباتي ترسيخا لدى ممارسيها من الشباب وباقي الشرائح الاجتماعية. بل تأخذ مكاتها ضمن المجال الثقافي على حساب العادات الخاصة، وتجعل من ممارسيها سجينين القيم الحاملة لها. فيصبح تابعا للتصورات والقناعات الضمنية التي تعبّر عن مجتمعاتها الأصلية (المجتمعات الغريبة). وعن طريق التنشئة الاجتماعية الثقافية تورث هذه العادات للأجيال ما يتسبّب في ما يسمّى بالتلوّث الثقافي الذي ينجم عنه عدّة مشاكل منها صراع الأجيال.

¹ - بدوي أحمد زكي: معجم العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، 1987، ص 94.

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري

هذا ما نقف عليه من تعارض وعدم رضا بين الآباء وكبار السن عموما و الجيل الحالي (الشباب).

فأصبح الفاتح من كل سنة ميلادية "رأس السنة" مثلا مناسبة للتفنن العلني لإحيائها، وإذا كانت سابقا تقتصر على بعض العائلات وقلة من الشباب المتعلق بالغرب وثقافته، أصبحت هذه العادة حاضرا تستهوي الغالبية، وما تلك التحضيرات المسبقة إلا دليلا على الإهتمام بما لهذه العادة من مكانة في النفوس، فأصبحت هذه العادة تحيا جماعيا داخل العائلات وفي الأماكن العامة فيتم فيها تحليل المحضور دينيا وثقافيا وعرفيا، تقليدا لما يجري في المجتمعات الغربية بنفس المناسبة ونفس الفترة الزمنية، إذ "المشروبات الكحولية" والإختلاط الجنسي والغناء والرقص على الطريقة الغربية . وهذا ما عبّر عنه "جيلين gillin بقوله أن العادة: " كل سلوك متكرر يكتسب إجتماعيا ويمارس اجتماعيا ويتوارث إجتماعيا"⁽¹⁾.

فالإحتفال بعيد الميلاد أو عيد رأس السنة الميلادية من عادات النصرارى ومن أعيادهم الدينية كذلك، ونحن باعتبار مسلمون أمرنا بمخالفة اليهود والنصارى طبقا لقوله

¹ - دياب، فوزية: القيم والعادات الاجتماعية : مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية، دار المعرفة العربية، بيروت، 1988، ص 104.

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

تعالى: "والَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ" وقد ورد تفسير هذه الآية عن الإمام مجاهد وأبو العالية والربيع بن أنس وآخرون أن المقصود بالزور "أعياد المشركين"⁽¹⁾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خالفوا اليهود والنصارى" وفي حديث آخر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خالفوا المشركين" فالحديثان يفيدان النهي على الإقتداء والتقليد كل من اليهود والنصارى وباقي الطقوس الدينية الغير الإسلامية لأنّ في ذلك خطرا على العقيدة الإسلامية، ومن خلال النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تفيد النهي كثيرة والتي من خلالها يتزوّد مخيال المسلم بشكل عام بصور مخيالية عن أصحاب الديانات المغايرة.

ورد في سنن أبي داود، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا فَقَالَ: " مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ ؟ قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ الْأَضْحَى وَيَوْمَ الْفِطْرِ "

ففي هذه النصوص الشرعية بيان المسلم متميز عن غيره من أهل الملل والنحل، لا يقلدهم في سلوكهم ولا يسايرهم في أهوائهم وانحرافاتهم ولا يُتَابِعُهُمْ فِي شَيْءٍ مِمَّا هُوَ

¹ - موسى إسماعيل، إجابة عن سؤال: ما حكم الإحتفال بعيد الميلاد؟ جريدة الشروق: الجمعة 27 ديسمبر 2013 الموافق 24 صفر 1435 هـ العدد 4238. ص 11

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

عليه من أمر دينهم . قال رسول الله (ص): " وإيّاكم ومُحَدَّثَاتِ الأُمُور فإنّ كلَّ مُحَدَّثَةٍ
بِدَعَةٍ وكلُّ بِدَعَةٍ ضَلَالَةٌ وكلُّ ضَلَالَةٍ في النَّارِ "

على مستوى الأسرة:

تعد الأسرة تلك الوحدة الإجتماعية الإقتصادية ... المكونة من الزوج والزوجة
والأبناء لدى بعض المجتمعات وتمتد إلى الجد والجدة والأعمام لدى مجتمعات مغايرة،
والمرتبطة برابطة الدم والأهداف المشتركة، كما تعد الأسرة أهم المؤسسات الاجتماعية التي
أقامها الإنسان لضمان استمرارية حياته داخل الجماعة وتنظيمها، بل وهناك من يعتبر
الأسرة بمثابة القاعدة الضرورية لباقي المؤسسات الاجتماعية. فالعلاقة بين الطرفين وطيدة
ومتبادلة... فالأسرة تتأثر لما يصيب المجتمع في نظمه وقيمه من تغير وتحول، والمجتمع بدوره
يتأثر بما يقع في الأنماط الأسرية من تغير، إنّ الأسرة تتأثر بالنظام الاجتماعي العام الذي
تتفاعل معه في أدائها لوظائفها وبالتالي إنّ التغير الاجتماعي الثقافي يؤثر في نمط الحياة
الأسرية وفي قدرتها على أداء وظائفها.

إنّ التغيّر الاجتماعي العنيف، الذي يتسم به العصر- الحالي، والذي يتمثل على
وجه الخصوص في التغير الإقتصادي والصناعي الناتج عن التقدّم التكنولوجي الإعلامي،
نجم عنه إهتزاز وخلخلة في الأسرة كبنية ووحدة إجتماعية متماسكة في المجتمعات العربية
والإسلامية على العموم. وإذ أخذنا الأسرة الجزائرية كمثال في هذا الجانب.

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

إنّ التحولات (التغيرات) التي حلت بالمجتمع الجزائري خاصة على مستوى البناء الإقتصادي، لها تبعات واضحة على مستوى البناء الأسري، فلما كان المجتمع ذو النمط الفلاحي الرعوي الذي يعتمد على رسائل الإنتاج البسيطة والذي يتطلب عامل التكافل في العملية الإنتاجية كانت تسوده وبشكل واضح "الأسرة الممتدة" التي تستجيب لهذا النوع من الإنتاج، فكانت تتكون عادة من الأب والأم والأبناء المتزوجين وأزواجهم والجد والجدة والأحفاد، تجمعهم الألفة والمحبة وروح التضامن الآلي كما يشير إليه "إميل دوركايم"، إنّ هذا النوع من الإقتصاد السائد في المجتمع، أفرز ثقافة خاصة تتماشى والمقولة القائلة "كل مستوى إنتاجي، ينتج عنه مستوى ثقافي والتغير في وسائل الإنتاج، يؤدي إلى تغير ثقافي" ⁽¹⁾.

فحاجة العمل الرعوي / الزراعي إلى الجهد العضلي المتواصل، كانت وراء تمسك الفلاح بأسرته وحرسه على تماسكها وقوتها، بزيادة عدد أفرادها (الإنجاب)، فكان ينظر للإنجاب "مصدرا للقوة" بتعبير إميل دوركايم حين تطرّق لظاهرة (التضامن الآلي والتضامن العضوي)، فكان الإقبال عليه، مرغوبا كما كانت الأسرة التقليدية تعتمد إلى تزويج أبناءها في سن مبكر إلا أنّ الواقع، يثبت عكس ذلك حيث أصبح الجزائري يجنّد الميل لنموذج الأسرة النووية التي تتماشى والتغيرات المادية الثقافية "المدخول"

¹ - المقولة مستخلصة من الفكر الماركسي.

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

والإجتماعية الحديثة "موظف". ومن خلالها إلى تبني ثقافة تحديد وتباعد النسل، فأصبحت الأسر الجزائرية تماثل الأسرة في المجتمعات الغربية. كما تظهر للعيان ظاهرة العزوف عن الزواج أو تأخيره في أوساط الشباب الجزائري المهور بالثقافة الغربية والعيش على طريقتة ما كان وراء ظهور ظاهرة العنوسة و تزايد الانحلال الخلقي بالمجتمع. ، كما كانت الثقافة السائدة تزيد من مكانة الرجل والمرأة كلما تقدما سنا ، إذ يصبح مصدرًا للمشورة والنصح نتيجة الخبرة والتجربة اللتان حضيا بهما ومن تم أصبحا رمزا للوقار⁽¹⁾ ما يتماشى والثقافة الدينية الإسلامية للمجتمع الجزائري، مثقالا لقوله تعالى: " فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌّ وَلَا تَهْزُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا*وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا....."⁽²⁾ وما يعبر عنه الموروث الشعبي الجزائري بالمثل: اللّي فآيتك بليلة فآيتك بجيلة"، إلا أنه يلاحظ من السلوكات الممارسة من طرف بعض الشباب الحالي تجاه هذه الشريحة "الشيخوخة" تتعارض مع الثقافة الموروثة، إذ اللامبالاة السلوكية اليومية والتجاهل الكلي تجاهها، بل التنكر لها: "تعنيف الوالدين، دور العجزة، " وكلها مرتبطة بالثقافة الوافدة من المجتمعات الغربية. بشكل عام إنّ ضعف الانتماء الذي يعيب الفرد والجماعة في مسيرتها الزمانية، تجاه مرجعيتها الحضارية، والهوياتية، يكون وراء تهميش وتسطيح ومكانة تلك العناصر /

¹ - علي فؤاد أحمد، علم الاجتماع الريفي، دار النهضة العربية، بيروت، سنة 1981، ص 94.

2 - سورة الإسراء، الآية 23 - 24.

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

الرموز (الهوياتية) ، إنّ تبعية المجتمعات العربية الإسلامية المتعدّدة الأوجه (اقتصادية، صحية، تعليمية، تكنولوجية، فكرية، الغذائية، السياسية،...) للمجتمعات الغربية، تعد سببا أساسيا في ضعف انتمائها وتراجع شخصيتها الحضارية العربية الإسلامية، يقول ابن خلدون: " إنّ المغلوب مولع أبدا بالاقْتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أن النفس أبدا تعتمد الكمال فيمن عليها وآنقادت إليه، إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي، إنما هو لكمال الغالب فإذا غالطت بذلك وأتصل لها حصل اعتقادا فأنحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به، وذلك هو الاقتداء⁽¹⁾ .

على مستوى الموضة والتقليد:

مفهوم الموضة:

إنّ إنفتاح المجتمعات على عالمها الخارجي، يجعلها في اتصال مع ثقافات متعددة ومتغيرة، كما يجعل شرائحها الإجتماعية تتعرّف على ما جدّ من إنتاج لتلك المجتمعات وفي جميع المجالات، ما يجعل منها عرضة لمخاطر عديدة في غياب الحرص على الاحتفاظ على ما مميّزتها واختلافاتها الثقافية والإجتماعية عن تلك الثقافات المغايرة.

¹ - تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقى، الطبعة الثانية، بيروت، 2001، ص43.

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

إنّ الموضة في أبسط تعريفاتها، هي النمط أو النموذج المختلف عن السابق واللاحق، إنها وجود خاص في الزمان والمكان، تمتلك عمرا افتراضيا وسلطة قهرية في فضاء معين وهذا ما يجعلها "مختلفة" وخارجة عن طوع السائد، وبداهة اليوم والمعتاد⁽¹⁾.

والموضة باعتبارها ما جدّ عن نسق الثقافي الاجتماعي المؤلف لا ترتبط إلاّ باللباس كما شاع عند غالبية الناس، بل تتعداه لتسجل حضورها على مستوى التجميل والهندسة المعمارية والسيارات والمحادثة والقاموس اللغوي والآداب، بل في حتى في ما هو أكثر جدية من هذا كلّه من قبيل الفن والدين والفلسفة⁽²⁾.

فالموضة تشير إلى نمط سلوك اجتماعي من شأنه أن يستحوذ على اهتمام أفراد أو إفتنانهم به، أو يثير فيهم الإفتنان⁽³⁾. فالسعي وراء كل ما هو جديد والإذعان لسلطته الرمزية يعدّ في حدّ ذاته عن ما نفسي لصاحبه، وقد تعدّدت مظاهر الموضة في المجتمعات العربية كما في الجزائري إلاّ أنّ الملاحظ عنها أنّها في جملها "موضة" مستوحاة من العالم الغربي، بحيث أصبح صعبا التفريق بين الجزائري أو الأجنبي الغربي من كلا الجنسين "الذكر والأثى"، فمن قصات شعر غريبة و وشم محملة برموز ذات مرجعية غريبة منها ما

¹ - محمد سيلا، الشباب والإيديولوجية، مجلة الوحدة، العدد 37، دجنبر، 1987، ص26.

² - حاتم الكعي، التغيّر الاجتماعي وحركات الموضة، دار الحداثة، الطبعة 1، بيروت، 1982، ص32.

³ - دنيال هوقو، دين وحدائة ودنيوية، في كتاب الحداثة، إعداد محمد سيلا وعبد السلام بن عبد العالي، دار الأمان، ص28.

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

يتعارض مع الهوية الجزائرية مثل الألبسة الحاملة لرايات لدول غربية "Drapeaux"، Croix، عبرات تسيء إلى حاملها ، ما يجعل من هذه الممارسات والسلوكات والظواهر تشكّل عنفا رمزياً داخل المجتمع وذلك بتعبير بيير بورديو⁽¹⁾ ،

وقع الشباب ضحية تغريبة اجتماعية طمست معالم هويتهم. ينصب اهتمام الكثيرين من الشباب العربي والجزائري معا على متابعة كل جديد في مجال الموضة، وهو ما يدفع البعض إلى تقليد كل أشكال الموضة من: " ملابس، مكياج ، قصات شعر، وأذواق موسيقى " دون النظر إلى ملاءمة ذلك للمجتمع الذي يعيشون فيه، والتي تحول في بعض الأحيان إلى مسخ يصعب تقبله⁽²⁾.

هذا نزر قليل من سيل كبير من " افتنان موضوعي " لدى المجتمعات العربية للغرب، التي أصبحت تدفع بالمواطن العربي بشكل عام نحو إغتراب ثقافي، ظلّ الغرب فيه القدوة والمثل في ظل غياب مشاريع إجتماعية عربية ناجحة تنافسية مع تلك التي تملكها المجتمعات الغربية المتقدّمة .

¹ - بيير بورديو، الحياطة الرفيعة والثقافة الرفيعة، في تساؤلات الفكر المعاصر، ترجمة محمد سييلا، دار الأمان، 1987، ط1، ص68.

² - للاطلاع أكثر إرجع إلى دراسة عبد الرحيم العطري: سوسولوجيا الشباب المغربي جدل الاندماج والتمهيش، دار النشر: طوب بريس، 2004.

الثقافة الغربية والقيم المحلية.

تعتبر القيم تلك المعايير والإعتقادات الموجهة للسلوك والتي تؤثر في الاتجاهات التي يعتنقها الأشخاص، فهي "المعايير" العامة والأساسية التي يشترك فيها أعضاء المجتمع وتسهم في تحقيق التكامل بينهم، والقيم بهذا المعنى هي أحكام مكتسبة من البيئة الإجتماعية وظروفها، يكتسبها الفرد ويحكم بها وتحدد مجالات تفكيره وسلوكاته وتؤثر في تعلمه⁽¹⁾، بمعنى أنّ القيم رغم تباينها: إقتصادية دينية... إلّا أنّها لا تتفاوت مغزاهما من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى، فلها القدرة على توجيه الأفراد في سلوكياتهم واتخاذ مواقفهم، ما يجعل منها معيارية وحتى إلزامية: يقول سليمان إبراهيم "ولكل قيمة معنيان، معنى موضوعي objective مرتبط بمجتمع أو العقل الجمعي وتكون القيمة وفقا له جديرة بالتمثل والإقتداء والإحترام، ومعنى ذاتي subjective مرتبط بالفرد، حيث تختلف القيمة من شخص لآخر حسب حاجاته وأذواقه وخلفيته الإجتماعية"⁽²⁾.

يرى إميل دوركايم « أن القيم هي إحدى آليات الضبط الاجتماعي المستقلة عن

ذوات الأفراد الخارجة عن تجسدهم الفردية»⁽³⁾

¹ - سليمان إبراهيم العسكري، إعلام العولمة، المرجع السابق، ص 52.

² - نفس المرجع، ص 52.

³ - د. ماجد الزيود، الشباب والقيوم في عالم متغير، دار الشروق، 2006، ص 22

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

كما تعرّف على أنها المعايير والاعتقادات التي يستعملها شخص ما عندما يواجه وضعاً يجب عليه القيام باختيار ما، وعليه فهي مجموع ما يجبه الشخص ويكرهه ووجهات نظره وميوله وأحكامه العقلانية واللاعقلانية وتحيزه والتفسير الذي يقوم به شخص ما للعالم المحيط به⁽¹⁾، وهذا معناه تمت علاقة وطيدة بين القيم والسلوك والاتجاهات، وأن عدم التكامل بينها يؤدي إلى ظهور ظواهر اجتماعية جديدة، التي يعبر عنها علماء الاجتماع غالباً بالتغيرات الحاصلة في المجتمع أو النفاق الاجتماعي " عدم التجانس بين الاعتقاد والفعل " وقد يرجع إلى تغير القيم نفسها بسبب تبني الأشخاص اعتقادات ونظام فكري جديد...

إنّ منظومة القيم التي يجري النظر عبرها إلى الغرب أو تُكوّن المدركات الحسية تجاهه، ليست ثابتة بل يتأثر بعناصر عديدة منها المنظومة الفكرية والعقائدية وتراكمات التجارب التاريخية وصولاً إلى التفاعلات الراهنة مع الغرب ، وهذا ما يمكننا من تفسير العديد من التغيرات الاجتماعية الثقافية والقيمية الحاصلة في مجتمعات العربية عامة المجتمع الجزائري كذلك، تلك التغيرات التي نلاحظها على مستوى سلوكيات الأشخاص وخاصة الشباب منه التي لا تنسجم والمنظومة القيمية الموروثة للمجتمع الجزائري.

¹ - مصطفى عشوي، الثقافة والقيم الأخلاقية، مقال مجلة الطفولة العربية، العدد العاشر، الكويت، مارس 2002، ص 43.

المبحث الثالث: الإعلام وأثره في بناء الصور الخيالية

يتميز العصر الحالي، عن سابقه بكثرة التغيرات والتحويلات الناجمة عن الإنجازات الباهرة التي أفرزها التقدم العلمي التي مست جميع ميادين الحياة البشرية، ومن مظاهرها التطور تكنولوجيا، الإعلام والاتصال التي أصبح لها دورا مؤثرا في صياغة الحياة المعاصرة.

إذا كان لوسائل الإعلام والاتصال من إجابيات على الشعوب من تقديم الخدمات المختلفة " المعرفة، الصحة، تقليص الجهد..." فإنها لا تخلوا من الآثار السلبية المنعكسة وخاصة على الشعوب المتخلفة التي أصبحت معرضة للتأهي والدوبان في ثقافة العالم الغربي المتحكم في هذه التكنولوجيا.

أصبح الهاجز كبيرا لدى علماء الاجتماع شعوب العالم الثالث، والعالم العربي على وجه التحديد، لما لوسائل الإعلام والاتصال بمختلف وسائطه من تأثير داخلي على شرائح المجتمع والشباب على وجه الخصوص، إذ أصبحت هذه الشريحة الأكبر مستهدفة لما لها من خصوصيات، يقول الجوير: " الشباب حالة نفسية مصاحبة تمر بالإنسان تتميز بالحيوية والنشاط وترتبط بالقدرة على التعلم ومرونة العلاقات والأكثر قابلية لما هو

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

جديد"⁽¹⁾. وعليه يصبح الشباب من أكثر الشرائح العمرية تأثرا بما يجري في عالمنا المعاصر، "يتفاعل مع كل جديد، ويعشق مظاهر التحديث في كل شيء.."⁽²⁾.

هذا ما يدفعنا القول أن الشباب له من القابلية النفسية والاستعدادات الشخصية لتقديم تنازلات كبيرة لصالح منتج الوسائط الإعلامية والغربية وأهدافها. بناء على هذه الاعتبارات، ولما توصلنا إليه من قناعة من خلال ملاحظتنا الميدانية وسط مجتمع الدراسة من سلوكات ومظاهر وظواهر ممارسة في الوسط الطلابي، وما أشارت إليه إجابات عينة البحث في دراستنا الاستطلاعية الميدانية الأولية لمكانة الوسائط الإعلامية خاصة التلفزيون وشبكة التواصل الاجتماعي " الأترنيت " من دور في تكوين أفكارهم وتوجيه نظرتهم وبناء تصوراتهم للغرب، ما ركزت عليه الدراسات السابقة من جانب سوسيولوجية الإعلام وعلم النفس الاجتماعي وما توصلت إليه من نتائج إرتأينا تخصيص هذا المبحث لتبيان دور الإعلام والإعلام الوافد "الغربي" وأثره على المتلقي " المستهلك " في تشكيل تصورات وبناء المواقف وطلق الأحكام.

¹ - الجوير، إبراهيم، الشباب وقضايا المعاصرة، مكتبة السكان، الرياض، 1994، ص 05.

² - أحمد كنعان، الأساليب المقترحة لتحسين الشباب العربي ضد التيارات المعادية، دراسة ميدانية على طلبة دبلون التأهيل التربوي في كلية التربية بجامعة دمشق، مجلة جامعة دمشق، المجلد 24، العدد الأول والثاني 2008.

مفهوم الإعلام:

ليس هناك تعريف محدد وواضح لمفهوم الإعلام، إذ أن مفهومه أو تعريفه ، قد اتسع ومازال يمتد ويتسع متداخلا، في نفس الوقت مع كل مجالات النشاط الإنساني، ومع كل أشكال وأنواع العلاقات الإنسانية، والتطور التقني لوسائل الإعلام، وتعدددها، بل وظهور وسائل إعلامية جديدة مثل شبكة الأترنيت . لقد أصبح الإعلام اليوم يرتبط بمحقل معرفي يجمع بين المعلومات والاتصالات والمواد والرموز الإعلامية.⁽¹⁾

فأصبح الإعلام ليس مجرد مصدر للمعرفة، بل لتوليد الثروة والقوة في آن واحد كذلك، فبظهور العولمة ظهر وبقوة ما يعرف اليوم بـ"الإعلام المعولم" باعتباره عملية تهدف إلى التعظيم المتسارع في قدرات وسائل الإعلام والمعلومات على تجاوز الحدود الجغرافية والسياسية والثقافية التقليدية السائدة بين الدول الوطنية، بفضل ما توفره التكنولوجيا الرقمية الحديثة والتكامل والاندماج والتداخل بين وسائل الإعلام والاتصال والمعلومات، كل ذلك بغية دعم عملية توحيد ودمج أسواق العالم، وتحقيق مكاسب

¹ د. أحمد مجدي حجازي، العولمة و تهميش الثقافة الوطنية، رؤية نقدية من العالم الثالث، مجلة عالم الفكر العدد2، الكويت، أكتوبر، ديسمبر1999، ص228

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

لشركات الإعلام والاتصال والمعلومات العملاقة المتعددة الجنسيات والمتعدية لها على حساب تقليص سلطة ودور الدولة الوطنية في المجالين الإعلامي والثقافي⁽¹⁾

فالمدلول الحديث للإعلام ، يرتبط اليوم بالدرجة الأولى بمعنى الاتصال الجماهيري، فكلمة "الإعلام" في مدلولها الحديث تعني الإتصال بالجماهير ومخاطبتها بالخبر والفكرة والمعلومة والرأي ونقل المعرفة والعلم إليها بالطرق والوسائل المناسبة الفعالة على أن يتوافق هذا الاتصال مع اتجاهات الجماهير وميولها⁽²⁾.

إذ يعرف الإعلام بأنه التعبير الموضوعي عن عقلية الجماهير وروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت، كما يرى ذلك " أوتوجرت"⁽³⁾ إنه "الإعلام" كافة أوجه النشاط الاتصالية التي تستهدف تزويد الجماهير بكافة الحقائق والأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والصادقة عن القضايا والأحداث والموضوعات والمشكلات ومجريات الأمور بطريقة موضوعية وبدون تحريف، مما يؤدي إلى خلق أكبر درجة ممكنة من المعرفة والوعي والإدراك والإحاطة الشاملة لدى فئات جمهور المتلقين للمادة الإعلامية⁽⁴⁾.

¹ - د. محمد شومان، الإعلام والتنمية في عصر العولمة، صحيفة الأهرام، العدد 42274، سبتمبر 2002، ص 15.

² - د. محمد شومان، المرجع السابق، ص 19.

³ - إبراهيم إمام، الإعلام والاتصال بالجماهير، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1975، ص 41.

⁴ - سمير محمد حسين، الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، عالم الكتب، القاهرة، 1984، ص 22.

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

كما يعرف الإعلام بأنه: " النقل الحر والموضوعي للأخبار والمعلومات والوقائع بصورة صحيحة بإحدى وسائل الإعلام مستهدفا العقل، ولا يهدف لأي غرض سوى الإعلام ذاته لغرض التميز بينه وبين الدعاية"⁽¹⁾

من خلال هذا كله يعتبر الإعلام هو المجال الواسع لتبادل وجهات النظر والآراء بين بني البشر، ويشمل كافة طرق التعبير المتاحة التي تصلح للتفاهم المتبادل بين المنتمين للثقافات والهويات المختلفة، ولكن في ظل الوقت الراهن الذي تتحكم فيه الدوائر الإعلامية الغربية لوسائل الإعلام، يجب التسليم بأن الإعلام ليس بالحر الذي يعبر عن عقلية الجماهير وروحها وميولها واتجاهاتها، وإنما يعبر عن عقل واتجاهات الدوائر المالكة والمنتجة له.

وقد ورد عن منظمة اليونسكو في تناولها لموضوع السياسة الإعلامية بالدراسة مما له من أهمية بالغة في حياة الشعوب تعريف السياسة الإعلامية على أنها: "مجموعة المبادئ والمعايير والقواعد التي تحكم وتوجه سلوك الأنظمة الإعلامية والتي عادة تشتق [تستنبط] من شروط الإيديولوجيا السياسية والقيم التي تتركز إليها في بلد ما"⁽²⁾، فيتضح من خلال هذا المفهوم من السياسة الإعلامية إذا حاولنا تحليل عناصرها وربطها

¹ - تركي مصطفى: وسائل الإعلام وأثرها في شخصية الغزو، مجلة الفكر، ج 14، وزارة الإعلام الكويتية، الكويت 1984، ص 227.

² - د. حميد بن جاعد الديلمي، التخطيط الإعلامي، المفاهيم والإطار العام، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1998، ص 73.

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

بأصولها الفكرية والعلمية، فإننا نكشف على النظام السياسي المنتمية إليه، ومنه إلى التصور العقائدي كذلك كون النظام الأول جزء من النظام الثاني [النظام العقائدي] وأثبت خبراء الإعلام أنّ النظم الإعلامية التي استوردت تجارب وسياسات إعلامية لنظم مغايرة أفلست في سياستها التتموية، بل قادت بلدانها إلى التبعية الثقافية الفكرية وانساقَت إلى التخليّ تدريجياً عن نموذجها الحضاري⁽¹⁾.

من خلال ما تقدم يفهم أن للإعلام أدوار وأهداف متباينة، فهناك الإعلام الإيجابي الذي يساهم في تنوير وتمية عقول المستهلكين، وإعلام موجه بطريقة تعمل على خلخلة الصناعات والمبادئ. والتأثير على ثقافة المستهلك وشخصيته وممارساته مع مرور الوقت⁽²⁾.

فإذا كانت مهمة الإعلام العربي نبيلة هي الأخذ بأيدي المشاهد العربي نحو التثقيف الإيجابي وتوجيهه نحو السلوك السوي، وتنوير الجماهير العربية بما يخدمهم قضاياهم ويعزز إلتئامهم إلى الهوية العربية الإسلامية والكشف عن سلبيات الأمور في مجتمعاتهم، فالواقع يثبت عكس ذلك في العموم، وحتى تنفادي التعميم، كون القلة القليلة من الفضائيات العربية التي اختارت الهدف النبيل نهجا لبرامجها، انساقَت البقية وراء

¹ - سعيد علي آل ثابت، الأصول الفكرية للإعلام، الرياض، دار الفضيحة، 1315هـ/، ص 144.

² - موسى عبد الرحيم حلس وناصر علي مهدي، دور وسائل الإعلام في تشكيل الوعي الاجتماعي لدى الشباب الفلسطيني، دراسة ميدانية على عينة من طلاب كلية الآداب جامعة الأزهر، غزة، مجلة جامعة الأزهر، سلسلة العلوم الإنسانية 2010، المجلد 12، العدد 02 ص 118.

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

الاقتداء بالفضائيات الغربية. " فأصبحنا نواجه مشكلة خطيرة هي استنساخ برامج السلبية من الغرب ونلحظ وجوده في معظم القنوات العربية وفي برامجها"⁽¹⁾ من خلال ما يثبت من أفكار وثقافة هابطة شوهدت عقول قطاعات عريضة من المجتمع وتحديدًا الشباب منهم، بسبب ما تنشره من مفاهيم مغلوبة ومعلومات مظلمة (حقوق المرأة، حرية الأبناء، تمرد الفتاة على الآداب والتقاليد....)⁽²⁾.

فالمجتمع الجزائري في الوقت الراهن، مثله مثل باقي المجتمعات يعرف إنفتاحًا إعلاميًا. بمختلف وسائله، مما يجعل منه وجهة لتدفق المنتج والمخرجات الإعلامية المختلفة والغربية خاصة، ما يتسبب في التأثير على وعيه الاجتماعي.

الإعلام الغربي الوافد وتهديد الهويات:

لعل أخطر النتائج المترتبة عن الإعلام الغربي، تلك المتصلة بمخاطر الاقتلاع الثقافي والخوف من فقدان الهوية لدى العديد من الشعوب والأمم. وما يحدث نتيجة ذلك من تأثيرات سلبية اجتماعية وأخلاقية بصفة عامة.

وفي هذا الصدد ترى المفكر "ليلى شرف" «إن التحول الكبير الذي نشهده بين حياة الإنسان على الأرض منذ أن تكونت المجتمعات البشرية وبين ما يحمله العصر

¹ - فاضل محمد البدراني: الإعلام ، صناعة العقول. منتدى المعارف، ص 141.

² - المرجع نفسه، ص 141

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

الجديد، ولعلنا نقول أن العصر الجديد يهدد بانقطاع الثقافات عن ذاكرتها التاريخية لأن التحول سيكون جذريا بشكل متسارع خاصة بتسارع الاكتشافات العلمية التي أصبحت وتيرتها فوق ما يمكننا آستعباه، وقد تغيرت طبيعة الكون ومعرفتنا التقليدية عن هذا الانقطاع من الذاكرة التاريخية هو انقطاع الجذور (الثقافية) الحضارية للمجتمعات وستكون له آثار عميقة على الهويات الثقافية الحضارية⁽¹⁾»

فمن أهداف الإعلام الغربي السيطرة على الإدراك، ويتم من خلال إخضاع النفوس أي تعطيل فاعلية العقل وتكليف المنطق والتشويش على نظام القيم وتوجيه الخيال وتنميط الذوق وقولبة السلوك.

يمكن وصف الهوية الثقافية على أنّها النواة الحية للشخصية الفردية والجماعية، كما تعد العمل الذي يحدد طبيعة السلوك، فلما كانت الثقافة تمثل الأشياء الموروثة والمكتسبة جاءت الهوية الثقافية تمثل نموذجا ثقافيا مكتسبا وموروثا نابعا من الثوابت والمتغيرات التاريخية والطبيعية والبشرية والثقافية، التي تتميز بالثبات النسبي، ولكن في الوقت نفسه تتميز بالتغير التدريجي وعلى جرعات وليس بالتغيرات الجذرية الحادة.⁽²⁾

¹ - د.حسن عبد الله العابد، المرجع السابق، ص116.

² - محمد سكران، العولمة والهوية الثقافية، رؤية نقدية، ندوة العولمة والخصوصية الثقافية، جامعة السلطان قابوس وجامعة الزيتونة التونسية، 1999، ص4.

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

ولم تسلم الهوية الثقافية الوطنية (الجزائرية) من تأثير الإعلام الغربي، فلقد تميّزت هذه الهوية (الجزائرية) بسمة الشمول إذ أنها لم تتجلى في الآداب والفنون دون التقاليد، ولا في دنيا المادة دون آفاق الروح، بل شملت على نواحي الحياة جميعها.

وظهرت في الفنون والرقص والأغاني الفلكلورية واللباس... وتميّزت الثقافة الجزائرية بقدرتها على إستيعاب الثقافات الأخرى، دون أن تفقد شخصيتها وخصوصيتها علاوة على ذلك إنها قابلة للنمو والإبداع والتطور المتجدد⁽¹⁾

فالغرب يدرك جيّداً أن السيطرة والتحكم في شؤون العالم لا تحقق عن طريق القوة وحدها مهما كان نوعها، بل إن الوصول إلى ذلك يتطلب جملة من الخطوات المهددة تشمل على الخصوص التحكم في آليات التفكير والتحليل والتصوير والتماثل، أو ما يطلق عليه " المخيال " الذي يعتبر أداة أساسية من أدوات تعبير الإنسان عن ذاته ووجوده أو ما يمكن أن نسميه " الهوية " أو " الذات الثقافية " وحين تتم السيطرة على مخيال الشخص يصبح بذلك تعبيره عن هويته منقوصا وغير مستقل عن المؤثرات الأجنبية.

في ظل ما تحدثنا عنه من أحداث وتغيرات، لم يكن المجتمع الجزائري بمعزل عنها⁽²⁾، إذ دخلت تكنولوجيا الإعلام المتقدمة للمجتمع وانتشرت الهوائيات المقعرة،

¹ - د.نصير بوعلي، التلفزيون الفضائي وأثره على الشباب في الجزائر، دراسة ميدانية، دار الهدى، الجزائر 2005، ص 244.

² - نفس المرجع، ص 145.

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

والإقبال على الانترنت وغيرها من وسائل الإعلام التي لها آثار واضحة من خلال التقليد والتغيير في :

● نموذج ثقافة التدين: التخلي عن بعض القيم الدينية، التقليد في طريقة لبس الحجاب مثلا، فالغرب الذي يهدف إلى التشويش على عقيدة المسلم، يرى في المرأة الوسيلة المثلى في تحقيق أهدافه، يقول صموئيل زويمر: "ليس غرض التبشير التنصير ولكن أقصى ما يجب على المبشر عمله هو تفرغ قلب المسلم من الإيمان"⁽¹⁾، ويضيف قائلا أن أفضل طريقة للسيطرة على العالم الإنساني: "إن أقصر- طريقة إلى ذلك هو إجتذاب الفتاة المسلمة إلى مدارسنا بكل الوسائل الممكنة، لأنها هي التي تتولى عنهم مهمة تحويل المجتمع الإسلامي وسلخه من مقومات دينه"⁽²⁾، ونحن نرى أن وسائل الإعلام وخاصة التلفزيون أصبح ينافس الأسرة والمدرسة كمواسم للتنشئة .

● نموذج ثقافة المواطنة: قلة الإحساس بقيمة الرمز مثلا العلم الوطني أو الاستماع إلى النشيد الوطني.

¹ - ناجية أفجوج، الصورة النمطية للإسلام في المتخيل الغربي: سوء فهم أم مركب جمل... مطبعة آنفو- برانت، الطبعة الأولى، 2009، ص23.

² - ناجية أفجوج، نفس المرجع، ص23.

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

● نموذج ثقافة الإغتراب: حيث في خضم تطور وسائل الإعلام، أصبح الإنسان يعيش نوعا من الوحدة التي فرضها على نفسه من خلال إدمانه على الأترنيت على سبيل المثال.

● نموذج ثقافة الاستهلاك:

● نموذج الهجرة وحب العيش عند الآخر: وذلك من خلال الانبهار بالعالم الغربي.

● نموذج التقليد الأعمى لثقافة الغير: مثلا في مجال الموسيقى والغناء، اللبس وطريق قص الشعر، طريقة تأثيث المنازل...⁽¹⁾

الثقافة بين سياسة التمييط والتسلييع الغربي:

فإذا كانت الثقافة بالمعنى الواسع هي ترجمة للوجود المجتمعي من خلال أنظمة المعنى ومرجعيات الدلالة لأنساق الرمزية اللاشعورية التي تصنع الخيال الجمعي لشعب من الشعوب أو طائفة من الطوائف، التي تتخلل كل النشاطات الإنسانية والقطاعات

¹ - أحمد نعمان، هذي هي الثقافة، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، 1996، ص 133.

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

الإنتاجية⁽¹⁾. فإنّ ما يجري الآن من تصنيع للثقافة عبر وسائل الإعلام و مراكز مخبريه غربية يؤدي إلى التعارض مع فحوى هذا المفهوم.

يسعى الإعلام الغربي والأمريكي على وجه الخصوص إلى تبني نموذج ثقافي موحد تنصهر فيه جميع الثقافات في نموذج واحد، وهذا هو النموذج الذي يعمل من أجله الغرب لتعميمه على أجزاء المعمورة، كما يزداد الأمر حدّة في ظل ما نشاهده من هيمنة وغزو ثقافي على قطاع الصناعات الثقافية، ضمن محيط تجاري وتنافسي.. فالخطر يكمن في نوعية الخطاب الذي يجعل من الثقافة مجرد لهو وتسلية، ويصيرها تافهة ويفرغها من معناها الإنساني⁽²⁾.

لقت مقولة التميّط الثقافي انتشارا واسعا، مرتبطة بالتميّط الغربي وخصوصا الأمريكي منه للحياة اليومية (عادات، الغذاء، اللباس، العمارات...) ولمنجزاته الثقافية الواسعة الانتشار (الموسيقى والغناء، الفن والسينما والتلفزيون..)، كما تتجدد نزعة التميّط من خلال سعي قوى العولمة نحو نشر- وتعميم أسلوب العيش الغربي بدعوى

¹ - علي حرب: حديث النهايات ، فتوحات العولمة ومازق الهوية، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، بيروت، 2004، ص123.

² - محمد عبد الشفيق عيسى، الإقتصاد السياسي للعولمة والتكنولوجية، نحو رؤية جديدة، الشركة العالمية للكتب، بيروت، 2004، ص306.

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

التحديث (Modernization) ⁽¹⁾ بمعنى رفع المستوى الحضاري لدول المتخلفة إلى مستوى أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية.

وما يجسد هذا التوجه هو مطالبة الولايات المتحدة الأمريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بتجسيد مبدأ التدفق للمعلومات والأخبار وللمواد الثقافية في المنظمات والمحافل الدولية، وكانت في كل مرة توجه سهام نقدها إلى كل الدول التي تضع الحواجز والقيود للحد من حرية توزيع ونشر المواد الثقافية التي يتم إنتاجها خارج الحدود ⁽²⁾.

من هذا المنطلق يحرص الغرب على ترسيخ مبدأ التميّط أو التماثل من خلال التحكم في الخيال الجماعي عن طريق الصورة الإعلامية والمتلفزة على وجه الخصوص، التي تعد أشد تأثيراً في الأطفال والشباب، حيث يتضح ذلك من خلال شيوع كثير من الأنماط السلوكية ذات المنشأ الغربي، وكذا نلاحظ ذلك من خلال ارتفاع معدلات استهلاك المضامين الثقافية الوافدة عن طريق وسائل الإعلام والاتصال.

يتميز التيزيني بين الغرب المتقدم العملاق وبين الواقع العربي المتخلف والتابع يتبين أن العلاقة بين العالمين هي علاقة غير متكافئة تسمح باختراق العالم الأول للعالم الثاني إختراقاً ينسج باستمرار مع تعاظم قوة الغرب وتضاؤل قوة العرب، وفي إطار هذه العلاقة

¹ - محمد عبد الشفيق عيسى، نفس المرجع، ص 312.

² - نصر الدين العياشي، وسائل الاتصال الجماهيري والثقافة: القاعدة والاستثناء، دائرة الثقافة والإعلام، لبنان، 2001، ص 85.

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

يتحول الطرف العربي إلى واقع مستباح بحيث يقوم الطرف الأول الذي هو الغرب بتفكيك معالم الطرف الثاني العربي وإعادة بنائها وفقا لمقتضيات السوق"⁽¹⁾

تتميط الحياة اليومية بفعل فراغ الخيال الجماعي وذلك بتركيز الإعلام الغربي على أحداث العنف في شتى أنحاء العالم وحوادث الطرقات، وأخبار الفنانين... الخ فتتميط المشاعر الإنسانية بحيث يصبح الإنسان قابلا للتأثر الشديد⁽²⁾. كما تؤدي سياسة التتميط إلى تدوير الخصوصية الثقافية واستلاب الشخصي، وهذا ما تعاني منه الأمة العربية والإسلامية في صراعها من أجل أن يكون لها حضور فاعل، وتواجه تحديات تصل إلى حد الاستهانة بحقوقها وقضاياها وفكرها، مما يشكل تهديدا لهويتها الثقافية وعقيدتها وحضورها.

فتغيير القيم والممارسات الثقافية التقليدية لأي مجتمع، علما أن مسألة التغيير القيمي، حينما تكون مصدرها خارجيا وحينما تكون مخططة من قبل قوى تسعى للهيمنة تؤدي حتما إلى زعزعة استقرار المجتمع، وإثارة الشكوك حول جدوى بعض القيم الراسخة، وحول الكثير من الممارسات الثقافية مما يؤدي في مراحل لاحقة إلى حدوث الانقسام والانشقاق داخل المجتمع الواحد بين فئاته تحت غطاء العصرية والتحديث.

¹ - الطيب التيزيني، الواقع العربي والألفية الثالثة، ضمن: ندوة حوارات في الفكر، الواقع العربي وتحديات الألفية الثالثة، مراجعة وتدقيق ناصيف نصار، مؤسسة عبد الحميد شومان، العدد 3، عمان، 2001، ص 20

² - د. فضل دليو، المرجع السابق، ص 180.

تأثير الإعلام الغربي على الأسر:

يتفق جلّ الباحثين في علم الاجتماع الإعلام أنّه بدأ دور الأسرة، وباقي مؤسسات التنشئة يتراجع لصالح وسائل الإعلام، وذلك بسبب التغير الاجتماعي الذي طرأ على أطوار كثيرة من مكونات المجتمع ووحده، فقد أصبحت الأسرة مشدودة إلى مؤثرات كثيرة مثل طول ساعات العمل للوالدين أو إحداها والاهتمام بقضايا حياتية كتوفير مصادر الدخل "التوجه المادي" وإقتصار حجم الأسرة على الأسرة النووية لما لها من دور محدود، وتراجع الدور الواسع والمؤثر للأسرة الممتدة، ودخول عوامل جديدة داخل الأسرة مثل جهاز التلفاز والكمبيوتر، هذا ما أشارت إليه بعض البحوث التي توصلت على أنّ حياة الأسر اليومية لا تقلت من تأثيرات وسائل الإعلام، والتأكد بذلك هو تواجد أكثر من جهاز تلفاز في البيت الواحد وفي أماكن مختلفة كالمطبخ وغرفة النوم... أي حتى في الأماكن الغير المعتادة لهذا الجهاز (تلفاز)، أين تعودت الأسرة وضعه فيها⁽¹⁾.

فأصبحت ساعات التواصل بين أعضاء الأسرة محدودة وأصبح الأبناء يبحثون عن إجابات لتساؤلاته في أجهزة الإعلام كالإذاعة والتلفاز وشبكة الإتصالات، وشبكة

¹ - مفيدة العباسي، أثر التقنيات الحديثة على العلاقات الاجتماعية والإتصالية للأسرة العربية، مداخلة: في مؤتمر: الأسرة والإعلام العربي: نحو أدوار جديدة للإعلام الأسري المنعقد يومي 2-3 مايو 2010 الدوحة- دولة قطر.

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

المعلومات وغيرها من مصادر المعرفة الإعلامية، وقد أدى ذلك كله إلى إضعاف دور الأسرة في تكوين الثقافة التربوية للأبناء⁽¹⁾.

بمعنى أنه أصبح لوسائل الإعلام دور في تنمية وعي الأفراد من خلال عملية تزويدهم بالمعلومات والتطلعات في تزايد مستمر، يقول العاقد أحمد: "أصبحت وسائل الإعلام في الوقت الراهن، أهم مصدر نأخذ منه معارفنا ومعلوماتنا عن العالم المحيط بنا، فهي تلعب دورا مؤثرا في تشكيل وعي المواطنين، حيث تؤثر هذه الوسائل في الطريقة التي يدرك بها الأفراد الأمور، كما ترسم الصورة الذهنية لدى الأفراد عن الدول، والمواقف والقضايا والأحداث"⁽²⁾.

تأثير الإعلام الغربي على اللغة:

يرى كل من الأنثولوجيون والأنتروبولوجيون أنه لمعرفة ثقافة جماعة ما أو مجتمع ما يتطلب ضرورة تحليل اللغة الخاصة بالجماعة أو اللغة الوطنية للمجتمع بهدف استخراج ما في مفروضاتها من مفاهيم ومضامين وما قد تحتويه من قيم وأفكار وتصورات، لا يمكن معرفتها أو التوصل إليها عن طريق ملاحظة السلوك الظاهري لأفراد المجتمع⁽³⁾.

¹ - مونييف عبد الرحمان، الثقافة والمتقف في المجتمع العربي، منتدى عبد الحميد شومان الثقافي، بيروت، 1998، ص 54.
² - العاقد أحمد: من نسق الإنغلاق إلى نسق الانفتاح عن التواصل الثقافي، القنوات الفضائية الغربية، 1997، ص ص 68-280.

أنظر: عبد المعطي عبد الباسط: الإعلام وتزييف الوعي، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1979، ص ص 26-42.
³ - عبد الغني عماد، سوسيولوجية الثقافة، المفاهيم والإشكاليات... من الحدائثة إلى العولمة، المرجع السابق، ص 62.

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

تواجه اللغة العربية اليوم باعتبارها وعاء للثقافة العربية وللحضارة الإسلامية، أخطارا تتفاقم بإطراد يأتي من هيمنة النظام العالمي الذي يرفض صياغة العالم الجديد متعدد الأقطاب والمراكز والثقافات، والذي يسعى لرفض اللغة الأقوى بحكم قوة الفعل السياسي والنقل العلمي والثقافي والاقتصادي⁽¹⁾

الحقيقة التي يقر بها الجميع أن اللغة الانجليزية هي اللغة الأكثر انتشارا بين سكان العالم وما ساعد على هذا الانتشار هو الإعلام وتطور وسائله بصورة غير مسبقة، ثم جاء النفوذ اللغوي للأغاني والأزياء، كما تعتبر في كثير من المنظمات الدولية هي اللغة الدبلوماسية بين أعضائها⁽²⁾.

قد تهيأت الفرصة للغة العربية إبان الفتح الإسلامي لتتبوأ مكانة مرموقة بين لغات العالم، وكان ذلك محمولا على ارتباطها بالقرآن الكريم والدين الإسلامي، فارتبطت بقوة المسلمين بكل ما تحمله القوة من عناصر عسكرية واجتماعية ودينية وعلمية وثقافية، مما لاشك فيه أنها مرّت بمراحل من الإزدهار والتفهم ومثلما حصل في تركيا وماليزيا حيث استبدلت الحروف العربية باللاتينية⁽³⁾.

¹- كمال بشر، اللغة العربية بين العروبة والعمولة، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، 2002، ص 45.

²- حسن ظاظا، المرجع السابق، ص 215.

³- كمال بشر، نفس المرجع السابق، ص 66.

أصبحت اللغة العربية في الوقت الراهن تواجه من التحديات الكبيرة ومنافسة بل تحديًا في عقر دارها من طرف اللغات الغربية وعلى سبيل الأمثلة نشير إلى:

- التداول بالإنجليزية والفرنسية في الحياة اليومية.
 - التراسل عبر الأترنيت والهواتف النقالة باللغات الأجنبية.
 - اشتراط إتقان اللغات الأجنبية في التوظيف.
 - كتابة قوائم الطعام في المطاعم باللغات الأجنبية.
 - كتابة اللافتات الإشهارية باللغات الأجنبية.
 - إدراج اللغات الأجنبية في التعامل داخل محيط الأسرة.
- يتخذ التونسي "عبد السلام المسدي" من رأي كاميلو الذي قال «لغات العالم تتجه نحو التناقض وأنه لن يبقى إلا أربعة لغات قادرة على الحضور العالمي، هذه اللغات هي الإنجليزية، الإسبانية والعربية والصينية» منطلقا لتناول القضية، إذ يأمل أن تكون العربية واحدة من اللغات التي سيكتب لها البقاء، ويرى أن اللغة العربية قد تشكل في طموحاتها المستقبلية أخطارا حقيقية على دعاة العولمة الثقافية وسياساتهم التهميشية، وذلك يعود إلى جملة من الأسباب⁽¹⁾:

¹ - د.فضب دليو، المرجع السابق، ص 238

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

- احتمال تزايد الوزن الحضاري للغة العربية في المستقبل المنظور فضلا عن البعيد. (اللسان العربي هو اللغة القومية لحوالي 270 مليون)

- اللسان العربي حامل تراث، وناقل المعرفة وشاهد حي على الجذور التي استلهم منا الغرب نهضته الحديثة في كل العلوم النظرية والطبيعية والفلسفية⁽¹⁾

فاللغة العربية تمتلك مقومات المواجهة لقول " عبد العزيز التويجي " «إن اللغة العربية تقف اليوم في مفترق الطرق فإما أن تتجدد وتتطور لتواكب المتغيرات اللسانية والمستجدات في الوظائف اللغوية لتحيا ولتقاوم وليثبت وجودها . وإمّا أن تنكمش وتتفوق، فتراجع وتضعف ، وهذا ما يريده لها أحد من أبنائها وبناتها ومن محبيها وعشاقها وهم كثر. وإن اللغة العربية تقف وجها لوجه أمام التحديات الراهنة⁽²⁾»

فمن خلال هذا كله نقف على مدى الخطورة التي تواجه المجتمعات العربية بشكل عام، والجزائري بشكل خاص المرتبطة بلغته القومية العقائدية باعتبارها " اللغة " حاملة التصورات والقناعات والتطلعات للأفراد والجماعات، وأي تغيير على المستوى اللغوي هو تغيير؛ وتشويه على مستوى المكتسبات المشار إليها، فاللغة تقوى وتكسب المناعة ضد المؤثرات الخارجية حين تكون لغة العلم ولغة المعرفة، ولغة الحياة التي تفرض نفسها

¹ - أبو الفتح عثمان بن جني، المرجع السابق، ص 76.

² - عبد العزيز بن عثمان التويجي، اللغة العربية والعولمة، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، المغرب ، ص403.

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

وتلمي شروطها فلا تدوب في لغة أخرى فتفقد هويتها وتتخلى عن رسالتها "فالأمة التي تفقد لغتها تفقد نفسها"⁽¹⁾.

تأثير الإعلام الغربي على القيم:

نال موضوع الإعلام والتغير القيمي اهتمام علماء علم إجتماع الإعلام خاصة مع تعاظم دور الوسائط الإعلامية في حياة الأمم و الشعوب المعاصرة، إذ أصبح البعض يدق ناقوس الخطر جرّاء التغير في الثقافات القومية ومنظومتها القيمية، وما يسببه على مستوى الهويات الثقافية الإجتماعية.

فالقيم "هي الحقائق الناجمة عن الهيكل أو البناء الإجتماعي، لذلك لا يمكن إدراكها والوعي بها إلا من خلال البنية الإجتماعية، ووفقا لذلك فهي تشكل أحد معايير السلوك الإجتماعي التي تجسد واقعا العادات والتقاليد التي تحافظ على توازن المجتمع واستقراره فالقيم من خلال هذا تستمد من المعايير والأعراف والعادات والتقاليد المتبعة في المجتمع، فكما يرى "حليم بركات" «أن القيم تعد مقياسا يوجه سلوكنا ، فنعتمده في عمليات إصدار الأحكام والمقارنة والتقويم والتسويق والإختيار بين البدائل والوسائل والغايات»⁽²⁾.

¹ - الجارري، بين أحضان اللغة العربية، اللغة العربية و العولمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1984، ص109..

² - د فضل دليو، المرجع السابق، ص77

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

وهناك من يعرف القيم على أنها: "مجموعة أحكام يصدرها الفرد على البيئة الإنسانية والاجتماعية والمادية، وهذه الأحكام في بعض جوانبها نتيجة تقويم الفرد أو تقديره إلا أنها في جوهرها نتاج جماعي استوعبه الفرد وتقبله بحيث يستخدمها كمحات أو مستويات أو معايير، يمكن أن تتحدد إجرائياً في صورة مجموعة إستجابات القبول والرفض إزاء موضوعات أو أشخاص أو أفكار"⁽¹⁾.

من خلال هذه التعريفات ، يلاحظ أن القيم هي بمثابة معايير اجتماعية للسلوك الإنساني تحدد الصواب من الخطأ، تحدد المرغوب فيه من المرغوب عنه..، كذلك فإن القيم معيار للضبط الاجتماعي، وموجهات للسلوك الفردي ، وهي بالإضافة لذلك ليست مجرد صفات مجردة، أو نظرية وإنما يتم ترجمتها إلى سلوك لها حظ الثبات وتخضع للتغير. كذلك هي ظاهرة إجتماعية ثقافية تخضع لعملية التنشئة الاجتماعية وتتأثر بها.⁽²⁾

لقد تمكن "الإعلام" المدعوم بتكنولوجيا الإقتصاد والمعلومات من إزالة الحدود تتحصن خلفها الشعوب والأمم، مستبيحة المجال الثقافي الذي يتسم بالخصوصية والتفرد.

¹ - أبو حطب فؤاد وصادق أمال: نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، مركز التنمية البشرية، الجيزة، 1979، ص 228.

² - عبد العزيز بن عثمان التويحي، المرجع السابق ، ص 233.

الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري

يسعى الإعلام الغربي إلى التشويش على الهويات الوطنية عبر الاستيلاء والتهمجين وفرض نسق واحد من القيم⁽¹⁾

إن الإعلام الوافد يعمل على سيطرة وعي الإنسان والتحكم فيه ويعمل على صياغته من جديد وفق أهداف وأنماط وأساليب جديدة يعتمد على توسيع المظاهر الاستهلاكية وتعميمها⁽²⁾.

وعليه يصبح المستهلك العربي للإعلام الغربي عرضة للتوجيه وتبني الأفكار والقيم الغربية الوافدة. إذ تشيع أنماط السلوك الإجتماعي الغربي، ويسعى "الإعلام الغربي" إلى تعميم النموذج الأمريكي للحياة والسلعنة. وبذلك تعمم قيم السوق على الفاعليات الثقافية، وتحول الثقافة إلى سلعة وتهدد الهوية الثقافية⁽³⁾.

¹ - د. حسن عبد الله العابد، أثر العولمة في الثقافة العربية، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، الأردن، 2004، ص 94.

² - خالد حربي، العولمة بين الفكرين الإسلامي والغربي "دراسة مقارنة"، توزيع منشأة المعارف، القاهرة، 2003، ص 109

³ - نفس المرجع، ص 113.

الفصل الخامس

صورة الغرب والإنسان الغربي

في الثقافة الشعبية

الفصل الخامس: صورة الغرب والإنسان الغربي في الثقافة الشعبية الجزائرية

إن البحث عن معرفة التصورات و التمثلات و المواقف عن الغرب ، توجب علينا البحث عنها في ثقافتنا لأن الإنسان يعيش و يفكر بواسطة ثقافته. و اعتبار الثقافة هي الثقافة منتوج اجتماعي تسهم في بلورته مختلف الوحدات المجتمعية تاريخيا، فهي عبارة عن تراكمات معرفية وسلوكية ومادية للجماعة البشرية المرتبطة برقعة جغرافية معينة عبر الزمن، كما يرمز لها على أنها الجو المشتمل على أشياء ظاهرة مثل الأوزان والألحان والحركات وعلى أشياء باطنة كالأذواق والعادات والتقاليد، بمعنى أنها الجو الذي يطبع أسلوب الحياة في مجتمع معين وسلوك فردي فيه بطابع خاص، يختلف عن الطابع الذي نجده في حياة مجتمع آخر⁽¹⁾، فمعناه أن الثقافة الشعبية تعد جزءا هاما في أي ثقافة ، ترتبط بالسواد الأعظم للشعب ولكن ملكيتها تبقى للجميع و بعبارة أخرى، إن البحث عن كيفية تناول الثقافة الشعبية "للغرب" كموضوع لها، يتطلب تجاوز لخصيصة جوهرية للثقافة العاملة "ثقافة النخبة" بتعبير محمد عابد الجابري، لأن هذه الأخيرة ترى في ذاتها أنها ثقافة رفيعة، ونكمن هذه الخصيصة في كونها اعتادت إقصاء ما أسمته بالثقافة الشعبية، أو بتعبير آخر بثقافة العامة أو العوام، والتي توجه لها الاتهامات باعتبارها رمزا للعتاقة والماضي والتخلف، بل أكثر من ذلك عند البعض على أنها المعوق الرئيسي

¹ - مالك بن نبي: تأملات، دار الفكر، سوريا، 1991، ص 147.

لأية محاولة لإحداث النهضة، وهي تهدف من خلال هذا التوجه إلى عملية إقصاء لها على أنها خارج الإنتاج الأكاديمي، إلا أن واقع البحث العلمي ينفي ذلك لما تجده بعض التخصصات العلمية "الأثروبولوجيا، علم النفس الاجتماعي، وعلم الاجتماع... في هذا الجانب (الثقافة الشعبية) من مادة خام ومواضيع، ورموز (مخزون ثقافي / موروث)، تقتضي الضرورة الرجوع إليها، وفهمها فهما زمانيا ومكانيا حتى تساعدنا على إدراك الماضي وفهم العديد من إشكاليات الحاضر وحلها، هذا الحاضر الذي به نستشرف المستقبل، الذي نكون فيه شركاء وطرفا إلى جانب آخرنا المغاير "فكريا، دينيا، قيميا..." "الغرب" على وجه الخصوص.

ففي تحديد صفة الشعبية يرى البعض أن الإطار الموحد من الفكر والسلوك والثقافة الموروثة هو الشرط الأساسي لإطلاق صفة الشعبية على جماعة ما". ومن خلال ما تقدم، نود "الغوص" والدخول مباشرة إلى عقل الجماعة أو العقل المجتمعي الجزائري فيما تسمح به ثقافته (الشعبية / العامية) التي كتب لها التدوين القليل من الكثير، وإلى جانب ما بقيت تحتفظ به الذاكرة الجماعية، لنقف على كيفية رؤية هذه الجماعة (الجزائريين) لذاتها، من خلال رؤيتها لغيرها (الغرب)، كيف تعين وتميز هويتها من خلال تمييزها لهوية غيرها (الغرب)، مقتنعين كل القناعة أنه أي جماعة إنما تعتمد في تعريفها لهويتها ورؤيتها لذاتها على هوية الآخرين، كما نعد إلى إبراز قيمة هذه الثقافة

(الثقافة الشعبية) في موضوعنا "صورة الغرب" بما تزخر به من صورة مترسبة في أعماق الحافظة الشعبية Album "الذاكرة الشعبية". و ذلك لمكانة الخيال في هذه الثقافة ، يقول محمد نجيب النويري "موضوع الخيال يمكن اعتباره الاسطوانة التي يقوم عليها البحث في الثقافة الشعبية في كل البيئات الفكرية و في العالم بأسره، فهو بشكل ما بحث في الخيال الذي أتاح ظهورها وأمدّها بعناصرها و كان الرحم الحاضن لنشاتها".

إنني لا ادعي امتلاك كل الآليات وكل الموروث الشعبي الذي يجعل من الغرب والإنسان الغربي مادته الخام، قدر ما أحاول جاهدا التماس هذه الشخصية وصفاتها وصورها كما تجسدت في الخيال الجمعي الجزائري، فيما أمكن جمعه من أقوال وأمثال... من خلال عملية مسح ميدانية قمت بجمعها من بعض المناطق من ولاية تلمسان كأنماذج للمجتمع الجزائري، إضافة إلى ما تيسر جمعه عن الغرب من بعض المراجع ذات الاهتمام بالثقافة الشعبية والموروث الشعبي، وما أدلى به بعض المبحوثين

المبحث الأول: صورة الغرب في الأمثال الشعبية:

تعد الأمثال الشعبية جزءاً من الموروث الثقافي الاجتماعي للشعوب ضمن مسيرتها التاريخية والمثل الشعبي الجزائري، هو "إبداع عفوي أصل يحمل ملامح الشعب الجزائري ويحفظ سماته، ويؤكد عراقتة، ويعبر عن همومه اليومية، ومعاونة أفراده على مختلف مستوياتهم، وهو صورة لروحهم العامة، وشعورهم المشترك"⁽¹⁾ وعليه يصبح المثل الشعبي، بالنسبة لموضوع دراستنا، أحد الروافد الثقافية الدال على علاقة الشعب الجزائر وتجربته وطبيعة نظراته للغرب للعالم الغربي والإنسان العربي.

- " لمعاونته مع النصارى ولا القعاذ خسارة "

جاء هذا المثل محملاً بمعاني متباينة، والمستمدة من القيم الرمزية التي أراد البوح بها والمتمثلة من جهة في (التعاون / التكافل / المساعدة) ومن جهة أخرى قيمة الوقت (لوقت ثمن وجب الحرص على استغلاله، فالمثل يحث على استغلال الوقت استغلالاً عقلانياً لما له من قيمة في حياة الشعوب، وحتى في الموروث الثقافي العربي نجد "الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك". هذا ما يبدو في القراءة الأولية للمثل، لكن ما يهمننا هو تلك القراءة التأويلية للمثل، والمتمثلة في التصغير والحط والتبخيس من "جنس

¹ - أحمد زياد محبك، من التراث الشعبي، دراسة تحليلية للحكاية الشعبية، دار المعارف، بيروت 2005، ص...

النصارى " قدر رفعه وتقديره لقيمة الوقت، والمغزى من المثل هو لا تضيع للوقت ولو في استغلاله لمساعدة النصارى، والغير المعلن في المثل هو " أنه آخر ما فكر فيه مساعدة النصارى، لما يربطنا مع النصارى من صراع وعداء تاريخي، وبالتالي نجد في هذا المثل خنوع التجربة التاريخية دون مراعاة ما تنص عليه التعاليم الإسلامية التي لا تجد في مساعدة المغاير دينياً حرجاً شريطة اللاتعارض مع قيمه.

- وهناك مثل آخر، يقول: "قطران بلادي ولا غسل بلاد الناس"

إن ما حل بالشعب الجزائري من اضطهاد استعماري غربي ولما نتج عنه من انعكاسات سلبية متعددة (اجتماعية، صحية، مجاعات، فكرية، اقتصادية...) دفعت بالعديد من الجزائريين للهجرة الخارجية (بلاد الناس) سعياً منهم للحصول على قوتهم اليومي وتحسين وضعهم الاجتماعي الاقتصادي، ومن البلدان التي كانت وجهتهم البلدان الغربية عامة وفرنسا على وجه الخصوص، التي عملت على استغلالهم اقتصادياً، حيث مثلت لها مستعمراتها مصدراً لليد العاملة الرخيصة... لكن الفرد الجزائري ظل يشعر دائماً بقيمة انتمائه إلى أرضه (الجزائر) وأهله (الجزائريين) اللذان يمثلان الدفء الحقيقي والاستقرار النفسي- الذي لا يمكن الاستغناء عنه أو إيجاد عوضاً له فيما غيره من أوطان، حتى ولو أدرك المهاجر الفرق المادي والاجتماعي في الخارج (غسل)، الذي لا يتماشى ومثيله في الداخل (القطران)، والقطران في التعبير الشعبي يدل على السواد

الداكن الذي يشبه لون مادة الزفت الذي تعبد به الطرقات، وهذا له مدلوله النفسي- والاجتماعي أشارت له دراسات علم النفس الاجتماعي والأنثروبولوجيا الاجتماعية في تناولها لموضوع الانتماء والهوية، حيث يشير ابن خلدون إلى علاقة الإنسان بالجد الأول (القربة الدموية إلى جانب الانتماء إلى الحيز الجغرافي (الأرض)، كما يؤكد ذلك "جاك بارك" مضيفا الانتماء إلى الثقافة والقيم السائدة بهذا الوسط، بما يعبر عنه عادة المهاجرون "بالإحساس بالغرابة" وهذا معناه افتقاد إلى قيم وثقافة مجتمهم الأصلي، وبالتالي يشير المثل إلى مدى تحمل الإنسان الجزائري العيش في بلده (وطنه) في ظروف قاسية على هجره (الوطن) إلى أوطان مغايرة.

- ففي ثقافتنا الشعبية، العديد من الأمثال التي تتضمن نفس المعنى (الارتباط

بالوطن) مثل المثل القائل: "جوع بطاني ولا خروج وطاني"

ويقال بصيغة أخرى في بعض المناطق الغربية "جوع لبطان ولا خروج لوطان"

فالمثل يجسد ظاهرة عرفتها الجزائر على غرار بقية الشعوب التي تعرضت للاستعمار،

واستنزفت ثرواتها ومواردها الاقتصادية، ظاهرة الهجرة الخارجية، وعلى وجه الخصوص

تلك المتعلقة نحو البلدان الغربية (النصارى)، خاصة مع التوسع الاستعماري والتي بقيت

متواصلة حتى الوقت الراهن (بعد الاستقلال)، حيث أصبح الغرب يمثل لدى

الشباب الجزائري وشباب دول العالم عموما "عالم التقدم، والرفاهية والحرية

والديمقراطية، العالم "الحلم" الذي تتطلع إليه الأنفس "الجنة المفقودة" العالم الذي في سبيله يهان كل شيء حتى "الأرواح" (التي تفنقد يوميا في عرض البحر المتوسط).

فالمثل هذا يجسد وجهة نظر الجزائري المتشبت بانتمائه الوطني والبقاء به مهما كانت الظروف ومهما بلغت المعاناة "الجوع"...

- "لي باع أرض باع عرض"

إن المجتمع الجزائري كان مجتمعا تقليديا، يغلب عليه طابع البداوة، يعتمد في اقتصاده على الرعي والفلاحة... فكانت الأرض بشكل عام تمثل مصدر تلبية الحاجات "الاقتصاد" ومن ثم أصبحت الأرض تمثل رمز وجوده وكرامته وقوته التي لا تعوض بثمن، والمثل هنا يحتمل التأويل، "إما عدم تحبيذ بيع الأرض للغير لأنها مصدر إثبات وجود الشخص وكرامته، أو إشارة إلى البعض من كانت لهم القدرة على الوقوف إلى جانب المستعمر الغربي من اجل المصالح الشخصية، والظاهرة معروفة بالمجتمع الجزائري بـ "الحركة" بائعو الذم للعدو، هؤلاء أصحاب الضائر الميتة، لم تبق لا قيمة ولا عرض لدى مواطنيهم الجزائريين، أصبح يشار إليهم بالخونة، وأصدرت الثورة حق متابعتهم والقضاء عليهم، لأنهم خانوا الائتاء "الوطن، العروبة، الإسلام..." بل أصبحوا يمثلون العدو الرئيسي للشعب الجزائري، ولا زالت النظرة نفسها متواصلة لهذه الفئة حتى الآن،

ويفهم من المثل: من باع أرضه، لا يهون عليه استبدال بلاده بغيرها من البلدان وهذا معناه كذلك أنه يفتقد إلى روح الانتماء والولاء لهذه الأمة، "التنكر للجذور والأصل والنتيجة، فالأشخاص الذين تتوفر فيهم هذه الميزات، لا نستغرب إن لم يولوا أدنى اهتمام بعرضهم وشرفهم".

- "الخبزة اليابسة ولا فرائسًا"

مثل آخر من تلك المثل الشعبية الجزائرية التي سيقى للوجود بعد التعرض للاستعمار الفرنسي، ومن خلال هذا المثل نقف على ما كان مخزن من صفات وأفكار ونعوتات سلبية قاسية للاستعمار "الفرنسي" الذي يعد رمزا للغرب كله "الغرب الاستعماري" في الذاكرة الجمعية للمجتمع الجزائري والتي تعتبر المزود الرئيسي- للمخيل الجمعي الجزائري في عملية إنتاج الصور الخيالية والأحكام (تفضل الخبز اليابس على الذهاب لبلد العدو المستعمر الفرنسي).

ومن الأمثال التي أصبحت كثيرة الترداد لدى الشباب الذي يريد التعبير عن بقاءه في وطنه "الجزائر" في زمن أصبحت الغالبية تتطلع إلى الهجرة نحو الغرب، نجد مقولة:

- " غير هنا وانديروا القلب "

أي بإمكان "الشباب" الجزائري أن يصل إلى تحقيق أهدافه وغاياته هنا بالجزائر دون اللجوء إلى الغرب، شريطة توفر العزيمة، (تفضيل "الهنا" على "الهناك" الذي يجيل إلى الغرب).

إن للثقافة الشعبية أهمية بالغة في معرفة ماضي ونفسية الشعوب، بل تعد عند علماء علم النفس الاجتماعي والأنثروبولوجيا الثقافية... من المصادر الرئيسية التي يلجأ إليها لتفسير الظواهر المعقدة والغامضة في الأوساط الاجتماعية والثقافية لدى المجتمعات.

وتظهر أهمية الثقافة الشعبية هذه في كونها ثقافة محلية مرتبطة بمكان معين (الحيز الجغرافي) وتعكس وجدان وقيم ورموز الجماعة (المجتمع) التي توافقت عليها كمشتركات لمسيرتها التاريخية والعيش المشترك، وهي (الثقافة الشعبية) ثقافة غير انتقائية، بالمعنى الذي يسمح لها بالاحتفاظ إلا بما هو إيجابي نحو جماعتها، بل نجدها وبالأحرى نجد الذاكرة الشعبية تحتفظ بكل ما أفرزته مسيرات الجماعات والشعوب المرتبطة بها كموروث هو باقي لها حتى تلك القيم والحكم والأقوال المأثورة والأمثال والأساطير ذات المعنى السلمي تجاه الذات المنتجة لها. هذا ما جعلها توصف وتنعت بالمصادقية والحياد.

إذا رجعنا لموضوعنا، فإننا نجد في مادة الثقافة الشعبية من الأقوال والأمثال ما يعاكس تلك المجموعة التي تم التطرق إليها والتي كانت في نظرنا تعكس ارتباط وتفضيل كل ما هو ذاتي (النفخ في الذات...) عن ما هو مغاير "غربي"، وبالتالي بإمكاننا القول

أن الذاكرة الشعبية الجزائرية استطاعت أن تحتفظ لنا من الموروث الشعبي الذي ترسب نتيجة تجربة الإنسان الجزائري وقناعاته في مسيرته التاريخية من الأمثال والأقوال المعاكسة، التي رغم تعارضها في الأهداف، إلا أنها تتقاطع في التربة والمرجعية التي سقت فيها، وما التعارض إلا تعبيرا للاختلاف التي سمحت لها وأهلتها على أن تكون على هذا الاتجاه أو ذاك...

ومن الموروث الشعبي الجزائري الذي يعكس النظرة الإيجابية للعلم الغربي ومجتمعاته والإنسان الغربي على العموم نجد:

- «أترك بلادك تنال مُرادك»

فالمثل هذا، يشجع على ترك البلاد ومغادرتها (الوطن)، كما يرى في هذا التغيير للبلاد مجلبة للخير وتحقيقا للأهداف المراد تحقيقها والوصول إليها (الغاية)، وهذا المثل لا يتناقض مع توجيهات الرسول (ص) وسيرة السلف الصالح المعبر عنها: «أطلب العلم ولو في الصين» وكذلك «الحكمة ضالة المؤمن فأينما وجدها فهي له» أي التحبيذ للسفر إلى البلدان المغايرة من أجل جلب كل ما يعود على الأمة بالنفع والإيجاب "العلم"، كذلك السفر لنشر الدين الإسلامي، والواقع يؤكد لنا أن الكثير من البلاد الإسلامية

كان فتحها عن طريق التجارة والرحلة "العلم"... وقد تكون هذه الهجرة إلى بلاد (النصارى) كما قد تكون إلى أية وجهة أخرى (التأويل).

وهذا ما أشار إليه الشاعر العربي في قوله:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفريج هم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجد.

فالتخيال الشعبي هنا لا يجد قطعة أو حازا بين البلاد الأصلية وبلاد الغير بل يتجاوز تلك الحواجز في سبيل الغاية والأهداف (مرادك)... كما يشير ضمنا إلى ساحة ورحابة (الغير الذي يمكن أن يكون الغربي) الذي لولا تسامحه ما أمكن السفر إليه. وبالتالي ينفي عنه التعصب اتجاه الذات الوافدة إليه.

- « عُدُو جَدِّكَ مَا يُودِّكَ »

بمعنى إذا كان الغرب (التأويل) بالأمس عدوا للأسلاف الأجداد، فلا تنتظر منه أن يغير من نظرتة تجاهك ويصبح نقيض الأمس ويتحول من العداوة إلى المودة، والمحبة، حتى ولو تظاهر لك بذلك، لان الانسان الغربي الحالي على خطى أجداده وأسلافه حريص على مصالحه وأهدافه التي هي بالأساس نقيضة لمعالمتنا وأهدافنا، وأن الغرب

اليوم سيجين موروثه الاجتماعي الثقافي الذي حرص غرب البارحة (تاريخ العالم الغربي الوسيط) مع العالم العربي الإسلامي على توريثه من صور وأفكار نمطية سلبية....

- كذلك « العُدُو مَا يُؤَلِّي صَدِيقٌ وَالتَّخَالَةُ مَا تُؤَلِّي ذَقِيقٌ »

ومفاده أنه من المستحيل أن تتحول "النخالة" المادة الملتصقة بـ "الدقيق" إلى الدقيق نفسه، بل تظل المادة المعزولة عن "الدقيق" بعد عملية الطحن "الغريلة" لتقديمها إلى البهائم والأنعام "الحيوانات"... كذلك يظل العدو عدواً بعدوانيته كيفما تصرفت معه حتى ولو كنت متسامحاً عفواً عنه...

هذا ما يفسر نظرة الغرب لنا ولمجتمعاتنا العربية، إنها نظرة احتقار دائم، الاحتقار الذي ورثه عن الإيديولوجية الغربية المرتكزة على النظرة الاستشراقية "المركز والأطراف"، والكنيسة "المتعصبة"، المسلم هو الكافر بالمسيحية والإرهابي تجاه كل ما هو غربي "نظرة مغلوطة قصدياً"، استطاعت كل من الكنيسة والكنيست (اليهودي) والدوائر المركزية الغربية من غرسها وتثبيتها في مخيلة الإنسان الغربي...

اليهود في الموروث الشعبي

لقد حاولت أن أتطرق في هذا الجانب المسحي الاستقصائي التحليلي من الموروث الشعبي الجزائري لصورة اليهودي، كما تجلت في هذا الجانب من خلال الأمثال والمأثور الشعبي إلى جانب صورة الغرب والإنسان الغربي وذلك للاعتبارات التالية:

أ. من باب المقاربة "الصور الخيالية والأفكار النمطية التي احتفظت بها الذاكرة الجماعية الشعبية الجزائرية لأصحاب الديانات السماوية، كون اليهود أصحاب ديانة "من أهل الكتاب" الذين ذكروا ووصفوا واتخذت منهم مواقف في ديننا الحنيف، وفي اعتقادي أن الموروث الشعبي الجزائري تأثر كغيره من الآداب التراثية العربية والإسلامية «بصورة اليهود كما وردت في القرآن الكريم وبما ورد في السنة النبوية والتراث الإسلامي بشكل عام»¹.

ب. تجسيد "صورة اليهودي في الموروث الشعبي، حسباً أمله تجربة الإنسان الجزائري مع هذا الجنس كطائفة لها خصوصياتها، عاشت بمعيتة طوال عهود طويلة من تاريخه العريق...

ج. وهو الاعتبار الأهم، والمتمثل في وقوف هذه الطائفة إلى جانب المستعمر "الغربي" ومناصرته بكل ما أوتيت من قوة "الدسائس والسمرسة السياسية..." رغم

¹ - رشاد عبد الله الشامي، رؤية مصرية لصورة اليهودي في أدب إحسان عبد القدوس.

أنها كانت طائفة ذات حقوق ولها امتيازات في المجتمع الجزائري قبل الاستعمار، واعتبرت طائفة منبوذة اجتماعياً، دينياً في الغرب في الماضي عانت من الاضطهاد وملاحقة الكنيسة المسيحية الكثير (محاكم التفتيش) مما جعلها تهرب إلى شمال إفريقيا والوطن العربي مع بقايا المسلمين الأندلسيين...

وإن وقوف هذه الطائفة "اليهودية" المدعم للاستعمار الغربي، جعله (الاستعمار) يتخذ منها الوسيط وآلية من آليات إدارته في التحكم داخلياً في الوطن والإنسان الجزائري، وهذا نقف عليه من خلال قراءتنا للامتيازات التي كانت تقدم لها والقوانين التي كانت تصدر لصالحها في الفترة الاستعمارية...

والأهم من ذلك، أن موقف اليهود العدائي والعلني إلى جانب الاستعمار، هو الذي وضع الفارق والاستثناء بين الجزائر وباقي الدول العربية تجاه اليهود بعد الاستقلال، وحتى لا نطيل في الشرح نوجزها في النقاط التالية:

- مغادرة اليهود الجزائر مع خروج الاستعمار. (بالمقابل هناك جاليات يهودية معترف بها في العديد من الأقطار العربية وحتى المغاربية رسمياً).

- الوقوف المشرف للجزائر تجاه القضية الفلسطينية (الجزائر مع فلسطين

ظالمة أو مظلومة).

- السياسة الجزائرية المناهضة للتطبيع العربي مع إسرائيل. (هناك من الدول العربية والإسلامية التي تتاجر سياسيا بهذه القضية،... هناك من هذه الدول من تربطها علاقة صداقة وتعاون مع إسرائيل... اعتراف بالدولة الإسرائيلية، حيث تبادل السفارات والمبادلات التجارية....

فكل هذه الاعتبارات والتصرفات لا شك أنها تدخل كعوامل موضوعية في إعطاء صفة لتلك الصور الخيالية المنجزة عن مخيلة الفرد الجزائري والمخيلة الجماعية للأمة الجزائرية عن اليهودية واليهودي، وعلى العموم يبقى اليهود ينتسبون للغرب في الخيال الجمعي الجزائري رغم تكوينهم كيانا سياسيا جغرافيا في قلب الوطن العربي.

في البداية تجدر بنا الإشارة إلى ملاحظة سجلناها ونحن نقوم بجمع المادة التراثية المتعلقة باليهود من (الشيوخ والعجائز)، باعتبار هذه الفئة الأكثر تجربة والأكبر سنا، عاملان مساعدان على عملية الجمع... فبمجرد سماعهم (الشيوخ والعجائز) كلمة اليهود /اليهودي/ اليهودية... كانوا يتلفظون بكلمات من قبيل: لعنة الله عليهم/ لعنةُ الله عليه/ لعنةُ الله عليها... وكأن هذه الكلمات من المستحب ذكرها مباشرة بعد ذكرهم (اليهود) على اللسان أو سماع ذكرهم، وكأن المراد منه (المخيل) هو التحلل من النجاسة التي ألحقت باللسان أو الأذن بعد السماع والتلفظ. ونحن نعلم أن اللعنة ألحقت بهم من طرف الله تعالى، بعد أن كانوا شعبه المختار، واللعنة تخرج العبد من رحمة الله...

فالكلام هذا "اللعة" ما نجد لها مثيلا وبديلا إيجابيا مثلا: التصلية والتسليم على رسول الله (ص) كلما ذكرناه، أو سمعنا ذكره، أو كقولنا "الترضية" "رضي الله عنهم" كلما سمعنا ذكر زوجات الرسول (ص) أو صحابته الكرام... ولنتخيل كيف تتم عملية "استدعاء" مخيلة الإنسان الجزائري والعربي لما ترسب من أفكار لديه من خلال عملية التنشئة (الدينية، الثقافية، الاجتماعية...) التي مر بها وعبر مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية، وكل ذلك في لحظة لا شعورية لانتقاء الأوصاف والنعوت الملتصقة بهذا الجنس (اليهود) حتى يطلق عليه أحكامه، وعموما يرتبط هذا الجنس بالدناسة في الخيال الجمعي العربي والإسلامي "إخوة الخنازير" هذا الحيوان الغير محبذ كبقية الحيوانات وذلك لدناسته، وللأضرار الناجمة عنه للكائن البشري...

فمن الأمثال والأقوال الشعبية التي لا زالت تحتفظ بها الذاكرة الجماعية للمجتمع

الجزائري نجد:

- "اليهودي مَالِقِيْثُ مَا تَعْمَلُوْ (1) عَفْسُ (2) عَلَي ظَلُوْ (3)"

¹ - يَعْمَلُوْا : بمعنى يعمل له.

² - عَفْسُ : بمعنى يضعه تحت قدميه.

³ - ظَلُوْ : بمعنى ظلّه. (وكلّها كلمات باللهجة التلمسانية)

مثل يعكس تجربة المجتمع التلمساني مع اليهود، خاصة وأنّ هذا الجنس عرف بتواجده الموهل في تاريخ المنطقة، والمغزى من المثل يشير إلى التعصب السلبي للطائفة اليهودية لما عرفت به من خبث وشح وعدم الثقة...، ما يعبرّ به بالعامية الجزائرية بمصطلح تايهودية.

- «الثقلُ والعُقبَةُ والحَمَازُ اليهُودي»

ففي المثل إحالة إلى صفات الغش والتحايل التي اتصف بها اليهود في أقوالهم وأعمالهم مع من يتعاملون معهم، ولم تكن هذه الصفات اليهودية مقتصرة على الأمثال الشعبية الجزائرية فحسب، بل صفات عمت الوطن العربي، وحتى الدول الغربية.

- مثل آخر يقول:

يا مباع من كروية ويا ما غش من عربية¹

فظاهرة الغش والتدليس والتحايل معروفة بل من سمات اليهود أينما كانوا وحيثما حلوا، وإن شهد لهم بالإتقان والجودة في بعض الحرف...الذي رافقه إتقان في التحايل². وعلى ذكر هذا المثل، يتضح أن اليهود كانوا يمتهنون التجارة بشكل واسع كالعطارة

¹ - المثل هذا مرتبط بالتاجر اليهودي، وهو متداول على نطاق واسع بالقطر الليبي.

² - علي مصطفى المصراحي، اليهود في التعابير الشعبية، مجلة الفصول الأربعة، مارس 1981، السنة الرابعة، العدد 13، ص 40.

وصاحبها "العطار" كما أدلى لنا به بعض الشيوخ والعجائز. كان اليهود يخرجون إلى المداشر والأرياف لبيع بعض السلع والمتعلقة بالنساء (مواد تجميل، عطور، مرايا،....) وكانوا يستعملون الحمير في تنقلهم بين تلك القرى والمداشر في الأرياف... وكانت النسوة يخرجن إليهم لشراء أغراضهن ولا تجدن في ذلك إحراج.

ويؤكد لنا هذا الباحث "علي مصطفى المصراحي" فيقول:

« ومن الغريب أن النساء المحجبات سواء في المغرب، أو في الجزائر أو في ليبيا وغيرها كنّ يتحجبن على الرجل المسلم ويخجلن ويتوارين وراء الحجاب، أما البائع اليهودي فلا يخجلن منه... ولا يتبرقعن أمامه... كأنه لم يصل إلى مستوى أن يُجَل منه»¹

لفهم من هذا السلوك النسوي "مقابلة اليهودي بدون حجاب" إما تعبير عن احتقارهن له أو أن هذا الأخير ناقص "ذكرة إن صح التعبير" أو رجلا لا يهتم بالجنس "الأنثوي" لأن همه الوحيد "جمع المال وكسبه بكل الطرق.

هذا ما ينطبق عليه المثل الشعبي القائل: « قَالُوا لِلْيَهُودِي شُكُونُ بَابَاكَ، قَالَهُمْ

الدُّورُ *»

¹ - علي مصطفى المصراحي، اليهود في التعاير الشعبية، المرجع السابق، ص 41.

* - الدورو: وحدة للعمل (المال).

فالأمثال الجزائرية التي حيكت حول اليهود كلّها مَحْمَلَةٌ بالإيحاءات والرموز السلبية في الثقافة الجزائرية مما جعلها تلوّن الصور الخيالية والتصورات عنه بالسلبى نظرا للتجربة التاريخية الجزائرية مع هذا الجنس "اليهود" ومخياله العقائدي "الإسلامي" تجاه اليهود.

كما نلاحظ أنّ هناك تقارب لشح اليهود مع ما ورد في التراث العربي الإسلامي عن الروم "النصارى"، يقول الجاحظ:

"ومما يدل على أنّ الروم أبخل الأمم، أنك لا تجد في لغتهم إسما للجود... " بمعنى أنّ كل من الروم واليهود يلتقيان في ظاهرة البخل.

وفي هذا المقام ارتأيت أن أقدم لكل من تشرف بتصفح هذه الرسالة المتواضعة هذه الأبيات الشعرية التي لها من الدلالة والرموز ما يتركنا نتقرب أكثر لاكتشاف الشخصية اليهودية: معشر العابدين للدينار.

هل لكم غيره إله باري؟

باسمه تهزعون في كل ليل

وبه تهتفون كل نهار

حرث في أمركم فحتم يبقى

المال في دينكم أجل شعار

لو أطعمم إلهكم طاعة

الدينار كتم أجلة الأختيار

حسبكم ما كنزتمو وكدستم

وادخرتم من فضة ونضار

قسما معشر اليهود، لأتم

شر أبناء آدم في اعتباري

كلكم تاجر، ولكن كلاً

تاجر غير عابئ بالعار.¹

و المتعمن فيما احتفظت به الذاكرة الشعبية الجزائرية من أمثال عن اليهود ، يقف على درجة التعصب السلبي الذي لاحقهم مقارنة مع النصارى "الغرب" و لاشك ان هذا التعصب موغل في التاريخ ، يماثله تعصب يهودي للعرب و المسلمين و الإسلام و من الأمثال الشعبية الجزائرية التي تجسد هذا التعصب .

- يقال أن لليهود مثل شعبي يتناول نضرتهم للعرب يقول :

¹ - علي الصقلي، آسي الحى، مسرحية شعرية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2002، ص ص

العربي خونا فالطين (التراب) و أعدونا فالدين¹

بمعنى أن اليهودي ، يقر بوحدة أصل الجنس البشري "الطين" التراب لكن يصر- على عدائه العقائدي الديني للجنس العربي المسلم، وللدين الإسلامي وهذا ما يسجل عن اليهود ومواقفهم تجاه كل ما يتعلّق بالعرب والمسلمين في المحافل الدولية والدوائر السياسية الإعلامية الغربية حاليا.

ومن الأقوال والأمثال الشعبية الجزائرية التي تترجم النظرة الخيالية السلبية "للغرب" التي تجسدت عبر علاقته الجزائرية الغربية (فرنسا) العدائية نجد:

¹ - المثل امدنا به احد الشيوخ .

المبحث الثاني : صورة الغرب في الشعر الشعبي الجزائري

كون الشاعر أو أي ناظم لإنتاج فكري يرتبط بزمان وبالمجال الجغرافي يساهم في ما يجري فيه، فلا شك أنّ إنتاجه يبقى يحمل مما يشير إلى ذلك الإلتواء، ما قيل عنه أنّ الشاعر ابن بيئته لا يمكنه التعلّي عن الواقع الإجتماعي السائد في الوسط الذي يعيش فيه لحظة نظمه للأشعار...وعليه، يعد الشعر الشعبي، أحد المصادر الهامة والرئيسية، في رصد وتتبع صورة الغرب كما تجلت في الخيال " الشعبي الجزائري" وللفترة التي نظم فيها، بل يصبح إنتاجه الشعري نتاج ما أمّلته مخيلته....، إستدعاء هذه الملكة ما ترتب لدى ذاكرة الشاعر من ترسبات وأفكار وموروث عن مجتمعه وجماعته وما هي عليه لحظة إنتاج شعره .

وفي هذا الصدد يقول الشاعر:

كَمْ كَهْرَبِ الشِّعْرِ مَغْلُوباً عَلَى وَطَنِ فَجَرَدَ السَّيْفِ تَلْوَائِكَ الْغَلْبِ⁽¹⁾

ومن الشعر الشعبي الثوري الجزائري، الذي تزامن نظمه مع الثورة التحريرية، والذي كان يرمي إلى تحريك النفوس وتوعية الشعب بقضية، يقول الشاعر:

¹ - محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج2، 1345هـ، 1926م، المطبعة التونسية، ص 114.

(1) طَالِعِ لِأَوْرَاسِ يُجَاهِدُ عَلَى الدِّينِ

قَلْبِي مَهْمُوم غَلَاةُ نَحْمَم

اللِّي مَكْتُوب رَاهُ مَزْمَم

(2) الشَّهِيدُ فِي الْجَنَّةِ رَاهُ يَتْنَعَم

فيظهر من خلال هذه الأبيات، أن الشاعر الشعبي كان له حضوره في الأوساط الشعبية الجزائرية، كما كان صاحب رسالة في مجتمعه والمتمثلة في إستنهاض الهمم والدفع بها للعمل بما هو مطلوب وواجب وهو رفض الإستعمار ومقاومته وذلك من خلال إنتاجه الشعري المرتبط بقضايا وطنه وشعبه، فساهم بالكلمة إلى جانب البندقية، كما يمكن الوقوف على نظرتة للإستعمار من خلال مضامين أشعاره وعلى نوعية الصور التي ربطها به وعلى المرجعيات التي إستند عليها في بناء تلك الصور، فيظهر الإستعمار ذلك العامل الذي مثل له خطرا على عقيدته " الإسلام " فأصبح الجهاد عنده واجب وحتمي " اللي مكتوب * راه مزمم " فيحضر الخيال الديني ليشير إلى مصير الشهيد الأخرى الذي هو وعد من الله تعالى: " الجنة والنعيم " " الشهيد في الجنة * راه يتنعم "، إلى جانب المضمرة من الكلام والذي أراد الشاعر البوح به " إن الكافر والمتمثل في المستعمر

¹ - القصيدة من الشعر الثوري الجزائري، التي عرفت انتشارا في منطقة الأوراس في الفترة الإستعمارية.

² - محمد الصالح ونيسي: الأوراس، تاريخ وثقافة، الطباعة العصرية، الجزائر، سنة 2007، ص 56.

المعتدي مصيره الخلود في جهنم، واستعمل الشاعر بعض الرموز الدالة على الجهاد والتي تمثل في " جبال الأوراس " معقل وملجأ المجاهدين إبان الثورة التحريرية، هذه الجبال التي كثيرا ما تردد في الشعر الجزائري، إلى جانب بعض الأماكن والأسماء، التي تحولت إلى رموز عند المواطن الجزائري مثل: الأمير عبد القادر، واد الصومام، أول نوفمبر...

لم يقتصر مجال نظم الشعر الشعبي الجزائري في الحقبة الإستعمارية على الرجال فحسب، بل إقتحمته المرأة الجزائرية كذلك، للتعبير عن معاناتها ومعانات شعبها من جراء سياسة الإدارة الإستعمارية، وما تفننت في تطبيقه من قوانين جائرة وأساليب التعذيب الإنسانية، تحت غطاء نشر- الحضارة والتقدم والقيم الإنسانية، حيث الظلم والتقييل والإذطهاد والتشريد الذي عم الجميع.

إن الحرمان والمعانات، دفع المرأة الجزائرية لتقف إلى جانب الرجل في كل ما اتخذته من مواقف وممارسات كرد فعل تجاه المستعمر للتعبير عن وجوده وأصالته ورغبته في التحرر، فكانت المرأة المجاهدة، والمسبلة، والشهيدة، كما كانت المرأة الناضمة للأشعار المعبرة عما يختلج وجدانها من رؤى ونظرات للمحتل والإستعمار بشكل عام، فظهرت عاطفتها ورغبتها التحررية في شكل شعر تحرري، عرف إنتشارا في الأوساط الشعبية، مما يجعل منه عاملا للوحدة ودافعا للإعتاف.

وإن اقتصرنا على أنموذج من هذا الشعر الشعبي النسوي، الذي كان من نظم المرأة الجزائرية القبائلية الذي يجسد نظراتها للغرب من خلال الاستعمار الفرنسي، فهذا لا يبلغ مشاركة بقية النسوة في مختلف مناطق الجزائر المستعمرة في هذا النوع من الشعر:

تقول " لالة خديجة" ⁽¹⁾

المسيحي ⁽²⁾ الظالم جائر ⁽³⁾

جاء بشاب من أجيل

وقاده إلى بجاية

أبهر بالحسن كل ناظر

نصبه عرضا للرماة

فالمقاطع هذه عبارة عن تعبير ووصف " لالة خديجة" لأحد المشاهد والأساليب المروعة التي كان المستعمر يلجأ لممارستها في تعذيب الشباب الجزائري الثائر لوجوده بغية إخضاعه وجعله يستسلم للوضع القائم.

¹ - "لالة خديجة" امرأة قبائلية مرابطية، عاشت في النصف الثاني من القرن 18م إلى عرش " أمشدالن" بجرجة نظمت الأشعار في العدو المحتل ومعانات الأهالي، بقيت كموروث غنائي لدى النسوة القبائلية، ولهذه السيدة مكانة لدى سكان المنطقة، حتى أنه توجد بعض الأساطير المرتبطة بها بمنطقة جرجرة.

² - جلاوي محمد: أشعار شعبية من قبائل جرجرة، قراءة نقدية في كتاب هانوطو، الجائر، منشورات زرياب 2001، ص 94-93.

³ - القصيدة مترجمة من اللهجة القبائلية للعربية.

إستهلت " لالة خديجة " شعرها بتعين مرجعية الإستعمار الدينية " المسيحي " وفي هذا التعيين الديني تعبير ضمني لعقيدة مجتمعا " الإسلام " فيظهر البعد الخيالي في جانبه التقابلي العقائدي الذي ظل متواصل الحضور في مخيلة المواطن الجزائري، بما تزوده به " الذاكرة الجماعية " الصراع المسيحي الإسلامي التاريخي " بالحروب الصليبية والإستعمار الإسباني على بعض الشواطئ الجنوبية للمتوسط في الفترة التي سبقت مجيء العثمانيين.

ثم واصلت وصفها لهذا المسيحي المحتل بتعداد صفاته السلبية التي إكتسبها من خلال ما كان يقوم به من أعمال كالظلم والجور " المسيحيالظالم الجائر " في حق الشعب الجزائري، الذي وصل حد التفنن في القتل بل التقتيل:

جاء بشباب من أجليل

وقاده إلى بجاية

أبهر بالحسن كل ناظر

نصبه عرضا للرمات

وصف إخبار الكيفية التي كانت جيوش الإستعمار تقود بها الشباب الثائر من الضواحي والمداشر إلى مراكز التعذيب المتواجدة بالمدن " بجاية "، وعرضه أمام عناصر الجيش " الرمات " لتطلق عليه النار وكأنها في حصة تدريب على السلا، مشاهد مروعة تجسد

همجية وإرهاب والحقد المستعمر من جهة وبراءة الشباب المظلوم الذي لا قوة له في غياب تكافؤ القوى المادية " السلاح من جهة أخرى.

ذلك الشباب الذي عبر عن إصراره على قضيته ووجوده، بأعلى ما يملك من نفس وشجاعة وصبر.

أمه البائسة إليه تنظر

المسيحي الظالم جائر

جاء بشاب مرابطي

في هذه المقاطع، وصف لمعانات المرأة الجزائرية " البؤس " وهي تنظر إلى ابنها وهو معتاد أمام الرمات لرميه بالرصاص، ولنتخيل المشهد، وكم يتطلب من جر للأمهات، اللاتي عرفن نفس الحالة ونفس المشهد.

لقد قامت الناظمة " لالة خديجة " بتكرار المقطع: " المسيحي الظالم جائر " بعد كل خمسة مقاطع من القصيدة، وهي طويلة بلغت حوالي ثمان عشرة⁽¹⁾ مقطع حسب ما أورده " جلاوي محمد " وفي ذلك التكرار تأسيس لطبيعة النظرة والجوانب التي ارتكزت عليها الناظمة لهذه المقاطع في التعبير عن الإستعمار هو الغرب المسيحي وبالتالي هناك

¹ - جلاوي محمد، نفس المرجع، ص 93.

تجاوز للاستعمار القومي " الفرنسي " وتواصل تأكيدها على أن الاستعمار كان ذو طابع عقائدي في المقاطع الآتية:

" جاء بشباب مرابطي

أبهر بالحسن المسيحية

بالله عليكم يا مسلمون

لم التفريط في قبانا يتكم⁽¹⁾ *

إن عملية الكشف وإبراز المتخيل في المنتج الفكري الثقافي، لا يكفي بالوقوف عند دلالات الرموز والكلمات فحسب، بل يتطلب الحفر في متخيل من يكتب أو من ينظم " لالة خديجة في أئموذجنا هذا" كونها لا تستطيع التحرر الكلي من أطر عالمها المعاش لحظة الكتابة أو النظم حتى ولو أرادت ذلك.

ففي مخيال " لالة خديجة" الذي يعد جزءا من المخيال الجمعي الجزائري، ظل الاستعمار الفرنسي، استعمارا غربيا مسيحيا وحلقة جديدة من حلقات صراع الصليب

¹ - حاولنا جمع المقاطع التي تشير إلى التقابل العقائدي الموجودة ضمن القصيدة التي ركزت عليه " لالة خديجة" بدون المساس التأثير عن المبنى العام للقصيدة، كونها ذات توجه واحد " التقابل العقائدي والمعانات ونوعية الممارسات الاستعمارية..." * كلمة غير مفهومة حاولنا كتابتها كما وردت للأمانة العلمية.

مع الهلال، الذي تمتد جذوره إلى الحروب الصليبية في القرون الوسطى، خاصة وأن الفرد في الحقبة الاستعمارية يعد شاهدا على الإجراءات والممارسات التي قامت بها الإدارة الاستعمارية من أعمال تخريبية للمؤسسات الدينية وتحويل بعضها إلى كنائس ومضايقتها للجزائريين في ممارسة عقيدتهم، وتقديم الدعم وكل التسهيلات " للمبشرين المسيحيون " للتصير في أوساط الأهالي والأطفال بالخصوص.

كل هذه الممارسات، زادت الشعب الجزائري قناعة بخطورة الاستعمار على انتمائهم الديني الإسلامي، مما جعلهم يقاومونه بإسم الجهاد في سبيل الله ونصرة الإسلام، كون الإسلام لم يكن يمثل لهم أحد عناصر هويتهم في هذه الفترة الحرجة " الصراع"، بل الهوية في حد ذاتها.

إن نصرته الإسلام في الخيال الجمعي الجزائري أمام التوسع الاستعماري المسيحي، معناه نصرته العربية وللوجود الجزائري بتاريخه وموروثه التاريخي الذي ظل مرتبط بتاريخ الأمة العربية الإسلامية وحضارتها، هذا ما جعل " لالة خديجة" تناشد ضمائر المسلمين " باسم الجلالة" " بالله عليكم يا مسلمين" وهو عبارة عن نداء موجه لاستنهاض العواطف الدينية، وللنهوض والثورة ضد العدو الديني بدل الاستكانة والتفوق على الذات.

مما سبق يظهر جليًا مدى مساهمة الذاكرة الجماعية والفاعلين في المجتمع الجزائري التقليدي "الشاعر" في تقوية معنويات جماعته بنسج مخيال يتماشى وطبيعة الوضعيات المعاشة.

البراريه
الخالقه

أجانب التطبيق

الفصل السادس

الغرب من تصورات

طالبة جامعة تلمسان

"دراسة ميدانية"

المبحث الأول: حدود البحث الميداني

I. منهج البحث وإجراءاته وأدواته:

أ- مناهج البحث وإجراءاته

إذا كان المنهج، مجموعة القواعد والطرق التي تقود خطوات التفكير العقلي في سعيه نحو الوصول إلى نتائج معينة، وكانت المناهج متعددة بتعدد التخصصات العلمية، بل وفي التخصص الواحد، فيتوجب على كل دراسة حقلية انتقاء المنهج أو المناهج الملائمة لموضوعها والمناسبة للفروض التي تسعى لدراستها، لأنه يعد ذلك نجاحاً أولياً في شق الطريق الصحيح نحو النتائج العلمية الدقيقة... وفي دراستنا هذه تم اعتمادنا على المناهج التالية:

المنهج التاريخي:

عمدنا لتوظيف هذا المنهج لما تقتضيه أهمية استخدام المعلومات التاريخية في بحثنا هذا ذا الطابع السوسيو-أنتروبولوجي، وفي هذا يقول "رايث ميلز" في كتابه "الخيال العلمي الإجتماعي" بأن الأسلوب التاريخي بمثابة العمود الفقري للدراسات الإجتماعية عامة، ودراسات علم الإجتماع تحديداً⁽¹⁾. وتكمن أهمية توظيف المعلومات

¹ رايث ميلز، الخيال العلمي الإجتماعي، ص 235، نقلاً عن علياء شكري، بعض ملامح التغير الإجتماعي والثقافي في الوطن العربي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1983، ص 112.

التاريخية في علم الاجتماع (الدراسات الاجتماعية) كونها تسهم في إجراء المقارنات العملية حول مراحل تاريخية وحول تغيرات والتبدلات في الظواهر المدروسة، لكي نقف على ما الذي دام واستمر ولماذا؟ وما الذي تغير وتبدل ولماذا؟

وبالنسبة لموضوعنا واستنادا لما سبق ذكره تصبح حاجتنا في استعمال المنهج التاريخي أكثر من ضرورة كوننا نهدف إلى:

■ تتبع صورة الغرب لدى المجتمع الجزائري عبر محطات تاريخية متباينة مع مقاربتها لاستخلاص ما تغير فيها وما بقي فيها ثابتا، وما العوامل التي كانت وراء هذا التغير، كما تظهر قيمة المنهج التاريخي في استنادنا على الدراسات والبحوث التاريخية التي تتطرق للعلاقة (صراع، تبادل، تلاحق) بين المجتمع الجزائري والعالم الغربي عبر تاريخه الطويل.

■ إن توظيف المنهج التاريخي ينير للباحث عملية وكيفية تكوين الآراء والصور وتطورها وانتقالها عبر الزمان والمكان، وكون موضوع الصورة يفترض بل يوجب استعمال مصطلحات من قبيل: النظرة والتصور، التمثل، الإدراك، تخيل، من جهة وكونها (الصورة) نتاج عملية ذهنية ومصطلحات أخرى: التاريخ، الذاكرة، الموروث، والانتماء والثقافة... باعتبار هذه المصطلحات إجابات إلى المعطيات التي تمثل مرتكزات الذهن في عملية إنتاجه للصور الخيالية، فالصورة كثيرا ما تتحدد باعتبارها " تمثلاً يحمل مزيجا

من المشاعر والأفكار التي يتعين القبض على تعبيراتها العاطفية والإيديولوجية"⁽¹⁾ ومجموعة مصطلحات ثابتة مثل اللاوعي ، الوعي ، الخيال ، الخيلة التي تمثل لغة التشفير الذهنية والتي من خلالها يتبين جليا مدى ارتباط الصورة بالخيال والعكس إذ يمثلان زوجان لا انفصام بينهما، إذ ظلّا (الصورة والخيال) يمثلان القرينان اللذان لا يدرس أحدهما إلاّ بدراسة الآخر، في جميع التخصصات العلمية ذات الاهتمام بكليهما .

المنهج التحليلي الوصفي:

تم توظيفه لتحليل الصور الخيالية التي أنتجها ضمير العقل الجمعي الجزائري ، باعتباره مرجع لكل تصور ناتج عن ضمير جزئي(تصور ضمير الطالب الجزائري) هذا من جهة، ومن جهة ثانية للوقوف على التغيرات التي طالت الصور الخيالية المنتجة على العالم الغربي لدى الطلبة الجزائريين باعتبارهم جزءا من شريحة الشباب المكونة للغالبية الديموغرافية في المجتمع الجزائري.

ب- أدواته

1) الملاحظة بالمعايشة:

تعتبر الملاحظة من أدوات البحث العلمي لجمع المعلومات و البيانات الأولية حول موضوع الدراسة ميدانيا.

¹ - étude orientales, n2 , 1988, p18, D.h.pageaux, pour une approche méthodologique de l'image de l'autre

تم توظيفنا لهذه التقنية لما لها من إيجابية ميدانية (معاينة مباشرة)، خاصة ونحن ذوي علاقة بمجتمع الدراسة. إذ عمدنا لتقوية تقربنا بالإحتكاك اليومي بالطلبة من كلا الجنسين .

" إن ما يميز هذا النوع من الملاحظة (بالمشاركة) أنها لا تكفي فقط بالحقل المرئي بل أنها تستنجد كذلك بوسائل أخرى مكملة لها، مثل مقابلة بعض المبحوثين وتحليل المادة المكتوبة المتوفرة.." ⁽¹⁾.

2) الدراسة الاستطلاعية:

إنّ القيام بالاستطلاع الميداني أو ما يسمى بالدراسة الميدانية الأولية، تعدّ عملية ذات أهمية بالغة في البحث العلمي وذلك حتى وإن كانت (الدراسة الاستطلاعية) تتم على عدد محدود من عينة مجتمع البحث، لما تقدّمه من خدمة للباحث من حيث مدى سلامة الخطة المسطرة ومدى مطابقة أدوات البحث لجمع المادة، أو المناهج المختارة لنوعية الأسئلة المتبناة.

¹ - أنجرس، موريس. منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية : تدريبات عملية. ت: بوزيد صحراوي وآخرون الجزائر: دار القصة للنشر. 2006. ص. 186.

تمّ اعتمادنا في هذه المرحلة الأولية من مراحل البحث الميداني على توجيه بعض الأسئلة العامة حول مضمون موضوع البحث ما ملخصه : ما هي التعابير والمصطلحات الشائعة في الوسط الشباني الدالة عن الغرب ؟

تم البحث مع مجموعتين من الطلبة عشوائيا في كل مجموعة (09 طلبة) الأولى من القطب الجامعي " امامة " والثانية من القطب الجامعي شتوان وقد استغرق العمل أسبوعين من بداية شهر نوفمبر 2011.

(3) المقابلة الحرة

إذا كان من بين الأهداف الأثنوبولوجية لبحثنا استحضار القيم الرمزية التي نحملها عن الآخر، وما تمثله هذه القيم في الذاكرة الجماعية للأجيال المتعاقبة، فإن المقابلة وسيلة أساسية في تحقيق هذا الهدف، فالحوار ضروري في هذه الحالة. وإذا كانت المقابلة يمكن أن تكون موجهة أو غير موجهة، فإن النوع الثاني هو الأنسب في هذه الحالة، لأنه يشتمل على الحديث العادي وتوجيه أسئلة ذات نهايات مفتوحة، تتيح للفرد أن يبدي رأيه في كل الموضوعات المطروحة، كما يمكن أن يأخذ الحوار في بعض مراحل صورة جديدة يوجه فيه الفرد أسئلة إلى الباحث الذي يرحب بها لأنه يجد دلالات أخرى ذات فائدة له

على تجربة "مالينوفسكي" معنى التروبرياندا، عندما سأل أحد الإخباريين عن موضوع يتعلق بالأساطير، لكن الإخباري خرج عن الموضوع، وتحدث كثيرا عن عشيرته متغاضيا عن محاولاته العديدة لإعادته إلى صلب الموضوع، ولكن «مالينوفسكي» تحقق بعد ذلك من أن ما رواه له الإخباري أكثر أهمية من الإجابة التي كان ينتظرها على سؤاله له.

فاستخدامنا للمقابلة، كأداة رئيسية لجمع البيانات المتعلقة بالفرضيات المتبناة لمشكلة الدراسة، وذلك لما لهذه الأداة (المقابلة) من ميزات ميدانية تتماشى وطبيعة موضوع الدراسة، خاصة إذا تعلق الأمر بالخيال والتصورات والتمثيلات، المواقف... التي تفرض على الباحث صبر أغوار المبحوث بما أنها تحيل إلى ذهن حاملها.

فالمقابلة الحرة كأداة سمحت لنا بالتعامل المباشر "الحديث اللفظي" مع المبحوثين، وتسجيل كل ما إرتأيناه هاما ومفيدا لموضوعنا، خاصة وأن الأسئلة كانت مفتوحة، مما يعطي للمبحوث الحرية في التعبير عما يعتقدونه ويتصوره عن "الغرب".

يقول "طلعت إبراهيم" في تعريفه للمقابلة: "إنها تفاعل لفظي يتم عن طريق موقف مواجهة يحاول فيه الشخص القائم على المقابلة، أن يستشف معلومات أو آراء أو معتقدات شخص آخر أو أشخاص آخرين للحصول على بعض البيانات الموضوعية"⁽¹⁾.

كما تكمن أهمية هذه الآداة "المقابلة" في توافقها مع طبيعة موضوعنا "موضوع سوسيو-أنثروبولوجي" لما تمتاز به من مرونة، "ويشترط أن يكون الباحث محايدا، أما المبحوث فهي تتيح له حديث الإفصاح عن أفكاره ومشاعره وأدائه حول موضوع الدراسة"⁽²⁾.

لقد تضمنت المقابلة نوعين من الأسئلة: أسئلة رئيسية، وأخرى ثانوية تكميلية يتم إدراجها حين تقتضي الحاجة إليها "الضرورة"، بغية التوضيح "كيف"؟ مثلا. كما اشتملت المقابلة أربعة أقسام جاءت على النحو التالي:

القسم الأول: تضمن مجموعة الأسئلة الإستدرجية للعينة المبحوثة تتعلق بالموضوع، مع أخرى حول مصادر معرفة العينة لغرب.

¹ - طلعت إبراهيم، أساليب وأدوات البحث الإجتماعي، 1995، ص 86.
² - حنان مراد، حنان مالكي: أثر الإنفتاح الثقافي على مفهوم المواطنة لدى الشباب الجزائري "دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة خيضر بسكرة" دراسة استكشافية"، مداخلة بالملتقى الدولي الأول حول: الهوية والمجالات الإجتماعية في ظل التحولات السوسيو ثقافية في المجتمع الجزائري، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، ص 551.

القسم الثاني: تضمن مجموعة الأسئلة المرتبطة بالتصورات وتمثلات لكل من الرموز والأحداث والشخصيات الغربية.

القسم الثالث: تضمن مجموعة الأسئلة المرتبطة بالتغيرات السوسيو ثقافية المرتبطة للمجتمع الجزائري وعلاقتها بالغرب.

صدق الأداة:

لمعرفة صدق هذه الأداة " المقابلة " تم عرضنا إياها على مجموعة محكمين من ذوي الإختصاص (الأثروبولوجيا وعلم الإجتماع الثقافي) ستة أعضاء من قسم العلوم الإجتماعية لجامعة سيدي بلعباس وعضو (01) من مركز البحث الأثروبولوجي CRASC ، وذلك للتحقق من الصدق الظاهري وصدق المحتوى وفقا لتجانس الأسئلة من حيث الشمولية والوضوح. وبناءا على آراء المحكمين واقتراحاتهم قمنا بالتعديلات اللازمة، وذلك بحذف بعض الأسئلة وبأستبدال بعض المصطلحات ... كما تم إعادة تطبيقنا إياها من جديد بصيغتها الجديدة والنهائية.

II- مجتمع البحث:

العينة:

تم اعتمادنا على عينة قصدية طبقية باعتبار كل كلية طبقة مشكلة في مجموعها المجتمع الكلي، كما تم اختيار أفرادها من الفئة الطلابية المترددة على مكاتب الكليات وذلك لما لاحظناه فيها (الفئة) من جدية في العمل من جهة، ولما تمثله هذه الفضاءات (المكتبة) من إمكانية مناسبة لإجراء المقابلات مع الطلبة المبحوثين وتجاوبهم بدون ضغط نفسي و لا إحراج، وقد بلغ عدد أفراد العينة 50 طالب وطالبة، مع وصول مرحلة الإشباع (أين أصبحت الإجابات تتكرر مقارنة مع ما تم جمعه) فكان نصيب كل كلية ستة (06) مع مبحوثين إضافيين لكلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية.

مجتمع الدراسة:

يتكون مجتمع دراستنا هذه من طلبة جامعة تلمسان أبي بكر بلقايد "مقر الولاية" كوننا استثنينا الملحقة الجامعية المتواجدة بدائرة مغنية، وشملت طلبة الكليات الثمانية للجامعة والتي هي كالآتي:

1-كلية: العلوم

2-كلية: التكنولوجيا

3-كلية: العلوم الإقتصادية، علوم التسيير والعلوم التجارية

4-كلية: العلوم الإنسانية والإجتماعية

5-كلية: الطب

6-كلية: العلوم الطبيعية والحياة وعلوم الأرض والكون.

7-كلية: الآداب واللغات

8-كلية: الحقوق والعلوم السياسية.

نبذة تاريخية عن الجامعة الجزائرية:

تعد الجامعة الجزائرية من بين أقدم الجامعات في الوطن العربي، فتاريخ تأسيسها يعود إلى سنة 1909، أما بذورها الأولى فترجع إلى سنة 1877.

لقد مرت الجامعة الجزائرية بعدة مراحل منذ تأسيسها، وترجع المرحلة الأولى إلى الحقبة الإستعمارية، وقد تخرج منها أول طالب سنة 1920 من معهد الحقوق كحام⁽¹⁾، كانت في هذه الفترة التاريخية مؤسسة خاضعة لقوانين التعليم العالي الفرنسي- من حيث النمط والمناهج والإيديولوجية والأهداف، إذ كانت غاية وجودها تتمثل في تعليم أبناء المعمرين الغربيين بالدرجة الأولى كمواطنين فرنسيين، ثم كوسيلة لتكوين نخبة من أبناء

¹ - يسمينة خدنة، واقع تكوين طلبة الدراسات العليا في الجامعة الجزائرية، دراسة حالة جامعة منتوري- قسنطينة، مذكرة مكلمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، تخصص: التنمية وتسيير الموارد البشرية، إشراف: أ.د: راجح كعباش، السنة الجامعية 2007-2008، ص58.

"الأهالي" للإستعانة بها في تنفيذ المشروع_ الإستطاني الإستعماري الفرنسي بالجزائر، كما للجامعة من دور في التنشئة وتلقين الأفكار وتمير الأهداف...

يقول أحد المهتمين بالتعليم الإستعماري: " إن أحسن وسيلة لتغيير الشعوب البدائية [شعوب المستعمرات] في مستعمراتنا، جعلهم أكثر ولاء وأخلص في خدمتهم لمشاريعنا وهو أن نقوم بتنشئة أبناء الأهالي منذ الطفولة وأن نتيح لهم الفرصة لمعاشرتنا باستمرار، وبذلك يتأثرون بعاداتنا وتقاليدينا، والمقصود باختصار هو أن نفتح لهم بعض المدارس لكي تتكيف فيها عقولهم حسب ما نريد" ⁽¹⁾.

تمثل المرحلة الثانية للجامعة الجزائرية في مرحلة الاستقلال واسترجاع السيادة الوطنية، تميزت هذه المرحلة هي الأخرى بمراحل تطابقت وسياسة التخطيط التتموي للدولة الجزائرية، فكانت البداية: من 1962 إلى 1970 وتعد هذه الفترة عبارة عن تحدي لما أنجز عن مغادرة الأساتذة الغربيين الجامعة، مثله مثل باقي التحديات التي التي قام بها الشعب الجزائري في باقي الميادين " مثل التحدي الذي قامت به مجموعة من الجزائريين على مستوى الإذاعة والبحث التلفزي رغم نقص الخبرة والتخصص في ميدان الإعلام غداة الاستقلال....

¹ - نفس المرجع، ص 58.

لجأت الدولة الجزائرية لرفع التحدي وتذليل الصعوبات والعوائق التي وقفت في وجه انطلاق الجامعة الجزائرية (قلة الأساتذة، قلة المنشآت الجامعية...) بجلب بعض الجزائريين المقيمين بالخارج، كما استعانت بالأساتذة المتعاونين من بعض الدول الشقيقة والصديقة. إلى غيرها من الحلول الإضطرارية، إلى حين تخرج الدفعات الأولى.

كما عرفت الجامعة الجزائرية عدة إصلاحات في جانبها البيداغوجي بما ينسجم وسياسة المخططات التنموية الجزائرية المتوالية، ومن أبرزها سياسة لا مركزية الجامعة. فبعد أن كان وجود الجامعة يقتصر في البداية " غداة الاستقلال " على جامعة الجزائر العاصمة، أنشأت جامعات جهوية (جامعة وهران بالغرب، جامعة الجزائر بالوسط، وجامعة قسنطينة بالشرق) ثم تلتها جامعات أخرى بولايات أخرى، لتصبح جل ولايات الوطن ولايات جامعية في الوقت الحالي.

جامعة تلمسان:

كانت بداية انطلاقها سنة 1974 كمرکز جامعي بذات الولاية، وتم ترقيتها إلى جامعة سنة 1989 بمقتضى- المرسوم 89-138 المؤرخ في 01 أوت 1989، المعدل والمكمل بالمرسوم التنفيذي رقم 95-205 المؤرخ في 1995 ثم بمرسم تنفيذي آخر، معدل رقم 391-98 والمؤرخ في 02 ديسمبر 1998

لتصبح من ذلك التاريخ من الجامعات الأكثر استقطابا، للطلبة الحاصلين على شهادة البكالوريا، خاصة من الجهة الغربية والجنوب الغربي للبلاد. استنادا لإحصائيات ومعطيات نيابة رئاسة الجامعة المكلفة بالبيداغوجيا للسنة الجامعية 2011 / 2012، بلغ عدد الطلبة المسجلين بها ما يقارب 41000 طالب وطالبة من الطورين معا (التدرج وما بعد التدرج).

أما من ناحية التأطير فقد بلغ عدد الأساتذة الدائمين بها أكثر من 1500 أستاذ، وبلغ عدد المخابر بها كذلك حوالي 66 مخبر بحث في تخصصات متعددة⁽¹⁾. وتتكون جامعة تلمسان من وثمان كليات.

سميت جامعة تلمسان " جامعة أبي بكر بلقايد " تخليدا للراحل " أبي بكر بلقايد " رحمه الله، هذه الشخصية التاريخية المناضلة قبل الاستقلال والسياسة المسؤولة بعد إسترجاع السيادة الوطنية، ذات المسار السياسي والمهني الحافل طيلة 45 سنة والذي أختيل بتاريخ 28 سبتمبر من عام 1995.

III- حدود الدراسة:

تحدد نتائج هذه الدراسة في بعديها المكاني والزمني على الشكل التالي:

¹ - المعلومات: قدمت لنا من طرف نيابة رئاسة الجامعة المكلفة بالبيداغوجيا.

البعد الزمني: تم تطبيق إجراءات هذه الدراسة على طلبة جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان خلال السنة الجامعية 2011-2012 وتحديدًا من بداية شهر ديسمبر مراعاة لاستقرار الطلبة وانتهائهم من الإجراءات الإدارية المترتبة عن الدخول الجامعي "التحويلات، وانقضاء مدة إعادة التسجيلات" إلى غاية نهاية شهر ماي من نفس السنة. وعليه تكون مدة الدراسة الميدانية استغرقت 05 أشهر، وكانت هذه المدة كافية لإجراء الاستطلاعات الميدانية الأولية، التكرارية لضبط أسئلة استمارة المقابلة وتطبيقها ميدانياً إلى غاية بلوغ مرحلة الإشباع.

البعد المكاني: جامعة تلمسان بمختلف كلياتها.

المبحث الثاني: نتائج الدراسة الميدانية

نتائج الدراسة الاستطلاعية:

تعد الدراسة الاستطلاعية خطوة أساسية من الخطوات المنهجية للبحث الميداني لذلك كان من الواجب علينا رصد صورة الغرب في ثقافة الشباب الجزائري من خلال فئة الطلبة الجامعيين ليتسنى لنا ضبط الفرضيات، في إطار هذه الخطوة من البحث الميداني قمنا بتوجيه بعض الأسئلة العامة حول مضمون موضوع البحث ما ملخصه : ماهي التعابير و المصطلحات الشائعة في الوسط الشباني الدالة عن الغرب ؟ فجاءت النتائج تحت عنوان : صورة الغرب من خلال الثقافة الشبابية

من المتداول في أوساط الشباب الجزائري، بعض المصطلحات والتعابير "مصطلحات شبابية" التي تحيل إلى العالم الغربي والمواطن الغربي عموما، والتي توصلنا إلى جمع بعضها من المبحوثين "الطلبة الجامعيين"، والتي تعد في اعتقادنا وليدة معطيات اجتماعية مختلفة عاشها ويعيشها الشباب الجزائري بشكل عام، ساهمت في إفرازها، وتعد هذه التعابير والمصطلحات كذلك عبارة عن إفصاح وتعبير الشباب "الطلبة" عن تمثلاتهم للغرب "الغرب المتخيّل" عن طريق مقارنة لاشعورية مع ما هو كائن في مجتمعاتهم، ومن هذه التعابير والمصطلحات نجد:

- الهدّة¹: مصطلح كثير التداول لدى الشباب والذي يعبرّ بواسطة عن مدى إصرار الشباب على الهجرة والالتحاق بالغرب "إحدى الدول الغربية" وبأية طريقة وأي ثمن.

- الحزقة²: مصطلح يشير مباشرة إلى الهجرة غير الشرعية "الغير قانونية" نحو الدول الغربية، والتي أصبحت ظاهرة معروفة ومنتشرة بشكل واسع في أوساط الشباب الجزائري كغيره من شباب العالم المتخلف، الذي يعيش في مخيلته أحلام دنيوية لا تتحقق إلا في العالم الغربي، كما أصبح المصطلح "الحزقة" يوظف حتى في خطاب الثقافة العالمة "ثقافة النخبة".

- الهية³: إشارة وتنعتت إلى "الهناك" والذي يدل على المكان المغاير والمقابل في نفس الوقت، وإذا ما حاولنا التمعن فيما يدل عليه مصطلح "الهيّة" فنجده يشير إلى مكان موجود في الواجهة الأمامية، يفصل بينه وبين المكان المتواجد فيه "الناعت" مسافة قياسية وزمانية معينة، التي تحيل إلى الفارق بين المكانين "الهنا" و"الهناك"، وبالتالي أصبح مصطلح "الهيّة" ذو دلالة على العالم الغربي الذي تفصلنا عنه مسافة

¹ - المصطلح لأدلى لنا به الباحثون "الطلبة الذكور"، وعددهم 16 من مجموع العينة.

² - المصطلح تردد عند جميع الباحثين ذكوراً وإناثاً.

³ - المصطلح أدلت لنا به مجموعة حوالي 09 من مجموع الباحثين، ربما لازال في طريقه للانتشار.

زمنية اجتماعية "التقدم" مما جعل الشباب يشير إليه في الاتجاه الأممي، فالغرب أو "الهناك" في الخيلة أصبح يمثل البديل للشباب المغترب في "الهنا"....

الكَرْطُون¹ في "رُومًا" ولا "فِيلا"² "فالحُومًا"³

يجيل هذا القول إلى مدى تعلق الشباب الجزائري بالغرب و الالتحاق به الظاهرة التي بلغت درجة الهلوسة، كما يشير إلى قيمة التنازلات التي بإمكانه تقديمها مقابل الالتحاق و الهجرة إلى الغرب التي تتمثل في استعداد الشباب الجزائري مقايضة أوضاعه الاجتماعية المحلية المريحة "فيلا" وهي رمز للرفاهية والمكانة الاجتماعية المرموقة والمالية الجيدة، بأدنى مستوى اجتماعي ومادي في الغرب "روما" كالعيش في التشرذ والمبيت على "الكرتون"، فمخيل الشباب في هذه الحالة محمل بالصور الايجابية عن "الغرب" السعادة و الحرية، التي لا يمكن تحقيقها في مجتمعه مهما بلغت ممتلكاته المادية والمعنوية .

ما يمكن الإشارة إليه من خلال هذا القول، هو التغير في النظرة إلى الغرب وتمثله لدى الشباب الجزائري في الوقت الراهن مقارنة مع نظرة أسلافه من الأجيال السابقة للغرب.

¹ - لكرتون ، الكرتون بمعنى le carton

² - فيلا: بمعنى villa ، ويعني بها في العامية رمز للرفاهية والمكانة الاجتماعية المرموقة

³ - حي شعبي

فإذا أصبحت " روما " العاصمة الإيطالية رمزا للتقدم والسعادة ووجهة لتطلعات الشباب الجزائري للهجرة إليها، فقد مثلت في الخيال العربي الإسلامي في وقت سابق رمزا للتحدي و العداة المسيحي " الحروب الصليبية الكاثوليكية " على الوطن العربي و قاعدته الدعائية لتجيش واستنفار الضمير الغربي بشكل عام و نفخ فيه روح العداة و التعصب لكل من هو عربي إسلامي بحجة تحرير و تطهير ارض المسيح من دناسة الكفرة، المسلمين، فروما في العصر- الوسيط أطلق عليها المسلمون عدة أسماء،،دار الكفر ،دار الشرك ، دار الحرب كما أطلق على ساكنيها الكفار، المسيحيين، المشركين، أعداء الله وهي أسماء ذات حمولة دينية ومرتبطة بالخيال الديني كدالك.

يتردد القول السابق بصيغة أخرى لدى بعض الشباب :

- " كَرُطُونُ فِي "رُومًا" و لَا هَمَّكُمْ أَتُومًا"¹

فرغم تغير صياغة التعبير ، إلا أن النظرة و المدلول بقيا ثابتان " محتفظان بالمعنى السابق ، فالقول يعبر عن تضرر الشباب في مجتمعه و بين قومه وأهله شيء صعب يدفع به للاختيار بين أمرين كلاهما صعب و هو، إما البقاء و العيش عيشة مليئة بالهموم و

¹ - اتوما :بمعنى اتم.

المشاكل و هنا إحالة إلى أوضاعه الاجتماعية و حالته النفسية الكآبة و الهموم ، و إما مغادرة الوطن إلى الغرب "روما" للعيش فيه ، رغم انه يدرك مسبقا أن وضعه هناك لا يختلف عما هو عليه "الهنا" و ربما يكون أكثر صعوبة، و رغم هذا الإدراك المسبق إلا أنه يفضل في أمر الاختيار بتفضيل هموم الغرب " الغربية ، الكزطون " ، و النتيجة أن الغرب المتخيل يبقى غربا مفضلا عن بلد الانتماء " الجزائر".

- * "قَبْرٌ غَرِيبٌ وَ لَا شَكَارَةَ⁽¹⁾ خَاوِيَةَ⁽²⁾"

من الأقوال المتداولة في أوساط الشباب الجزائري ، و القول يشير في مضمونه إلى تطوع من يأخذ به من الشباب للهجرة إلى الغرب و البقاء فيه ما تبقى من العمر حتى إتيان الأجل و الدفن به غريبا ، مجهولا "قبر غريب" عوض البقاء في وطنه يعاني البطالة و ما ينجر عنها من تردي أوضاعه الاجتماعية "الفقر" "شكارة خاوية".وعليه يبقى الغرب المتخيل دائما العالم البديل و المحبذ ولوجه هروبا من الواقع المعاش محليا .

- يَأْكُلُنِي⁽³⁾ الْحُوْتُ وَلَا يَأْكُلُنِي الدُّوْدُ

¹ - *القول: زودنا به احد الطلبة المبحوثين -

شكارة: كلمة عامية بمعنى كيس

² - خاوية: كلمة عامية بمعنى فارغة

³ - ياكلني: ياكلني

قول يعرف انتشارا واسعا عند الشباب الذي يعرف البطالة ، أو يرغب ومتحمس للالتحاق بالغرب حتى و أن تطلب الأمر الهجرة الغير شرعية ، و يتضمن الإشارة إلى المخاطر و الصعوبات الجمة التي بإمكان الشاب "الحراق" التعرض لها أثناء رحلته الغير شرعية في عرض البحر كالغرق " ياكلني الحوت" كونها رحلة غير مضمونة النتيجة مادامت تقام بزوارق غير معدة لمثل تلك الرحلات البعيدة المسافة . "و لا ياكلني الدود" بمعنى البقاء في الوطن و الموت الدفن به ، و الملاحظ ان القول لا يختلف عن سابقه ، بمعنى ان الغرب المتخيل يبقى العالم المفضل حتى في أسوء مصير "الموت"

"العربي يَبْقَى عَرَبِي"

المثل متداول في الأوساط الشعبية ، و معناه أن الإنسان العربي لا يتغير ، و لا يأخذ بما يدفع به نحو التحسن و التطور في حياته من سلوك و آداب و ممارسات ايجابية، بل يبقى ثابت على ما كان عليه في السابق و "البقاء" هو إحالة إلى السلب في هذه الحالة فالعربي في المخيال الشعبي ، إنسان سلبي غير قابل للتحسين و التطور.

- "ثقاف عَرَبِي"

بمعنى أن العربي إنسان لا يلتزم بالمواعيد التي يحددها مع غيره ، و العربي هنا معناه "الجزائري" ، كون القول متداول في المجتمع الجزائري ، والقول المتداول في أي

وسط أو جماعة أو مجتمع لم يوضع اعتبارا أو عفويا، بل له مكانته ووظيفته الاجتماعية الثقافية، و هو إشارة إلى ظاهرة ذات وجود ممارساتي، عند البعض فهناك من الأشخاص الذين يخلفون وعودهم مع غيرهم كيفما كانت طبيعتها، تهاونا منهم، و لا يكثرثون لما يلحق بالطرف الآخر من ضرر، و ظاهرة عدم الالتزام بالمواعيد تتناقض و شخصية الإنسان المسلم و خصاله .

فالخيال حاضرا في "القول" مرتبط بالقيم الدينية و السلوك السوي الغائب لدى بعض الجزائريين ويفرز لهم صورة سلبية التي يجد لها البديل في القول الشعبي التالي:

" تَقَاقُ تَاغٌ¹ قَوْرٌ² أَوْ مَا يُمَاتِلُهُ " رُونْدِيْفُو³ تَاغٌ قَوْرٌ⁴"

"القول" يحيل إلى التضاد مع "القول" السابق: عرب/ قور ، العربي/ القاوري

ويقال لحظة ضرب الموعد وقد يكون هذا الموعد يفيد الزمان (الوقت) أو المكان بين الطرفين و معناه الحرص على الاتفاق أو الموعد ، خشية عدم الالتزام احد الطرفين به ، أما من ناحية المعنى، فهو يحيل إلى الاقتداء بالإنسان الغربي في مواعيده، التي يحرص على الالتزام بها بكل انضباط "لا تأخير ولا تقديم" "a l'heure exacte" و

¹ - تفاق : كلمة دارجة، بمعنى موعد.

² - تاع : كلمة دارجة بمعنى صاحب الشيء ، و في "القول" نغني صاحب الموعد.

³ - رونديفو : تعريب دارجي لكلمة rendez-vous

⁴ - قور ، قاوري، كلمة دارجة واصلها تركي، و معناها التركي، الكافر أما في القول تحيل إلى الإنسان الغربي

الخيال الشعبي في سياق "القول" يسقط عن الإنسان الغربي ظاهرة سلبية "عدم الالتزام بالمواعيد" و يقدمه بصورة الإنسان الايجابي المنضبط و الملتزم بوعوده عكس العربي.

فالصورة الذهنية المترتبة عن عملية التخيل هنا، صورة نمطية ذات وجهان سلبي للعربي ، و ايجابي للغربي.

"خِدْمَة عَزِيَّة"

"قول" مثل سابقه يقال عن العمل الغير متقن الذي يحتوي عيوب و تشويه ، ولا يسر الناظر إليه، و المعنى منه أن العربي لا يتقن أعماله و انجازاته ، مثل غيره من الأجناس كالإنسان الغربي ، بدليل هناك من ينسب كل ما هو متقن من الأعمال للغرب "خَلِيهَا لِأَوْلَادِ سَيِّدِنَا عَيْسَى" - "خِدْمَة تَاغِ أَوْلَادِ سَيِّدِنَا عَيْسَى" ، بمعنى أن "أَوْلَادِ سَيِّدِنَا عَيْسَى" يُعرفون ويُشهد لهم بإتقان منجزاتهم من الأعمال، و "سيدنا عيسى" في القول تحيل إلى المسيحيين "الغرب" و ديننا الحنيف يرغب المسلم في إتقان أعماله و انه مأجور على ذلك "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا وَأَتَقَنَهُ"

توجد مجموعة من مثل هذه "الأقوال" المتداولة في أوساط الشباب الجزائري، مثل "الكَلِمَة تَاغِ قُوْر" و المتمعن في ثقافة مجتمعا الجزائري ، لا شك أنه يقف على الغير اليسير من هذه الأقوال التي تسقط ما هو سلبي على الغرب و الغربيين و تلبسها

بالعربي و الجزائري ... ومن خلال ذلك نقف على مدى التغير الذي طال ثقافتنا و نظرتنا لأنفسنا بالسلب و القبح وحتى الاهتمام ، بيد أننا نبعد كل تلك الصفات عن الغرب والغربيين .

هذا راجع في إعتقادنا إلى التأثيرات الأجنبية الغربية بشتى أنواعها على الشباب الجزائري

الذي أصبح يأخذ ببعض الأفكار التي وُجّهت له من الغرب من جهة ، وتشكيكه في قدراته وإتيمائه من جهة أخرى، وهذا ما يلاحظ من باب المقارنة بين ثقافة الشباب الفترة الراهنة ومنتوج الأجيال السابقة التي مالت إلى تعظيم الذات على حساب كل ما هو غربي في معظم ما تركته من مورث.

تحليل معطيات الدراسة الميدانية و نتائجها:

أ- تحليل المعطيات:

من خلال إجابات الطلبة عن أسئلة الاستبيان قمنا بتحليل المعطيات على النحو التالي:

هل يهتمك النقاش حول موضوع "الغرب"؟

إنّ الإجابة على هذا السؤال كانت بالموافقة الكلية للمبحوثين مع نوع من الفضول لمعرفة نوعية الأسئلة.

هل سبق لك وأن تناقشت حول الغرب مع زملائك؟

الملاحظ أنّ المبحوثين كثيرا ما يتناولون الغرب بالحديث فيما بينهم وفي مختلف المواضيع (سياسية، إقتصادية، ثقافية، إجتماعية، إعلامية،...)، إلا أنّ الحديث عن الغرب، غالبا ما يكون في سياق الحديث عن مواضيع محلية (وطنية) أو إقليمية (عربية، إسلامية)، تهمهم وليس كموضوع مستقل لذاته إلا نادرا، مثل التعليق فيما بينهم على نتائج مباريات كرة القدم لبعض الأندية الأوروبية (الإسبانية خاصة) أو مباريات البطولة الأوروبية، أو عن الأفلام التي تعرضها القنوات التلفزيونية الغربية... وبالتالي نخلص إلى نتيجة مفادها أنّ الغرب دائم الحضور فيما يجري بين الطلبة من حديث وخاصة من باب المقارنة لما هو ذاتي (محلي، إقليمي) مع ما هو نظير له في الغرب، فيصبح هذا الأخير (الغرب) يتدخل كمعيار للتحكيم والقياس في حياتهم اليومية.

وفي هذا المستوى، يصبح الطالب الجامعي ومن خلاله الشباب الجزائري يمارس عملية تقويم الذات من خلال ذات خارجية "الغرب".

ولمعرفة منطلق إجابة المبحوثين عن الغرب طرحنا السؤال التالي:

ما مصدر معلوماتك عن الغرب؟

فرغم أنّ الإجابات كانت تشير إلى إختلاف المصادر المتعلقة بمعرفة الغرب، إلاّ

أنّها كانت مشتركة في مصدرين أساسيين:

المصدر الأول: وسائل الإعلام (والقصد منها المادة الإعلامية المرئية والمسموعة: الصوت والصورة) الغربية بالدرجة الأولى.

المصدر الثاني: الكتب ذات المادة العلمية المرتبطة بالمشوار الدراسي في كلّ أطواره، وهنا نقف عند نقطتين هامتين:

أ- معرفة الغرب عن طريق الوسائط الإعلامية الغربية: وهذا معناه الإنسياق وراء تلك المادة "الأفكار والصور" المتعلقة المتلقية، ونحن نعلم أنّ كلّ إنتاج إعلامي، وراءه ذات منتجة، التي تستمد مادة إنتاجها من الوعاء الثقافي، القيمي، الإيديولوجي والسياسي المجتمعي، هذا ما يسمح للذات المتلقية تكوين عبر الزمن ترسبات من الأفكار والصور عن الغرب كما أرادها "الغرب" لتصبح مرجعا لمعرفته.

وبالتالي تصبح لها أهميتها في بناء تلك الصور الخيالية المنتجة عن العملية الذهنية لدى المتلقي "الطالب (ة) الجامعي (ة)"، وذلك في غياب البديل الإعلامي الوطني، والقدرة التنافسية مع نظيره الغربي، وهذا ما أشارت إليه جلّ الدراسات ذات الصلة بالموضوع التي أجريت في بعض الدول العربية.¹

ب- معرفة الغرب عن طريق المادة العلمية المكتسبة من خلال المشوار الدراسي للطلاب (ة) الجامعي (ة) (المادة المقررة في الكتب الدراسية):

¹ إرجع للدراسات السابقة المعتمدة في القسم النظري.

في هذه النقطة بالذات، هناك من يرى أنّ تلك الكتب وما تحويه من مادة كفيّلة لأن تكون سبيلا لإكتشاف الطالب (ة) للغرب ومعرفته من خلال الإطلاع على تاريخه وسياسته وتوجهاته وعلاقته بالمجتمع الأصلي (مجمع الإنتماء)، ممّا يؤهل هذه المادة على أن تكون عامل حصانة لهوية الطالب (ة) المستمدة من الهوية الجماعية (المجتمعية) من مؤشرات الهويات المغايرة "الغرب".

فهذه النظرة لها من مواطن الضعف العديدة نذكر منها على سبيل المثال:

أنّ المادة المقدمة عن الغرب للنشأ عبر جميع أطوار الدراسة تتميز بقدر كبير من الموضوعية حتى وإن التمسنا فيها الصبغة الإيديولوجية، فإنها لا تؤثر بالدرجة التي تؤثر بها الإيديولوجية الغربية في كتابات الغربيين حول العالم الخارجي (العالم العربي والإسلامي والعالم الثالث بشكل عام)، ذات النزعة المركزية والتعالوي والتسامي الغربي، فنحن نقرأ في هذه المقررات على الإستعمار الغربي وما خلفه، كما نقرأ عنه: الحضارة والتقدم والتكنولوجية والديمقراطية...، نحن نكتب عن الغرب من مقام الإنتماء إلى عالم متخلف خضع لسيطرته، كما نكتب عنه (الغرب) بروى التطلع إلى منجزاته، وهذا إعتراف من جانبنا بالحقيقة الغير مشوهة على العموم، والنتيجة أنّنا نساهم في بلورة صورة الغرب لدى الأجيال ونساهم في صنع الفارق في غياب إستراتيجية محكمة لتحسين الذات من مخاطر ما توصلت إليه التكنولوجيا الغربية، وسوف نوضح ذلك أكثر لاحقا.

أمّا عن إختلاف مصادر معلومات المبحوثين عن الغرب، فتمثلت حسبهم في الآتي:

أخذ المعلومات عن الأقارب والجيران المقيمين بالدول الغربية، أثناء عودتهم إلى أرض الوطن (العطل).

للإشارة أنّ الجزائر بحكم موقعها الجغرافي القريب من القارة الأوروبية، وبحكم عوامل تاريخية محلية (الفقر، البطالة) وأخرى دولية (حاجة الدول الغربية لليد العاملة الرخيصة، الثورة الصناعية)، ظهرت ظاهرة الهجرة نحو هذه القارة (أوروبا الغرب) منذ فترة الإستعمار على وجه الخصوص، ولازالت الظاهرة متواصلة حتى الوقت الحالي، مما كان وراء تكوين جالية جزائرية كبيرة بالغرب.

إنّ عملية تواصل وإحتكاك المبحوثين مع هذه الفئة المغتربة تترك أثرها دون شك لدى المبحوثين بتكوين الأفكار ورسم الصور الخيالية، حسب نوعية هذه الأفكار وطريقة التلقي.

تقول المبحوثة (م ر 07): " Papa وأخويا الكبيران dés émigrés en Belgique" وبواسطتهم (الحديث معهم) تكونت لدي أفكار كثيرة عن « La « Belgique خصوصا، وبعض الدول الأوروبية على العموم، كما سبق لي وأن قضيت

عطلة صيف سنة 2001 رفقة كلّ العائلة « En Belgique »... كما ختمت كلامها قائلة:
« La Belgique le pays que j'adore ».

من خلال هذه الإجابة وقفنا على إحدى الطرق المساهمة في إنتاج الأفكار
والإنطباعات لدى المبحوثة عن الغرب، كما صرّح لنا المبحوث (م ر 18) قائلاً: "لدينا
الكثير من الأقارب بأوروبا، وتربطني علاقة صداقة مع أبناءهم الذين هم في سني، وأنا
معهم في إتصال دائم ربما يوميا « par internet »، وكلّ ما أعرفه من خلال حديثي
معهم، أنّنا مناش عايشين، ما شايفين والو، الحقيقة راني نخم باه ندي وحده منهم "بنت
خالي"¹ الطريق الوحيد باه نعطيا"².

وفي إجابة المبحوث (م ر 03) ورد ما يلي: "كان عندي صاحبي فالحومة³
مزلوط⁴، على العام شومار⁵ "أحرق safi خمس سنين a peu près، اليوم راه حاجة
وحدخرا⁶.

- بنت خالي: تعبير دارج، بمعنى ابنت خالي.¹

² نعطيا: كلمة عامية ومتداولة لدى الشباب ومعناها حسب السياق الذي وردت فيه (الإلتحاق بالغرب).

³ الحومة: المراد منها: الحي.

⁴ مزلوط: معناها: جد فقير بالعامية.

⁵ شومار: من الكلمة الفرنسية Chômage «

⁶ حاجة وخذخرا: تعبير عامي، يقصد به إنسان آخر، إشارة إلى الوضعية والرفاهية التي ينعم بها في الوقت الحالي مقارنة مع
الوقت السابق.

ملاحظة: الملاحظ أنّ هناك العديد من المبحوثين الذين يعتمدون على التعبير الدارجي المفعم بالمصطلحات الأجنبية الغريبة.

إنّ هذه الإجابات ما هي إلاّ نماذج من مجموع إجابات المبحوثين، الذين سرحوا على أنّ معلوماتهم عن الغرب ساهم فيها أقاربهم المقيمين به (الغرب)، وتمثل هذه المجموعة غالبية المبحوثين، وما استنتجناه أنهم يحملون أفكارا وصورا تخيلية إيجابية عن الغرب، إمّا عن طريق الزيارة (المعايشة)، أو عن طريق نوعية الأفكار التي تلقوها من الأقارب، أو عن طريق الملاحظات التي أقاموها عن هذه الجالية (كلّ الأفكار تصب في الإتجاه الإيجابي)، كما سجلنا بعض الإجابات على نفس السؤال والتي كان فيها نوع من التباين مع الإجابات السابقة، مثل تلك التي أدلى بها المبحوث (م ر41) الذي قال: "نفهم من خلال الحديث مع الأقارب المقيمين بأوروبا، أنّه حقيقة يعانون مشاكل مثل Le chômage، أو ممارستهم لمهن شاقة أو الميز العنصري "للثور" إتجاههم، لكنهم يفضلون العيش بأوروبا بدل الرجوع إلى الجزائر، رغم أنّ لهم "أملاك" « Dés villas » هنا parce que ما ينجموش للعيش تاع هنا".

فالملاحظ حتى وإن ورد في هذه الإجابة ذكر بعض المشاكل التي يعاني منها الجزائري المغترب بالدول الغربية، والتي هي من المظاهر الإجتماعية السائدة في هذه الدول، إلاّ أنّه وحسب الإجابة يميل إلى استحسان وتفضيل الغرب عن طريق مقارنته بين العيش بالجزائر أو بالدول الغربية، كما سجلنا ملاحظة من خلال أجوبة المبحوثين

وهي توطينهم لأوروبا والدول الأوروبية كمرادفات لمصطلح الغرب، إلى جانب توظيف مصطلحات (غربية فرنسية، إنجليزية) في سياق إجاباتهم التي كانت ب "العامة".

"هل سبق وأن زرت بلد أو بعض البلدان الغربية؟"

اتضح أنه لم يسبق إلا لتسع (09) طلاب زيارة البلدان الغربية من مجموع العينة وهم على التوالي: (م ر1)، (م ر7)، (م ر10)، (م ر16)، (م ر17)، (م ر24)، (م ر26)، (م ر32)، (م ر45)

جدول يبيّن الطلبة الذين سبق لهم زيارة إحدى البلدان الغربية

مبحوث	البلد/البلدان الغربية المزاراة	سنة الزيارة	طابع الزيارة	مدة الزيارة	الأفكار عن البلد لدى الطالب (ة) قبل الزيارة	إنطباعات الطالب عن البلد/البلدان الغربية بعد الزيارة
(م ر1)	فرنسا	2007	سياحة	أسبوعان	بلد متحضر، الرفاهية، الجمال، التنظيم، الديمقراطية والحرية	نفسها
(م ر7)	بلجيكا	2003	عطلة وزيارة أفراد العائلة	شهران تقريبا	- النظافة- الرقي- التنظيم- الحرية - الديمقراطية- التحضر	التغير نحو الأحسن بالمقارنة مع الزيارة الأولى.
		2007	عطلة وزيارة أفراد العائلة	شهران تقريبا		
(م ر10)	فرنسا	2005	قضاء عطلة الصيف	أسبوعان تقريبا	التقدم- الحرية- الاستقرار- دولة متحضرة.	نفس الإنطباعات.
(م ر16)	فرنسا إسبانيا	2003	قضاء عطلة الصيف	شهر تقريبا	التقدم والرفاهية، الحرية	نفس الإنطباعات
(م ر17)	فرنسا	2010	العلاج إجراء	أسبوعين	التقدم	التقدم العلمي الجديدة

			عملية جراحية			
(م ر24)	ألمانيا	2008	قضاء عطلة الصيف	أسبوع	الإزدهار، التطور، التقدم	الحضارة، الرقي
(م ر45)	فرنسا	2009	قضاء عطلة الصيف تلبية دعوة صديق	أكثر من شهر	التقدم، الرفاهية، الحضارة، الحرية	أحسن من ما كنت أصوره
(م ر26)	فرنسا إسبانيا	2010	قضاء عطلة الصيف	شهر ونصف تقريبا	التقدم في جميع المجالات	الإنطباعات نفسها
(م ر32)	فرنسا	2005	قضاء عطلة الصيف	نصف شهر	الرقي والتقدم	الإنطباعات نفسها

ملاحظة: مفاتيح الجدول

ر: رقم المبحوث

م: المبحوث

الجدول يحتوي المعلومات التالية:

عدد المبحوثين الذين سبق لهم زيارة بعض الدول الغربية.

الدول التي زارها المبحوثين.

السنوات التي تمت فيها الزيارات.

طابع الزيارات ومدتها.

الأفكار التي كان يحملها المبحوثين قبل الزيارات.

إنطباعات المبحوثين عن تلك البلدان بعد الزيارات.

بعد قراءة بسيطة لهذا الجدول نستنتج ما يلي:

أن نسبة الطلبة (المبحوثين) الذين سبق لهم وأن زاروا بلدان غربية قليلة، مقارنة مع مجموع العينة (وإن كانت هناك تفسيرات لقلّة هذه النسبة، كون العينة (الطلبة) لازالوا في مشوار الدراسة مثلاً، أي الإفتقاد إلى المبالغ المالية لتغطية مصاريف الرحلة من جهة، وصعوبات الحصول على التأشيرة الناتجة عن العراقيل التي وضعتها قنصليات الدول الغربية على الجزائريين خاصة مع نهاية الثمانينات من القرن الماضي (1988) العشرية السوداء...

إلا أنّ هذا الجدول يعكس من جهة أخرى صحة ما أدلى به المبحوثين من قبل، على أنّ جلّ المبحوثين يبنون تصوراتهم للغرب على المادة الإعلامية (المرئية والمسموعة / الصوت والصورة) بالدرجة الأولى، ثمّ المادة العلمية المقررة في كتب الأطوار الدراسية، وفي درجة ثالثة عن المسموع من الأقارب المقيمين بالدول الغربية، ثمّ تليها في مرحلة أخيرة ما يسمعونه عن الغرب في الوسط الاجتماعي المحلي، كون حتى الفترة التي قضاها المبحوثون بتلك البلدان الغربية كانت فترة قصيرة لا تسمح لهم التعرف على تلك البلدان ومواطنيها والقيم السائدة فيها بشكل جلي (مّا يسمح على طغيان التصورات وإستمرار الأحكام المسبقة تجاهها) "الخبر ليس كالعيان".

وعن السؤاليين الموجهين للمبحوثين (التسع 09)، الذين سبق لهم وأن زاروا بعض البلدان الغربية (أنظر الجدول السابق)

- هل كانت لديك صورة عن هذا البلد أو البلدان قبل زيارته (ها)؟
 - وهل وجدت هذا البلد/البلدان أثناء زيارتك له/لها، كما كنت تتصورها؟
- دلت إجابات المبحوثين على السؤال الأول من هذين السؤالين، على أنّهم كانوا جميعا يحملون أفكارا مسبقة عن تلك البلدان الغربية قبل زيارتهم لها، والتي كانت في

معظمها وراء تكوين تصورات مخيالية ذات طابع إيجابي لها ولمواطنيها (المواطن الغربي)،
تمثل في "التحضر" و"التنظيم المحكم" و"جمال المدن" و"نظافة الشوارع" و"الرفاهية"
و"النشاط"، إلى غير ذلك من الصفات الإيجابية التي تزيد من قيمت ومكانة هذه البلدان
وشعوبها في ذهن الطالب مثل الإحترام والحرية والديمقراطية، والتي تترك في نفس أي
كان فضول معرفتها، إلى جانب بعض الصفات السلبية والتي لها إرتباط بطبيعة العقلية
المحلية (مجتمع المبحوث، الجزائر) ذات الصلة بالمنظومة القيمية العقائدية، مثل الإنحلال
الخلقي (الجنس)، وتعاطي "المسكرات (الخمر)" والعنصرية تجاه كل من هو أجنبي...إلا
أننا بعد عملية جمع تلك الصفات الواردة في تصريحاتهم وتصنيفها في خاتمين (الصفات
الإيجابية/الصفات السلبية) تبين أنّ المبحوثين يحملون صورا مخيالية تترجم إلى
استحسان والرفع من مكانة هذه الدول على العموم، وهنا تظهر مرة أخرى نوعية
الأفكار والمصادر المستقتات منها تلك الأفكار، حيث تظهر المرجعية الدينية (الإسلام)،
الذي يعتبر أحد أهم عناصر الهوية الجزائرية (هوية المبحوث) كما يشير إلى الإنحلال
الخلقي وشرب الخمر، التي تعتبر من الظواهر المحرمة دينيا،

كما ظهر جليا من خلال إجابات هذه المجموعة التأثير الإعلامي بكل أشكاله سواء
المرئي من أفلام ووربورتاجات...أو المكتوب من صحف وكتب ومجلات، وهذا على
الطريقة التي لمسناها (التأثر والإنهار) لدى النخبة العربية ، الذين زاروا البلدان الغربية

(كتب الرحالة العرب للغرب، السير الذاتية للشخصيات العربية التي زارت بعض الدول الغربية) مع بداية النهضة العربية.

والجدير بالذكر حول ما لاحظناه، أنّ هذه المجموعة من المبحوثين كان لديها شبه إجماع على أنّ زيارتهم للبلدان الغربية، أتاحت لهم فرصة إكتشافها عن قرب، كما عبروا عن قصر تلك الفترات التي قضوها بتلك البلدان والتي حالت دون معرفتها أكثر، وكلّهم أمل لأن تتاح لهم فرص أخرى في المستقبل لزيارات بلدان غربية أخرى، يقول المبحوث (م ر 45): "إنّ زيارتي لفرنسا هي أول زيارة والوحيدة للخارج، ومن أمنيّاتي أن تتاح لي فرص أخرى لزيارة دول غربية أخرى خاصة "سويسرا" وأنا دائماً في إتصال مع أصدقائي بهذه الدولة (par internet) من أجل مساعدتي في « l'hébergement » للحصول على التأشيرة".

أمّا عن رأي المبحوثين وإنطباعاتهم عن تلك البلدان التي تمت زيارتهم لها مقارنة مع تلك الأفكار والتصورات التي كانوا يحملونها عنها من قبل، فكانت إيجابية كلّها، حيث سجلنا مدى تزايد شدة إعجابهم بها، يقول المبحوث (م ر 16): "إنّ ما اكتشفته في زيارتي (الملاحظات) عن فرنسا وإسبانيا) فاق ما كان لدي من تصورات، كنت اسمع وأشاهد في القنوات الفضائية عن هذين البلدين، لكن الواقع شيء آخر" وتقول المبحوثة (م ر 07): "إنّ زيارتي لبلجيكا كانت مرتين، وقبل زيارتها، كانت لدي توصلات عنها

وعن شعبها، على أنه شعب متحضر- ومتفتح وبلد متقدم في جميع المجالات، يعرف الرخاء...وبعد الزيارة الأولى، اتضح لي أنها الحقيقة وأعجبت به، وأثناء زيارتي الثانية والتي لم تكن تفصلها عن الأولى إلا سنتان (مدة قصيرة)، زاد إعجابي أكثر، كما لاحظت أن هناك تغيير في الأماكن التي زرتها من قبل، لكن لم أستطع معرفة ما تغير، إلا أنني جازمة أن هذا التغيير كان للأحسن".

إذا كانت هذه نماذج من التصريحات التي أدلى بها المبحوثين حول الأفكار التي سبقت الزيارة وإنطباعاتهم فيما بعد، والتي لا تختلف عن آراء وإنطباعات العينات المشار إليها، إذا كانت تحمل مدلولات إيجابية تجاه تلك البلدان، فإننا واعين على أن تلك الإنطباعات، كانت عبارة عن أحكام خلص إليها المبحوثين، هي تعبير عن نتائج عملية مقارنة لا شعورية قامت بها هذه العينة بين بلدهم الأصلي (الجزائر)، وتلك البلدان التي زاروها، أو بين بلدتهم الأصلية وتلك المدن الغربية التي قضوا فيها عطلم على الأقل، ومن تمّ كان الإستحسان والإعجاب والإنبهار بهذه البلدان وشعوبها على حساب ما هو محلي، وبالتالي يصبح الغرب "الهنالك" عالم الجذب والإعجاب والتطلع على حساب "الهناء" والمعبر عنه لا إراديا هو التخلف، قلة التنظيم والتبعية في مجالات عدّة وطنيا...

إذا طلبت منك تعريفا للغرب، ما هي إجابتك؟

كان هدفنا من خلال هذا السؤال، هو معرفة المرجعيات التي يتم الإستناد عليها في تقديم تلك التعاريف للعالم الغربي والتي نذكر منها: "الإنتماء السياسي، الإقتصادي، الجغرافي، الديني، الإيديولوجي والتكنولوجي...لهذا العالم"، وبعبارة أخرى حاولنا معرفة حضور الهوية الجزائرية من خلال إجابة الباحثين، لأننا نعتقد أنّ تلك التعريفات، إمّا أن تكون خاضعة لأفكار معرفية خالصة أو تكون ناتجة عن أفكار مسبقة، يغلب عليها التعصب والتميط أو لأخرى يشوبها الغموض والضبابية نتيجة تدخل عوامل حالت دون المعرفة المطلوبة مثل الخطاب الإيديولوجي والإعلام الموجه...وكيفما كانت تلك الأفكار، تكون محملة بل مثقلة بالأبعاد القيمية ذات مرجعية لدى الباحث (الطالب).

من خلال إجابات الباحثين، وقفنا على تعريفات متفاوتة غير متباينة من جهة، وذلك في إشاراتهم للغرب السياسي، الإقتصادي، الإيديولوجي، التكنولوجي والإعلامي، بينما جاءت نفس التعريفات متباينة وغامضة بل متقاطعة حين الإشارة إلى الغرب الجغرافي والديني.

ففي المجال السياسي، الإقتصادي، الإيديولوجي والتكنولوجي والإعلامي، كان هناك نوع من الإجماع على أنّ العالم الغربي: "هو العالم الرأسمالي الذي يتصف بالتقدم الإقتصادي والتكنولوجي والإعلامي، صاحب الخطاب السياسي المفعم بالإيديولوجية اللبرالية (مؤدج) والذي يسعى إلى السيطرة على إقتصاديات الدول المتخلفة والشعوب

المستضعفة، بواسطة الوسائل المتاحة له مثل الشركات المتعددة الجنسيات والمؤسسات ذات الطابع الدولي، التي استطاع إخضاعها لخدمة مصالحه مثل هيئة الأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي والتدخل العسكري بإسم حقوق الإنسان والديمقراطية...

الملاحظ من خلال قراءة متمنعة لمجموع التعريفات التي أدلت بها العينة، أنّ الباحثين يملكون من الأفكار المعرفية بالقدر الذي يسمح لهم من تحديد العالم الغربي في إطاره الخاص، خاصة بما يتعلق بالمجالات المتطرق إليها في التعريف المشار إليه (المجال السياسي، الإقتصادي، التكنولوجي، الإعلامي والإيديولوجي).

كما تجدر الإشارة إلى توظيفهم لبعض المصطلحات القابلة للتوظيف في عدّة مجالات مثل "اللائكية" و"العلمانية" التي لها صلة بالسياسة والدين والإيديولوجيا، ما ترك نوع من الإلتباس خاصة أنّهم كانوا واضحي الإجابة تجاه هذه المصطلحات فيما يتعلق بالجانب الديني للعالم الغربي.

ولتفادي بعض اللبس الوارد، طرحنا سؤالاً ثانوياً للتوضيح أكثر:

هل بإمكانك تحديد الموقع الجغرافي للغرب ؟

ففي تحديد المجال الجغرافي للعالم الغربي، صرح معظم الباحثين على أنّ الغرب، هو ذلك العالم الذي يضم كل من أوروبا وأمريكا، ويقصد الباحثون من أوروبا، كلّ

القارة الأوروبية (تجاوز التقسيم الكلاسيكي الأوروبي: أوروبا الشرقية/أوروبا الغربية)،
أما "أمريكا" فيقصد بها "الولايات المتحدة الأمريكية" لأنه من الخطأ الشائع إستعمال
"أمريكا" عوض "الولايات المتحدة الأمريكية"، أن مصطلح أمريكا أوسع واشمل بل قارة
في حد ذاتها، تعود المحللين السياسيين والإقتصاديين تقسيما إلى قسمين: أمريكا الشمالية
صاحبة القوة الإقتصادية والتكنولوجية والسياسية، وأمريكا الجنوبية التي تضم باقي
الشعوب المتخلفة بالقارة الأمريكية، ثم يليه تعريف مبحثين (02) اللذين يعرفانه
(الغرب) بـ: "الغرب هو الولايات المتحدة الأمريكية"، وما يلاحظ من خلال هاتين
الإجابتين، ليس معناه أن المبحثين يجهلان فعليا أن أوروبا تدخل ضمن الانتماء
الحضاري الغربي، بل هما على وعي من ذلك، لكنهما إنساقا وراء التأثير الإعلامي ولما هو
سائد في الوقت الحالي (هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على الساحة الدولية، بل حتى
على القارة الأوروبية التي أصبحت تعاني من الإكتساح الإقتصادي والثقافي الأمريكي
لأسواقها الداخلية، وبالتالي يكون هذا التحديد تحديدا يميل إلى القوة السياسية
الإقتصادية أكثر منه إلى الانتماء الحضاري.

أما البقية، كانت إجاباتهم تعبر عن عدم المقدرة على تحديد دقيق للغرب
جغرافيا، لأنه أصبح عالم غير ثابت جغرافيا، كما في السابق "لأوروبا وأمريكا الشمالية"

الموجودتان في القسم الشمال الغربي للعالم، بل أصبح يخضع هذا المصطلح "الغرب" إلى نوعية محددة من الأنظمة السياسية والإقتصادية والتكنولوجية والإيديولوجية.

يقول المبحوث (م ر 49): "الغرب هو أورربا والولايات المتحدة الأمريكية، والكيان الصهيوني واليابان والصين وجنوب إفريقيا وكوريا، وكلّ الدول الصاعدة إقتصاديا والسائرة في فلك النظام الرأسمالي اللبرالي...".

والمراد قوله من خلال إجابات هؤلاء المبحوثين أنّ الغرب أصبح يضم الدول القوية المتواجدة عبر القارات شريطة إنتهاجها نهج السياسة الرأسمالية للغرب "الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا"، وهذا ما يتيح لنا فهم أنّ الغرب متعدد لدى المبحوثين (الطلبة)، كما أنّهم يحملون صورا مخيالية متباينة ومتعارضة أحيانا عن الغرب الجغرافي "عالم غير ثابت المعالم جغرافيا تسوده ضبابية المد والجزر.

حول (في) معرفة الشخصيات التاريخية لدى المبحوثين:

اتضح لنا من خلال الإجابات، أن هناك معرفة دقيقة لبعض تلك الشخصيات مثل: نابليون بوناپرت، جورج بوش، أدولف هتلر، إذ كانت الإجابات تحتوي على بعض أدق المعلومات، مثل ما صرح به المبحوث رقم (18) عن استسلام نابليون في معركة (واترلو)، وسنة دخوله مصر 1789 مع المبحوث رقم (50)، وكتاب كفاحي لهتلر

مع المبحوث رقم (36) وانهزام هتلر في ستالينغراد مع المبحوث رقم (03)، إلى جانب مجموعة المعلومات المرتبطة بحياتهم الخاصة: العائلية وميولاتهم الشخصية.

كما سجلنا بعض الإجابات التي اكتفى المبحوثين فيها للإشارة على أنها شخصيات سياسية تولت منصب الرئاسة في بلدانها (معلومات عامة) وكانت نسبة هذا الصنف من الإجابة قليل.

ثم تليها مجموعة الإجابات التي صرح أصحابها بـ "لا أعرف" وكانت على النحو التالي: جورج واشنطن- لا أعرف تسع مرات، وهتلر- لا أعرف تكررت مرتان.

حول ما تمثله الشخصيات التاريخية الغربية لدى الطلبة المبحوثين:

كانت الإجابات غنية من جانب التمثيلات والمصطلحات والنعوتات ذات الحمولة الدلالية لتلك الشخصيات والمرتبطة بنظرة الطلبة المبحوثين، تراوحت بين نظرة الإعجاب والمثالية من جهة والنظرة السلبية من جهة أخرى.

• ارتبطت المثالية لدى المبحوثين لهذه الشخصيات، في كونها شخصيات كاريزماتية (ملهمة) فيما تولته من قيادة سياسية وزعامة حربية، استطاعت تسجيل انتصارات، وإنجازات عظيمة دخلت بها السجل التاريخي وأصبحت من الشخصيات العالمية، وتحولت إلى رموز قومية غربية.

• ارتبط الإعجاب بجدية وحنكة بعض الشخصيات فيما أقبلت عليه من أعمال سياسية وحربية استطاعت تحقيق انتصارات كبيرة، كما تمثل الإعجاب لدى بعض المبحوثين بما قام به "هتلر" مع اليهود الألمان "محرقة" • مثل ما ورد في إجابة المبحوث رقم 01 قال: " بمجرد أنه أحرق اليهود، فإنه شخص مثالي بالنسبة إلي".

من أمثلة الإعجاب بهذه الشخصيات الواردة ضمن إجابات المبحوثين، نشير إلى ما صرح به المبحوث رقم (19) إذ قال: " الشعوب العربية اليوم، في حاجة إلى مثل هذه الشخصيات الجادة والقوية".

يتضح لنا مدى علاقة تلك التمثلات الخارجية الغربية "شخصيات غريبة" بما هو داخلي "قضايا داخلية" سواء أكانت وطنية أو مرتبطة بالأمة العربية الإسلامية، التي ظلت حسيم تفتقد إلى قيادات جادة ومسؤولة تتحمل هموم و قضايا هذه الشعوب وتبني حلولها... كما تتجلى طريقة النظرة إلى الغرب من خلال ما ترسب بالذاكرة، من أفكار و أحداث تاريخية مرتبطة بالانتماء العربي الإسلامي، التي دفعت ببعض المبحوثين إلى التعصب الإيجابي اتجاه "هتلر" على سبيل المثال الذي شفعت له محرقة عندهم،

رغم ما سجله عنه التاريخ من ديكتاتورية ونازية، وتسببه في حرب عالمية كلفت العالم خسارة كبيرة من الأرواح والدماء واقتصاد.

● ظهرت الصور المخيالية السلبية لدى المبحوثين لبعض هذه الشخصيات، في ارتباطها بأفكار معادية لكل من هو غير منتمي لعرق معين "النازية" مع هتلر مثلاً، والسيطرة على حساب الشعوب الضعيفة والنزعة التوسعية "نابليون بونابرت" والديكتاتورية والنزعة العرقية إلى جانب كل من "جنون العظمة" والتعصب الديني والانحياز للصهيونية والطمع في ثروات الغير "العرب" مع جورج بوش الابن.

الملاحظ أن تمثلات المبحوثين للشخصيات الغربية ذات الدلالة السلبية كثيراً ما ارتبطت بالأحداث التي كان الوطن العربي الإسلامي أو أحد أجزائه طرفاً فيها، أو كانت لهم مواقف في غير صالح العرب والدين الإسلامي، شخصية جورج بوش الابن على وجه الخصوص، ومن العبارات الواردة في إجابات المبحوثين في هذا الاتجاه نجد العبارات التالية:*

«الرئيس الأمريكي مهين العرب»

«رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، عرف بعدائه للإسلام والعرب».

* - تم اختيارنا لهذه العبارات، لكثرة تكرارها في إجابات الطلبة المبحوثين.

« رئيس أمريكا محي الحروب الصليبية.

« رئيس الولايات المتحدة تبنى اليهودية بالوراثة»

« رئيس أمريكا الذي ساوى بين الإسلام والإرهاب»

« نابليون حطم مكتبات مصر ورمى بها في النيل»

« نابليون شخصية غازية مع الإشارة إلى حملته على مصر» ** .

هذه العبارات المتكررة وبكثرة أحيانا ضمن تمثلات المبحوثين للشخصيات الغربية، والتي كانت بمثابة خطاطات ذهنية لرسم صورهم المخيالية، إنها لا تنفك عما للمجتمع الجزائري والعربي الإسلامي عامة من معلومات وأفكار عن هذه الشخصيات وما سجل عليها من مواقف وأعمال تعارضت ومصالحنا الحيوية مادية كانت "اقتصادية" أو معنوية "ثقافية وروحية وحتى حضارية" منها.

فلا ريب أن الصور الذهنية ترتبط ارتباطا وثيقا بقيم الأفراد وثقافتهم ومعتقداتهم وميولاتهم وتوجهاتهم التي تكونت لديهم عبر الماضي، مما يجعلهم يعودون إليها عندما

** - ملاحظة: العبارات وردت في إجابات المبحوثين بعينها أو فيما معناها.

يحتاجون التعامل مع الأشخاص والأشياء في عوالمهم وبيئاتهم⁽¹⁾. فالطالب المبحوث يعتمد لاشعورياً إلى استحضار ما ترسب في ذاكرته من أفكار ومعلومات عن الغرب ورموزه "شخصيات غربية مثلاً"، في عملية بناء صورته الذهنية لها وكذا طلق أحكامه عليها، ولا يفوتني أن أشير إلى أن المبحوثين أو بعضهم كانوا شاهد عيان زمانياً على عهدتي جورش بوش الابن على رأس السلطة بالولايات المتحدة الأمريكية وما قام به بمعية الدول الغربية العظمى، والحلف الأطلسي في منطقة الخليج.²

تمثلات المبحوثين للأحداث التاريخية الغربية:

"الثورة الأمريكية"، "الثورة الفرنسية"، "التدخل الأمريكي في العراق"

– على مستوى معرفة الأحداث:

اتضح لي من خلال إجابات المبحوثين، أن مجموعة ضئيلة ليست ملمة ببعض تلك الأحداث التاريخية المقترحة وبالأخص "الثورة الأمريكية"، إذ صرح بعض المبحوثين بـ "لا أعرف"، واكتفى البعض الآخر بإجابات غير واضحة مثل "منعطف تاريخي"، "الانتقال من وضع إلى وضع" مما دفعنا إلى إضافة أسئلة بغية التوضيح مثل "كيف؟"

¹ - طاش عبد القادر، الصورة النمطية للإسلام والعرب في مرآة الإعلام الغربي، شركة الدائرة للإعلام المحدودة، الرياض 1989، ص 18.

² - إشارة منا لحرب الخليج 2003.

"وَضَّح" فكانت الإجابات تدل على جهل بعض المبحوثين بالحدث، وكانت نسبة هذه العينة قليلة إذ مثلت سبع في المائة (7%)، فكانت النسبة الإجمالية للعينة التي تجهل الأحداث يمثل ثمانية عشر في المائة (18%).

– على مستوى تمثلات الأحداث:

على مستوى تمثلات المبحوثين التاريخية، سجلت تفاوتاً في الإجابات على النحو الآتي:

مجموعة تمثلت الأحداث على أنها كانت بداية تحوّل جذري محلي (قومي) عرفتها شعوب هذه البلدان، مس جميع الأصعدة: أنظمة الحكم، والأنظمة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وحتى الجانب الروحي، ومعظم هذه المجموعة ركزت على الثورة الفرنسية، ومن بين العبارات الواردة والأكثر تكراراً نجد:

– « الثورة الفرنسية، تمثل التحول في نظام الحكم من ملكي إلى جمهوري »

– « الثورة الفرنسية، هي القضاء على الإقطاع السائد آنذاك »

– « الثورة الفرنسية، تمثل الثورة على الفكر الكنسي "الكنيسة" »

– « الثورة الفرنسية تمثل القطيعة مع الفكر الكلاسيكي الذي أنتج

الإقطاع»

– « الثورة الفرنسية تمثل بداية عصر الأنوار » « تحرر العقل »

– « الثورة الأمريكية تمثل التحرر القومي "التواجد الانجليزي" »

كما سجلنا تقاربا عن هاتين الثورتين لدى المبحوثين: أن الثورتان كانتا بداية التحرر الذي دفع بالشعبين الفرنسي والأمريكي إلى معرفة الحرية والمساواة والعدل، هذه المساواة التي كانت غائبة فيما قبل، إذ كثيرا ما ترددت عبارة « الثورة الفرنسية تمثل "الحرية والأخوة والمساواة" » وهو الشعار الذي تعرف به هذه الثورة.

مجموعة ثانية، جاء في تصريحاتها أن هاتين الثورتين إضافة إلى التحول الداخلي الذي تسببتا فيه كان لهما الفضل في نشر الوعي التحرري لدى باقي الشعوب...

سؤالنا كيف؟: فكانت الإجابات، أن الثورة الفرنسية مثلا، أحدثت انتقال نوعي في المجتمع الفرنسي الذي كان تأثيره كبيرا على أوروبا عموما، هذا الفكر "الفكر التحرري" الذي انتقل إلى باقي الشعوب المستعمرة في فترة لاحقة وضد البلدان الغربية نفسها.

في اعتقادنا أن هذه التمثلات الإيجابية للغرب "فرنسا/ أمريكا" من خلال ثورتيهما راجع إلى تبني بعض الأفكار الثقافية السائدة لدى شعوب العالم الثالث والتي كثيرا ما روج لها الغرب نفسه، على أن مصدر الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية الغرب. وهنا

تكمن المقارنة الخيالية بين هذه الشعوب وتلك لدى المنتمين للدول المتخلفة، انطلاقاً من واقعهم الاجتماعي والسياسي... المعاش.

أي حاجة هذه الشعوب "العالم المتخلف" إلى تجسيد تلك المفاهيم "الحرية، العدالة، المساواة" عملياً في أوطانهم كون التمثلات خاصة إنسانية ذات الطابع الدينامي والمرتبطة بالقيم والثقافة والإيديولوجية السائدة في المجتمع، كذلك صحيح أن الغرب مضى-خطوات كبيرة في تجسيد العدالة الاجتماعية والمساواة والحرية، مقارنة مع باقي الشعوب المتخلفة، لكن أستطيع القول وأنا لست بصدد إطلاق الأحكام، أن الحرية والعدالة والمساواة الحقبة التي تخدم الإنسانية تلك التي نادى بها القرآن الكريم على لسان الرسول المصطفى (ص).

أما بما يتعلق بالتدخل الأمريكي في العراق: كان هدفنا من خلال هذا السؤال معرفة تمثلات المبحوثين للغرب في هذه الحالة "التدخل" بعد أن كانت نظرتهم إيجابية له، فيما تعلق بالثورة الفرنسية والثورة الأمريكية (سؤال فح).

إن الإجابات كانت في مجملها مائلة بالتعاطف مع العراق، وأظهرت الغرب "الدول الغربية" المتحالفة مع الولايات المتحدة الأمريكية في مظهر البربرية، جراء التقتيل الجماعي والتعذيب "سجن أبو غريب" الذي أصبح رمزاً للمعاملات اللاإنسانية وضرب حقوق

الإنسان على حد تصريح جلهم، يقول المبحوث رقم 30 « سجن أبو غريب لطخ تمثال الحرية Statut de Liberté وكذب شعار الثورة الفرنسية».

كما صرح البعض أن الحرب كانت مفتعلة، كون النظام الديكتاتوري بالعراق كان من صنع الغرب نفسه، إذ أشاروا إلى وقوف الغرب "الولايات المتحدة الأمريكية" مع "صدام حسين" في حربه مع إيران لإضعافه وتبديل زعامته، ودخول الغرب العراق كان بحجة القضاء على النظام الديكتاتوري والهدف الرئيسي هو إضعاف قوة عربية صاعدة، إذ كانت العراق أول بلد مرشح للخروج من دائرة "العالم الثالث" قوة مالية، ثروات معدنية بترول، والتقدم العلمي... مع تشكيك الغرب في القوة العسكرية العراقية، خوفا على مستقبل الكيان الإسرائيلي.

إن تمثلات المبحوثين للغرب حول هذا السؤال جاءت سلبية للغاية، إذ كانت تحتوي مصطلحات ذات الدلالة السلبية، ومن بين تلك التعابير والمصطلحات والمتكررة أكثر من مرة ندرج ما يلي: (البربرية/ التوحش/ اللاإنسانية/ الهمجي/ العدو/ حرب صليبية جديدة/ الحقد على العرب/ الحقد على الإسلام والعرب/ الطمع في البترول/ القضاء على قوة عربية صاعدة/ احتلال/ زرع الفتنة بين الطوائف الدينية: الشيعة والسنة/ تغيير خريطة الشرق الأوسط/ الاستبداد/ استعمار/ تطبيق نظام دولي جديد

مهيمن على العالم/ القضاء على الحكام العرب الذين وقفوا ضد مصالح الغرب / تعزيز قوة إسرائيل...).

بعد ملاحظتنا، أن الإجابات ظلت تميل للنظرة السلبية (الصور الخيالية السلبية) تدخلنا لطرح سؤالين ثانويين بغية التأكد من ذلك التمثل السلبي (الصور السلبية) وهما الآتيين:

ماذا تمثل لك تلك المظاهرات الشعبية الغربية المناهضة لحكوماتها جراء دخولها تلك الحرب؟ وكيف تنظر لتلك الذروع البشرية التي نظمت أمام مقرات الحكومات الغربية لحماية الشعب العراقي؟

جاءت مضامين إجابات الباحثين على هذين السؤالين على ثلاثة أشكال:

أ. مجموعة كانت تمثلها سلبية للغاية، كونها بقيت مصرّة على بربرية وطغيان تلك الدول في حربها تلك على حد تصريحتها، كونها لم تقتنع بتلك الذروع البشرية وبذلك المظاهرات المنظمة أمام مقرات الحكومات والسفارات العراقية بالدول الغربية، وارتأتها على أساس مجرد أعمال للاستهلاك الإعلامي، حتى تحافظ على صورة دولها أمام الرأي العام الدولي والعربي الإسلامي، وبمعنى آخر، أن هذه المجموعة ظلت تشكك في تلك ردود الأفعال على أساس أنها لم تكن عفوية وصادقة

ب. مجموعة ثانية : هي الأخرى ظلت تصوراتها لتلك المظاهرات سلبية، وكان تبريرها في ذلك، أن تلك المظاهرات لم تكن تعبر عن الرأي العام لتلك الشعوب، بل كانت تقتصر على أقارب والعائلات التي كان لها أبناء في صفوف الجندية "Les familles et les proches des militaires" وبالتالي لم تكن تعاطفا مع الشعب العراقي بل كانت خوفا على ذويهم، إذ صرحت إحدى المبحوثات:

« لا زلت أتذكر تصريحات "les déclarations" العديد من الأشخاص المتلفزة، وكلهم كانوا من ذوي المجندين العسكريين الذين أخذوهم إلى العراق.»

ج. مجموعة ثالثة، وهي أكبر مجموعة من عينة المبحوثين، كانت نظرتها لتلك المظاهرات باستحسان، وعبرت عن تقديرها لتلك المواقف الإنسانية (المظاهرات) باعتبارها تعبيرا عن التعاطف الإنساني خاصة وأن مشاهد التدمير والتقتيل الفظيع والمرّوع كانت تبث على المباشر في القنوات التلفزيونية، مما يترك أثره على كل نفس سلبية، مما دفع بعض المبحوثين إلى التعبير عن عدم رضاهم عن مواقف الدول العربية والإسلامية تجاه ما أسموه بالعدوان الغربي، سواء على مستوى الشعوب التي اكتفت بالتظاهرات والتي كانت محتشمة أحيانا أو على المستوى الرسمي لحكومات هذه الدول التي لم تجرأ معظمها حتى على التنديد.

كما أشارت معظم هذه المجموعة، أن المتظاهرين في العواصم الغربية، كانوا يمثلون كل من لا يقبل ويرضى بالتقتيل، بما فيها الجالية العربية الإسلامية وبقية الجاليات من مختلف الأجناس المتواجدة بالغرب، ونلتبس من هذه التصريحات التقليل من قوة مشاركة الغربيين كذلك.

كانت النظرة التقييمية لهذه المجموعة في عمومها إلى تلك المظاهرات، على أنها غير فعالة، ولم تُجدِ نفعاً (النفخ في الفراغ)، طالما الفاعل والمؤثر كان متواطئ (السلطات والحكومات الغربية).

بناء على ما تقدم حول إجابات المبحوثين حول تصوراتهم وتمثلاتهم لحرب الخليج، يتضح لنا أن الغرب المتخيل ظهر بصورة سلبية تتعارض وشعاراته الإنسانية (الحرية، حقوق الإنسان، العدالة) ظهر الغرب بصفة الأناني الذي لا يوثق فيه خاصة إذا تعلق الأمر بالعرب والمسلمين والإسلام، ومن العبارات المصرح بها نجد:

«الغرب المراوغ/ الغرب الحارص على مصالحه/ الغرب المتشعب بروح التمركز والتعالي (العظمة)/ الغرب الذي لا يهيمه الآخر الأجنبي خاصة إذا تعلق الأمر بالعرب والمسلمين/ الغرب لا يمثل لرأي شعوبه (الحكومات)/ الغرب متناقض مع مبادئه وفلسفته/ الغرب لا يوثق فيه/ الغرب الوفي للكيان الإسرائيلي/ الغرب الطماع...»

إن عملية استحضار الغرب في مخيلات العينة المبحوثة من الطلبة وتقديمه بأي شكل من الأشكال وإصدار في حقه أحكام وتوصيفات، لم تكن عفوية اعتباطية وآنية، إنها عملية ذهنية تلجأ فيها مخيلة المبحوث إلى الاستناد واستحضار المشاهد والأفكار والعواطف والميولات والمعرفة السابقة المرتبطة بثقافة انتمائهم كون الصورة « تمثلا يحمل مزيجاً من المشاعر والأفكار التي يتعين القبض على تعبيراتها العاطفية والإيديولوجية كذلك».

تم استحضار العراق كجزء من الوطن العربي كما تم استحضار الشعب العراقي بعروبتة وإسلامه وهو يئن تحت ضربات قوى التحالف الغربي المسيحي الاستعماري، كما تم استحضار ضرب "صدام" إسرائيل بالصواريخ والهلع الذي أحدثه في الأوساط الإسرائيلية، التي لم يجراً أحد من العرب على ضربها، كما تم استحضار تعاطف الغرب مع الكيان الإسرائيلي العلني... كل هذه الأفكار والعواطف ساهمت في بناء المبحوثين صورهم السلبية للغرب.

في اعتقادك كيف هو موقف الغرب من الصراع الفلسطيني الإسرائيلي؟

موقف محايد، منحاز إلى طرف على حساب الطرف الآخر، غير مهتم... كيف؟

جاءت إجابات المبحوثين على هذا السؤال كلها تصب في اتجاه واحد وهو تحيز الغرب الواضح والمعلن تجاه الكيان الإسرائيلي، هذا التحيز الذي بلغ درجة التعصب لإسرائيل.

عن كيفية هذا التحيز "تبرير وجهة النظر" كيف؟

جاءت الإجابات متنوعة ومقرونة بالأمثلة التوضيحية والدامغة، والمستقاة من خلال الأحداث والخطابات السياسية الغربية، وكذا المواقف الغربية التي اتخذت إجرائياً ومعنويًا لصالح إسرائيل في صراعها مع فلسطين المحتلة، بل ومع الصراع العربي الإسرائيلي على حد تعبيرهم...

نظر معظم المبحوثين إلى الكيان الصهيوني، على أنه يمثل الجرثومة الخبيثة التي زرعتها الغرب في الجسم العربي، بغية التخلص منها "اليهود والصهاينة" في المجتمعات الغربية، والتي ظلت تنخر الجسم العربي منذ عهد بالفور 1948، كما نظر بعض المبحوثين لتواجد الكيان الصهيوني في الشرق الأوسط، هو تواجد للغرب نفسه بالمنطقة.

نظر المبحوثون للغرب نظرة النفاق والتناقض مع مبادئه التي ظل يتغنى بها في خطاباته السياسية "حقوق الإنسان، العدل، والحريات..." وهو الداعم والراعي لانتهاكاتها من طرف إسرائيل، حيث التقتيل الجماعي اليومي للأطفال والعزل والحصار المشدد على غزة الذي أدى بالوضع الإنساني بها إلى الكارثة.

أشار المبحوثون إلى تعامل الغرب بمكيالين، خاصة إذا تعلق الأمر بالعرب والمسلمين، وجاءت أمثلة بعض المبحوثين في ذلك: الحرب الصليبية على العراق، بتهمة امتلاك الأسلحة النووية، في حين تملك إسرائيل ما تملك من الأسلحة النووية وتأييد غربي رسمي بحجة الدفاع عن النفس،... نظر المبحوثون للغرب كذلك أنه الضامن الوحيد لغطرسة إسرائيل بالمنطقة وذلك بتأييدها في المحافل الدولية "هيئة الأمم المتحدة" ومن الأمثلة التي صرح بها البعض:

الموقف الغربي المنحاز لإسرائيل اعتدائها على السفينة التركية "مرمرة" التي كانت في طريقها إلى غزة المحاصرة لتقديم خدمة إنسانية، ووقوف الولايات المتحدة المساند لإسرائيل ضد الاعتراف الدولي بفلسطين دولة عضو مراقب في هيئة الأمم المتحدة وتهديدها باستعمال حق الفيتو...

ملاحظة: كون السؤال كان مفتوحا، أسهب المبحوثون في إعطاء العديد من الأمثلة التي توضح موقف الجزائر من إسرائيل مقارنة مع بعض الدول العربية المتخاذلة مع القضية

الفلسطينية، إذ أشار البعض إلى مقولة الرئيس الراحل "هواري بومدين": "الجزائر مع فلسطين ظالمة أو مظلومة"، والدعم الفعلي الجزائري لفلسطين "كان أول إعلان للدولة الفلسطينية بالجزائر" وكذا غياب السفارة الإسرائيلية بالدولة الجزائرية، هذا الموقف الرسمي الذي تشبّع به المواطن الجزائري إذ أشار البعض من الباحثين إلى « تخليّ الرياضيين الجزائريين على البطولات والتظاهرات الرياضية الدولية التي تشارك فيها إسرائيل» أين أشار أحد الباحثين إلى الموقف المشرف للاعب الدولي الجزائري لكرة القدم "حليش" الذي رفض اللعب في إسرائيل مع فريقه، هذا الموقف الذي لقي استحسان الشعب الجزائري والعرب، ووصف بالتعصب والعنصري في الغرب.

ومن العبارات الدالة على تصورات الغرب السلبي في أخيلة الطلبة الباحثين

نورد ما يلي:

- « التحيز الغربي لإسرائيل»
- « التعامل بمكيالين»
- «التعصب لإسرائيل»
- «إسرائيل هي الغرب»
- «الغرب منتهك حقوق الإنسان والحريات»

– «الغرب غير العادل»

– «الغرب وحق الفيتو» [هذا الحق المكرس للاعدل، الذي منحتة الدول

الغربية العظمى لنفسها لصون مصالحها].

– «الغرب المساند للعدو اليهودي»

– «اليهود والنصارى ملة واحدة».

عموما أن نظرة الطلبة المبحوثين للغرب من خلال موقفه في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي جاءت في غاية السلبية، محملة بالصور الخيالية التي انبتت على اشتغال ذاكرة الطالب على ترسب لديها من أفكار وتجربة تاريخية للتعاطف الغربي لإسرائيل وكذا دور الانتماء الديني وما يمليه من تعاطف مع الفلسطينيين الذين أعتدي عليهم وأخرجوا من ديارهم "الأخوة في الدين"، وكذا استناد مخيال الطالب إلى المخيال الجمعي للمجتمع الجزائري الذي يستند بدوره على المخيال الرمزي باعتبار اليهود أعداء الدين والرسول والغرب الاستعماري...

الرموز الغربية:

ماذا تمثل لك الرموز التالية: برج إيفل Tour Eiffel، تمثال الحرية Statut de

Liberté، الساعة الكبيرة Big Ben، الدولار، الأورو...؟

أ. على مستوى المعرفة الرموز:

على مستوى معرفة الرموز المقترحة، اتضح أن مجموعة صغيرة من الباحثين لم تتمكن من تحديد توأجدها (البلد الذي توجد به)، رغم يقينهم جميعاً أنها رموز حضارية غربية، إذ سجلنا خطأً في عملية نسبها

على مستوى تمثلات الرموز:

الإجابات وردت إيجابية، على التقدم الحضاري للشعوب الغربية، بما يتعلق بالمجسمات الفنية، كما عبرت على مكانة ورمزية تلك المجسمات لدى تلك البلدان وخارجها، إذ أصبحت ذات بعد عالمي، كما مثلت تلك الرموز سعة خيال منجزها من جهة والتقدم العلمي والتقني وتطلعات تلك الشعوب الغربية إلى الحرية "Statut de Liberté"، وقيمة الوقت واستشرفهم للمستقبل من جهة ثانية... كما مثلت تلك الرموز للمبشرين معالم سياحية بامتياز على حد تعبيراتهم.

الملاحظ أن هناك من الباحثين الذين لم يكتفوا في إجاباتهم عند حدود تمثلات الرموز، حيث عمدوا لربطها من باب المقارنة والمقاربة بمناطق وآثار بالوطن العربي والجزائر مثل: الأهرام المصرية والآثار العراقية البابلية والمنصورة (تلمسان) وهناك من

ذكر "مقام الشهيد" (الجزائر العاصمة)... وجدنا في مثل هذه الإجابات أمر طبيعي وذلك كون السؤال كان مفتوحاً.

كما صرح بعض المبحوثين أن تلك الرموز الغربية المشار إليها، هي وليدة عصر- الأنوار، الذي كان بداية تحول في تاريخ الغرب الكلاسيكي وقاعدة انطلاق جديدة للغرب الحديث، الذي تحرر من الفكر الكنسي والأفكار الكلاسيكية، إذ دخل الغرب الحداثة والثورة الصناعية...

أما تمثلات المبحوثين للعملتين "الدولار" و"الأورو" فاعتبرتتا عملتا التعامل الدولي والسيطرة على باقي العملات، فهما رمز القوة الاقتصادية لمكانتهما في البورصات العالمية، كما تمثلتا عملتا إخضاع، كون اقتصاديات الدول مرتبطة بهما، تتأثر سلبيًا وإيجابًا بقيمتيهما في سوق التبادلات المالية...

سجلنا أفراد مجموعة من المبحوثين في إجابتها عن عملة "الأورو"، إذ أسهمت في التعبير عن مخيالها السياسي تجاه هذه العملة، إذ اعتبرتها رمزا لمدى تكتل الدول الأوروبية ومدى تضامنها مالياً واقتصادياً وسياسياً في مواجهة الاقتصاد الأمريكي "الدولار" الذي أصبح يشكل خطراً على اقتصاديتها، كما استحسن إصرار المجموعة الأوروبية لتجاوز الأزمة الاقتصادية لتضامنها مع "اليونان" دون التراجع عن عملة "الأورو" العملة الموحدة.

من خلال هذه الإجابة، تجلّى الغرب على أنه ليس غرباً واحداً موحداً، بل إن هناك صراع مصالح داخل هذا الغرب نفسه...

تساءلت هذه المجموعة عن غياب تكتل مالي اقتصادي مماثل يجمع الدول العربية، من شأنه تكوين قوة عربية تخدم الشعوب العربية، ويواجه بها ضغوط الاقتصاد الغربي المعولم، رغم امتلاكها من العوامل والمؤهلات التي تسهل عملية الاندماج من "ثروات متنوعة، حدود متقاربة، العامل البشري، اللغة، الدين....".

في نفس الوقت تجيب هذه المجموعة عن غياب قنوات سياسية لدى الحكومات بهذه الوحدة بل أشارت إلى خنوع بعض هذه الدول للإملاءات الغربية، التي تعمل على بقاء العالم العربي والإسلامي كذلك عبارة عن كيانات مستقلة ومتشعبة حتى تبقى خاضعة. وبين هذه التساؤلات والإجابات نستشف ما كان عالقا بمخيلات تلك المجموعة من أفكار غير مسرح بها والتي كانت تتطلع إلى إيجاد اتحاد مالي اقتصادي سياسي عربي على شاكلة الدول الغربية... وبالتالي كانت نظرتها للغرب من خلال نظرتها إلى واقع المضاء المنتمية إليه...

ماذا تمثل لك تلك الشخصيات التالية؟

"نيوتن"، "باستور"، ...

وردت إجابات العينة المبحوثة تجاه هذه الشخصيات "العلماء" الغربية دالة على تمثلاتها الإيجابية، ما عدا فئة قليلة التي لم تتعرف على مخترع جهاز التلفاز والتي كانت إجاباتها بـ "لا أعرف".

ركز المبحوثون في إظهار قيمة أعمالهم واختراعاتهم العلمية في مجالات مختلفة "الفيزياء- الصحة- البكتيريا- والاتصال..." التي عادت بالنفع والخدمة على البشرية جمعاء.

كما أعرب جل المبحوثين أن تقدم الغرب وصنعه للفارق بينه وبين باقي الدول المتخلفة يرجع إلى مثل هؤلاء العلماء ومن سار على نهجهم في مختلف الميادين، الذين وظفوا ملكات عقولهم في اكتشاف أسرار الطبيعة وخدمة الجنس البشري.

على العموم، التمسنا من خلال الإجابات، مدى تقدير الطلبة لهؤلاء العلماء الذين اعتبروا رموزا في العطاء العلمي وبالأخص لدى الطلبة ذوي التخصصات العلمية...، وهناك من الطلبة من أشارت إلى قيمة النتائج التي توصل إليها هؤلاء العلماء في حياتنا اليومية، كقول بعضهم: «انظر إلى أكياس الحليب ومشتقاته، تجد إشارة إلى "باستور" "Pasteur" حليب مبستر Lait pasteurisé نسبة إلى باستور».

وهناك من تساءل عن الكيفية والحالة التي نكون عليها في غياب وسائل الاتصال والإعلام والتي هي من اختراع الغرب "العيش على الهامش وفي انقطاع عما يحدث في العالم المحيط بنا...."، ومن العبارات الواردة ضمن إجابات المبحوثين الدالة على الإعجاب والامتنان بهؤلاء العلماء والمخترعين الغربيين، اخترنا العبارات الآتية:

— «إمعان العقل».

— «توظيف العقل، لفك أسرار الحياة والطبيعة كذلك».

— «الإبداع العلمي».

— «التقدم العلمي».

— «خدمة البشرية جمعاء».

كلها عبارات دالة على التمثل الإيجابي لهؤلاء العلماء الغربيين، ومن خلاهم للغرب، الذي ساهم في خدمة البشرية من الناحية العلمية "الاختراعات" التي توظف إيجابيا وتساهم في رفع المستوى الصحي، المعيشي، والترفيهي... وبعبارة أخرى إن التمثل الإيجابي للعلماء الغربيين انعكس على الغرب بالإيجاب ولم يبق الغرب حبيس تلك الصور السلبية المتمثلة في: الاستعمار والهيمنة واستعباد الشعوب.

❖ ماذا تمثل لك اللغات الغربية الآتية؟:

اللغة الفرنسية - اللغة الإنجليزية.

كان هدفنا من خلال هذا السؤال، الوقوف على تمثيلات الباحثين ومن تم تصوراتهم لهتين اللغتين كونهما لغتين غريبتين يتقاطعان في نقاط عدة، "كما تحملان ثقافة متقاربة من جهة ومن جهة ثانية أن المبحوث لا يقوم باستحضار هذه اللغات وأقوامها إلا من خلال استحضار في عملية لا شعورية للغته وقومه "انتماءه". وعملية الاستحضار هذه تضيف على الصور المتخيلة قوة وتعطيها أكثر من معنى.

نظر المبحوثون للغتين "الفرنسية والإنجليزية" لغتين غريبتين بالدرجة الأولى، هذا إلى جانب لغات أخرى كالإيطالية والألمانية والإسبانية... كما نظرت العينة إلى اللغة الإنجليزية على أنها الأكثر انتشارا في العالم كونها لغة العلوم والتكنولوجيا، ومن المبحوثين من نظر إليها أنها لغة القرن الواحد والعشرين، لما لها من دور في المعلوماتية ومن وسائل مساعدة على رواجها "الأقمار الصناعية، القنوات الفضائية،...

لما أشار معظم المبحوثين على أنها "اللغة الإنجليزية" لغة القرن الواحد والعشرين،

أضفنا سؤال توضيحي: كيف؟

كانت الإجابة بالإجماع، على أن الطالب أو الباحث، الذي لا يتقن اللغة الإنجليزية، يكون محروما من كثير من المعلومات في تخصصه، وكيفما كان هذا التخصص... مما دفع بالكثير منهم العمل على تحسين مستواه في هذه اللغة " لغة المستقبل على حد تعبير معظمهم" ... ، والتي وردت حاملة للفكرة الآتية:

سميت " اللغة الإنجليزية" باللغة الحية، لأنها فعلا حية بما تحويه من فنون وعلوم متنوعة، وتنتعش بالجديد يوميا" إشارة إلى الاكتشافات والاختراعات في شتى المجالات. أشارت أيضا قلة من المبحوثين إلى أنها " الإنجليزية" لغة " الكومنولث" إشارة منهم إلى انتشارها وتوسعها جراء التوسع الاستعماري الإنجليزي.

أما بما يتعلق باللغة الفرنسية، فكانت تمثل لغة قومية" فرنسا" عرفت رواجاً وتوسعا خلال القرن الماضي بفضل الاستعمار الفرنسي- خارج أوروبا، حيث أشار البعض على أنها "الفرنسية" بدأت تفقد مكانتها، كونها لا تقتصر إلا على فرنسا والكيبك" وبعض مستعمراتها، وليست لها مكانة في الغرب مقارنة مع " اللغة الإنجليزية" التي أصبحت تمثل خطرا عليها في عقر دارها " فرنسا"، وهناك من صرح أنّها لغة " فكتور هيقو Vietor Hugo" لغة الرومنسيات.

خلاصة ما استنتجناه من المقابلات حول هاتين اللغتين، وما تمثلانه في أخيلة الطلبة أنهما لغتا العلم والتقدم الحضاري وبالأخص اللغة الإنجليزية التي أصبحت تعرف على حد تعبير الطلبة أوج إشعاعها مع نهاية القرن العشرين وبداية هذا القرن، كونها لغة الدول العظمى "إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية بالأخص" وما لهذه الدول من قوة إقتصادية وحضور علمي إعلامي على الساحة الإعلامية.

كما وقفنا على مدى إعجاب وانجذاب المبحوثين لهاتين اللغتين من جهة وغياب بعض الأوصاف والمصطلحات التي كانت تفرق بينهما في مرحلة سابقة مثل: لغة الكفار، لغة العدو، لغة المسيحيين،..

❖ ماذا تمثل لك الديانتان الآتيتان؟

الديانة المسيحية - الديانة اليهودية

نظر المبحوثين للديانتين المسيحية واليهودية أنهما ديانتين سماويتين خصّ بهما الله عزّ وجلّ أقوام خاصة على التوالي:- المسيحية قوم سيدنا عيسى عليه السلام، واليهودية بنو إسرائيل- كما عبّر مجموع الطلبة عن إيمانهم بهما وبالأنبياء الذين خصّهم الله بهما بإعتبارهم مسلمين إذ ورد في العديد من الإجابات أن المسلم (من آمن بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد(ص) رسولا، وآمن بالرسول والكتب والملائكة وبالقضاء والقدر واليوم

الآخر). كما عبّروا من جهة ثانية، أنّ هاتين الديانتين تعرّضتا للتحريف من طرف أتباعهما وذلك باعتراف النص القرآني...

كانت هذه وجوهات نظر الباحثين لهاتين الديانتين الذين عبّروا كذلك عن نظرة اليهود والمسيحيين وتصوراتهم للإسلام والمسلمين خاصة في الوقت الراهن، حيث تنكروهم للإسلام كديانة سماوية، ولمحمد عليه الصلاة والسلام رسولا ونبيًا، بإشارتهم إلى التحالف والتآمر اليهودي النصراني على الإسلام وأتباعه في الوقت الحالي، وذلك بتطاولهم على الرسول (ص) بالكذب والإفتراء، فهناك من أشاروا إلى الدراسات الإستشراقية وما فيها من تعصب سلبي للإسلام والمسلمين، ومن أشاروا إلى الصور الكاريكاتورية في وسائل الإعلام المسيئة للرسول (ص)، ومن ذكروا مصطلح "الإسلام فويا" وما يراد من خلاله في الأوساط الغربية " زرع وترسيخ الأفكار المشينة وتثبيت الصور النمطية السلبية للإسلام والمسلمين لدى المواطن الغربي التي تعزز الكره وتقوي العداء اتجاههم..."

كل هذه العوامل حسب الباحثين تلتقي في وجدان المسلم لتجعل منه ينظر إلى أتباع هاتين الديانتين نظرة مماثلة وعدم الثقة، إذ تكرّرت عبارة (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَالنَّصَرَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) .

إلى جانب هذا هناك من المبحوثين " ⁽¹⁾ نظروا إلى هاتين الديانتين لا تعرف إقبال ممارساتياً منظماً ومتواصلاً في أوساط معتنقيها إلا القليل مقارنة مع الدين الإسلامي وما يعرفه من إقبال وممارسة "صلاة" حتى في الغرب نفسه، من طرف الجالية المسلمة، الأمر الذي يزج الغرب المسيحي.

من النتائج الجزئية التي ارتبطت بهذا السؤال، والتي تم إستنتاجها ونحن ندير المقابلة مع المبحوثين: أنّ التحريف الذي طال هاتين الديانتين هو سبب الصراع والنظرة العقائدية الخاطئة لأتباعهما (اليهود والنصرى اتجاه الإسلام).

إنّ الديانتان اليهودية والمسيحية توظفان توظيفاً إيديولوجياً في الخطاب السياسي الغربي والصهيوني لتجيش والتأثير على أذهان الأتباع، وأنّ الغرب الذي يدّعي "العلمانية" يتعارض مع هذا المبدأ بإعطائه الديانة عناية توظيفية من أجل تحصين الذات الغربية المسيحية في وجه إنتشار الدين الإسلامي بالغرب ذاته وبشكل غير مسبوق، كما استنتجنا أنّ تمثلات المبحوثين من الطلبة لهاتين الديانتين، لها من التقارب الكبير الذي يصعب تحديده في غالب الأحيان.

¹ - * ملاحظة: جل هذه المجموعة من الطلبة الذين سبق لهم زيارة بعض لدول الغربية.

• لزالّت بعض المؤسسات والرموز الدالة على الديانة المسيحية (كنائس / الصلبان)⁽¹⁾ في بعض المناطق والمدن من الوطن، والتي تعود إلى الحقبة الاستعمارية، كيف تنظر لها؟

اتضح من خلال عملية تصنيف وترتيب إجابات المبحوثين ما يلي:

• مجموعة الأولى : عبرت عن نظرتها إلى هذه الرموز بنظرة سلبية، بأعبارها رموز ترتبط بالاستعمار أولا. الذي وظف المسيحية سياسيا، بالإضافة لما تمثله هذه الديانة لدى المبحوثين، كونها ديانة محرقة دخلت خانة المندس طالها من تزيف بشري مع إعرابهم عن إيمانهم بالكتب المنزلة (الديانات السماوية الحقّة) بأعبارهم مسلمون

كما عبر بعضهم عن مكانة هذه الرموز والتي تتماشى وقيم ورموز المجتمع الجزائري المستقل، حيث أثار البعض: أن المجتمع الجزائري مجتمع مسلم. ديانة "الإسلام" وهذا من بين خصوصيات هذا المجتمع على باقي المجتمعات العربية. لا توجد به طاقة مسيحية، وهذا يزيد في لحمة الشعب الجزائري ... تقول المبحوثة رقم (28)متسائلة (مبحوثة متحجبة): "ماذا يقول السواح الأجانب بمختلف جنسياتهم بما فيهم العرب الذين ليست لهم معرفة عن المجتمع الجزائري؟ وديانته؟ ألا يعتقدون أن المسيحية من الديانات المعتنقة في الجزائر؟ والمراد قوله من التساؤل، أن لا مكانة لهذه الرموز في المجتمع الجزائري بعد

¹ - جمع صليب.

الاستقلال،... وهذا يتماشى وإجابات عدة لهذه المجموعة التي عبرت بصراحة عن ظروف إزالتها أو تحويلها لما يخدم الصالح العام ويتماشى وقيمه، مع إشارتهم إلى ما تعرضت إليه المؤسسات ذات الطابع الديني الإسلامي (مساجد / كتاتيب / زوايا... / مدارس قرآنية...) للمجتمع الجزائري من تخريب وتحويل بعضها إلى كنائس...إبان الحقبة الاستعمارية...

ما يمكن الإشارة إليه من خلال إجابات هذه المجموعة وطريقة إجاباتهم النفسية هو التعصب واضحاً. كون النظرة إلى هذه الرموز استندت إلى التاريخ المجتمع وما يحمله من صراع وصدام عنيف مع الغرب المسيحي، الذي كان من بين أهداف القضاء على الإسلام، كعنصر أساسي في الهوية الجزائرية. (التمسيح / التبشير) هذه الأساليب والأفكار لما تستدعيها الذاكرة الترفع على مستوى المخيلة، فإنها تترك أثرها البليغ خاصة كونها متعلقة بالقدس (الدين). الذي تعتبر هدية في حد ذاته بالنسبة للعربي المسلم، كونه يجمع بين (الدين الإسلامي واللغة العربية في آن واحد) "

● المجموعة الثانية :

عبرت عن نظرتها لتلك الرموز على أنها مرتبطة بالديانة المسيحية الغربية، كما أنها جزء من تاريخ المجتمع الجزائري، يجب الاحتفاظ به للأجيال كونها أكبر وأصدق شاهد

على عداوة وترص الغرب المسيحي للإسلام والمسلمين ، من حيث تكررت العبارات:
" من تراث تاريخ الجزائر والاستعمار المسيحي " ، " تراث الجزائر في صراعها مع الغرب
المسيحي " ، " شواهد تاريخية " ... أو فيما معناه ثمان (08) مرات. مما يجعل في اعتقادنا
أن هذه المجموعة، وأن اختلفت مع المجموعة الأولى في نظرتها لمصير هذه الرموز ()
الاحتفاظ / مقابل إزالتها أو تحويلها). فإنها لا تختلف كثيرا على مستوى ما يكتنفه الخيال
لهذه الرموز من جانب التعصب.

● أما المجموعة الثالثة:

كانت نظرتها لتلك الرموز نظرة أكثر عقلانية، تأخذ بعين الإعتبار العواقب المترتبة
عن إزالة تلك الرموز، حيث لا يفهم من هذه النظرة على أن المجموعة كانت أكثر تسامحا
وأكثر انفتاحا على الديانة المسيحية الغربية، بل كانت حكمت وتمعنا في العواقب والأذى
الذي ينجر عن الإساءة لهذه الرموز من طرف الغرب للمساجد وقاعات الصلاة وكل ما
له علاقة بالإسلام بالبلدان الغربية المسيحية .

يقول المبحوث رقم (33) (ملتحي): "الإسلام والحمد لله في الغرب يعرف انتشارا
مذهلا عن طريق الجالية المسلمة خاصة، ما جعل الكنيسة مع اليهود يتمتعون من هذا
الانتشار ويروجون للإسلام فويا، ويتحينون كل الفرص وسلوكات المسلمين العدائية

والمسيئة للمسيحية ليجعلوا منها منابر للإساءة للإسلام والمسلمين، فكيف لنا أن نعطيهم تلك الفرصة "

والمراد من قول المبحوث أن لا نسيء لهذه الرموز حتى لا تكون المعاملة بالمثل في الغرب. ومعنى هذا أنه ليس روح التسامح الديني والانفتاح على المسيحية الذي كان وراء نظرة هذه المجموعة، بل الخوف على الدين الإسلامي ورموزه والمسلمين من المتشددين المسيحيين واليهود في الغرب نفسه وبالتالي تصبح هذه النظرة والموقف تجاه رموز المسيحية في المجتمع الجزائري لدى هذه المجموعة وليدة الخيال السياسي الديني لا غير .

النتيجة الجزئية المترتبة عن إجابات المبحوثين عن هذا السؤال: هو تكوين التصورات السلبية و المواقف المنحازة والمتعصبة كلما تعلق الأمر بالدين كونه مكون أساسي للهوية الجزائرية والطالب الجامعي كذلك.

❖ ما هي نظرتك للمؤسسات التالية؟

دور الحضانة - دور العجزة " المسنين " - دور الطفولة المسعفة والأهيات
العازبات:

وردت إجابات المبحوثين حول هذا السؤال محملة بالعديد من نقاط التلاقي والتباين، وذلك راجع بالدرجة الأولى إلى الزاوية التي نظر منها كل مبحوث لهذه المؤسسات، على العموم تم تقسيمنا لها "الإجابات" إلى مجموعتين وذلك حسب تقارب فحوى الإجابات:

أ) دور الحضانة: وإن كانت النظرة إلى هذه المؤسسات إيجابية عموماً، إلا أننا لا حضنا نوعاً من التباين، فهناك من المبحوثين من اعتبرها مؤسسات قد تلعب أدواراً متعددة إلى جانب الأسرة. "مكملة في جانب التنشئة" خاصة إذا كانت تتوفر على الوسائل المادية والبشرية اللازمة والمؤهلة "وسائل الترفيه، برامج تربوية هادفة، مربين مختصين...." كما أنها تقدم خدمة للأسر التي النساء بها يعملن طوال اليوم، مع إشارتهم، إلى هذه المؤسسات على أنها دخيلة على المجتمع الجزائري، كون المرأة الجزائرية سابقاً، كانت مأكثة في البيت للعب مثل هذه الأدوار، يقول المبحوث رقم (09) "متزوج" زمان كانوا يطلقون على المرأة اسم "الدار"، مثل راني مع الدار "أي مع الزوجة" "الدر راهي مريضة" بمعنى الزوجة مريضة"،...

حتى بعض النساء اللاتي كن يعملن خارج البيت "موظفات مثلاً" في الماضي كن يضعن أطفالهن الصغار عند الأقارب "أمهاتهن أو أمهات أزواجهن مثلاً" أو عند الجارة"... أما الآن وحسب أغلب المبحوثات "الإناث" أصبحت النساء تفضل دور

الحضانة، لتفادي الأقارب والجيران، كون علاقة الجيرة والأقارب لم تبق مثل ما كانت عليه في السابق، " إشارة إلى تغيير القيم الإجتماعية والثقافية التي تربط الأسرة بعائلاتها وجيرانها " النزعة الاستقلالية" هذه الممارسات التي كنا نسمع عنها في الغرب في السابق تقول الباحثة رقم (35) " دار الحضانة هي بمثابة حل للنساء العاملات، كما أنها تعتبر موضة بالنسبة للنساء الماكثات في البيوت". ففي هذا التصريح أكثر من معنى، كون المرأة الجزائرية في الوقت الراهن، أصبحت تتطلع إلى عيش حياة أكثر حرية واستقلالية، وهي حسب ما لمسناه من بعض المبحوثات خاصة، تميل إلى تقليد المرأة الغربية في حياتها اليومية سواء كان ذلك الميل عن وعي أو دون وعي " تقلد المرأة الغربية من دون أن تدرك ذلك التقليد" مثل رغبتها في سكن خاص والاستقلالية عن الأقارب، وحتى في شرائها لوازم البيت وكيفية ترتيبها... ناهيك عن تقليد المرأة الغربية في العديد من السلوكات سواء داخل البيت أو خارجه... وعلى العموم، تم تسجيلنا تقبل المبحوثين و استحسانهم لهذه المؤسسات " دور الحضانة" رغم إقرارهم على أنها مؤسسات دخيلة على المجتمع الجزائري، وذات أصل غربي.

ففي اعتقادنا، إن خروج المرأة الجزائرية المكثف للعمل كموظفة والذي كان أحد عوامل ظهور " دور الحضانة" يعكس في أحد جوانبه، التغيرات الطارئة على المجتمع والمرافقة لعملية التنمية التي دخلها غداة الاستقلال، هذا التغيير الذي مس أدوار

البيانات الاجتماعية " التغيير الإجتماعي وما رافقه من تغيير ثقافي " والذي يبدو واضحاً على تلك البنيات، ومن بينها الأسرة الحالية، التي أصبحت تعكس أوجهة " التغيير " بنوعيه الكمي والكيفي، إذا ما قورنت مع الأسرة الجزائرية سابقاً.

أصبحت الأسرة الجزائرية الحالية. تراهن على تحسين دخلها المادي، سواء كان ذلك الرهان تحت ضغوط إقتصادية " الدخل الضعيف، البطالة، ارتفاع الاسعار.. او بغية تأمين الدخل الكافي لتلبية الاستهلاك الكمي و التفاخري " التباهي " المرتكز على المستحدث من المنتج التكنولوجي على شاكلة النمط الغربي ...

هذا جانب من التغيرات الاجتماعية التي أصبحت تحدث بوتيرة أسرع " مدّة زمنية قصيرة " التي تسببت في ظهور صراع بين الأجيال جيل كبار السن⁽¹⁾ " شيوخ " الذين يمثلون عموماً النزعة المحافظة على القيم والعادات والتقاليد الأصلية للمجتمع، والجيل الجديد الذي يرى في بعض تلك القيم والتقاليد...عبارة عن موروث تقليدي بالي ووجب تجاوزه لمسايرة العصر.

هذا ما لاحظناه مع الطلبة المبحوثين عموماً. كون نظرتهم تجاه الكثير من التغيرات الاجتماعية والثقافية الحاصلة بالمجتمع الجزائري سواء من الداخل أو من الخارج " الاتصال بالغرب " لقيت القابلية وحتى الاستحسان مثل دور الحضارة، عكس بعض المؤسسات

¹ عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكالات.... من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت 2006، ص.205.

والظواهر الاجتماعية الأخرى التي ترتبت عن عامل التغير والتي كانت لها علاقة صلبة مع الجانب العقائدي خاصة وبعض القيم المتجذرة لدى المواطن الجزائري مثل: " دور المسنين والطفولة المسعفة والأمهات العازبات التي أظهروا اتجاهها لما يأتي لاحقا، وهذا راجع في اعتقادنا، إلى كون المبحوثين ينتمون إلى العقود الثلاثة الأخيرة في غالبيتهم، بمعنى أنهم ينتمون إلى جيل جديد له من الخصائص والمميزات " الانفتاح " عن الأجيال السابقة حيث لاحظنا كذلك أن متغير السن والجنس لدى العينة لم يحولا دون تقارب النظرة.

(ب) فيما يتعلق بباقي المؤسسات " دور العجزة والطفولة المسعفة والأمهات العازبات " كانت نظرة المبحوثين مغايرة عما سبق، إذ عبّر جل المبحوثين بالسلب " نظرة سلبية " تجاهها وذلك لإعتبارين رئيسيين:

الإعتبار الأول: كونها من المؤسسات ذات بعد سلبي " دخيلة على المجتمع الجزائري " وذات أصل غربي لا تتماشى وقيمته الثقافية والاجتماعية والعقائدية .

الإعتبار الثاني: كون هذه المؤسسات تساهم وتشجع على ضرب واخلخلة تماسك الأسرة الجزائرية ومن خلالها المجتمع بشكل عام، لما أشاروا إليه من أسباب كضعف الوازع الديني بالدرجة الأولى الذي أرجعوه إلى دور المؤسسات التنشئة الاجتماعية "والأسرة، مؤسسات التعليم، المساجد..." الذي أصبح غير فعال تجاه ما تقتضيه هوية الأمة الجزائرية، مقارنة مع السابق حسب تصريحاتهم، حيث تضمنت إجابات المبحوثين

عموما إشارتهم إلى خطورة إيجاد مثل هذه المؤسسات ومدى مساهمتها في اختلال معايير الاجتماعية للمجتمع كونها " المعايير الاجتماعية" الأطر المرجعية لتحديد السلوكات الواجب إتباعها في المجتمع والمتمثلة في كل من الأعراف، التعاليم الدينية، القيم الأخلاقية، والتقاليد الاجتماعية المحبّذة، القوانين، النظم والقيم الاجتماعية المستحسنة في بيئة اجتماعية معينة⁽¹⁾. وبعبارة أخرى تعد المعايير الاجتماعية أحد الوسائل الضبط الاجتماعي لدورها الموجه بالسلوك الفردي والجماعي في أي مجتمع وهي تختلف من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى...

بمعنى، أن هذه المؤسسات، إذا وجدت في البلدان الغربية فإنها لا تتعارض ونظمها ومعاييرها الاجتماعية، كون هذه المجتمعات تأخذ الفكر الفردي وحرية التملك التي أصبح المواطن الغربي يرى في نفسه المالك الوحيد لجسده وله الحرية التامة في التصرف فيه، مما يؤدي إلى " زينة" والانحلال الخلقي... كما أنّ استقلالية الفرد الغربي عن العائلة في سن مبكر " ثمانية عشرة سنة ينجم عنها البرودة العاطفية تجاه الأسرة.

أشار الباحثون من خلال إجاباتهم، إلى تراجع بعض القيم الثقافية للمجتمع الجزائري، إن لم نقل إختفاء بعضها الآخر أحيانا، لتعوض بأخرى " قيم " دخيلة والتي تكون غريبة في الغالب وذلك لعدم قدرتها على المقاومة والصمود أمام ما يحصل من تغيير

¹ - عبد المجيد لبصير: موسوعة علم الاجتماع، ومفاهيم في السياسة والاقتصاد والثقافة العامة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر سنة 2010، ص 422.

إجتماعي ثقافي "عنيف" / سريع" بالمجتمع الجزائري الحديث المرتبط بالحدثة الغربية ولو ظاهريا "سطحيا" وما ينجم عنه من تغير ثقافي. وما يتسبب فيه من تغير في الأدوار وتفتت إجتماعي، الذي أصبح واضح المعالم أحيانا إشارة منهم إلى مثل هذه المؤسسات " دور المسنين/ دور الطفولة المسعفة والأمهات العازبات" التي أصبحت مؤوى لشريحة المسنين وما ينجر عن الإنحراف الخلقى من أطفال غير شرعيين وأمّهات تخلّت عنهم الأسر عقابا لهن أو خوفا "حفاظ على سمعة الأسرة من نظرة المجتمع".

فالمسن ظلّ في العائلة الجزائرية والمجتمع عامة يحظى بالمكانة المحترمة ودور فعال " مصدر المشورة والتوجيه والطاعة والتقدير" التي أهلت له خبرته وتجربته له في الحياة من جهة، وما تنص عليه التعاليم الإسلامية من جهة أخرى.

فالأسرة التي بها مسن "الوالدان"، "الأجداد"، ... فيها من البركة في نظر الجزائري، عكس الوقت الحالي حسب جل المبحوثين، أين أصبحت بعض العائلات تنظر لمسن أو المسنة المتواجدين ضمنها نظرة تخلوا من العطف، على أنهم بلغوا من العمر ما لا يسمح لهم بقيام بأي دور بل أكثر من ذلك هناك من العائلات التي ترى فيهم عالة عليها...، وهذا لا يتوافق مع القيم الأصيلة للمجتمع الجزائري، إنما هو تغير في الذهنيات وتقمص بما هو للغير من سلوكات وقيم اجتماعية ثقافية والذي هو الغرب..

من النتائج الجزئية التي تم الوقوف عليها من هذا السؤال :

أن المبحوثين يبدون في تعارض " تناقض " فمن جهة يظهرون إستحسانهم لبعض القيم والسلوكات الوافدة من الغرب، ومن جهة أخرى يظهرون عدم رضاهم ولا تقبلهم لبعض التصرفات والممارسات والمؤسسات التي يرونها ذات الأصل الغربي.

في الواقع لا يمكن اعتباره تعارضا بمعنى المفهوم، إنما هو وقع اشتغال الخيلة التي استندت في عملية استدعاء الترسبات القابعة في أعماق الذاكرة (الأفكار السابقة) على ما هو مرتبط بالجانب العقائدي للمبحوثين على حساب جوانب أخرى وذلك وفق عملية انتقائية لا غير كون هذه المؤسسات ليست معهودة بالمجتمع الجزائري.

هل سبق لك وأن فكرت في الهجرة إلى الغرب؟

أجابت المجموعة الأولى والتي تعتبر الغالبية والمتكونة من طلبة وطالبات أغلبهم ذكروا بالإيجاب " نعم " وأن فكرة الهجرة إلى الغرب، أصبحت من قناعاتهم وأهدافهم المستقبلية، وكلهم اعتقاد أنها " الهجرة " تمثل لهم مفاتيح النجاح لحياتهم، ومنهم من أشار إلى الإقتداء ببعض الأقارب أو الأصدقاء أو أبناء الجيران الذين حققوا نجاحات كبيرة بعد هجرتهم للبلدان الغربية...

يقول المبحوث رقم (11) "أعرف ابن جارنا الذي كان "شومار"⁽¹⁾ وبعد فترة وجيزة من هجرته إلى فرنسا أصبح "لبّاس بيه"⁽²⁾، قام بمشروع هنا بتلمسان مع أخيه ولا زال في المهجر".

كما يقول المبحوث رقم (17) "أسعى للإلتحاق بالأقارب المتواجدين بفرنسا، وذلك عن طريق الزواج "بنت خالي" التي أنا على اتصال بها". ويقول آخر "أعرف الكثير من الشباب الذين التحقوا بالدول الغربية، والآن هم في أحسن حال عما كانوا عليه هنا سابقا".

هذه بعض من النماذج الكثيرة التي صرّحت بها هذه المجموعة الملاحظ أن غالبيتهم فكروا في الهجرة إلى فرنسا كبلد أوروبي غربي، وذلك راجع في اعتقادنا للعلاقات التاريخية بين البلدين "الإستعمار، وهجرة يد العاملة الجزائرية إلى هذا البلد منذ عقود مما سمح للعائلات الجزائرية أن يكون لها أقارب بهذا البلد الغربي خاصة، الملاحظ كذلك، أن هذه المجموعة أصبحت تنظر للغرب كمعيار للنجاح وتحقيق الأحلام .

فيما صرّحت مجموعة ثانية وهي الأغلبية "ذكورا وإناثا" أنّ فكرة الهجرة إلى البلدان الغربية لم تمثل لهم انشغالا في الوقت الراهن، كونهم لازالوا في المشوار الدراسي الجامعي،

¹ - شومار: بمعنى عاقل عن العمل، باللغة الفرنسية EN CHAUMAGE .

² - لباس بيه: المراد بها الإشارة إلى وضعه الإقتصادي الحسن.

لكن إذا أتيحت لهم الفرصة، مثل منحة الدراسة بالدول الغربية أو غيرها من الفرص، فإنهم لا يترددون عن ذلك، مع العلم أنه كان ضمن هذه المجموعة حتى المتزوجين والموظفين من الطلبة المبحوثين... هذا كله يؤكد مدى تمثلات المبحوثين الإيجابية للغرب خاصة إذا تعلق الأمر بالمستقبل، كون لمبحوثين في الطور النهائي من المشوار الدراسي " على مقربة من التخرج " فهم ينظرون إلى الغرب طبقا لتطلعاتهم المستقبلية، بعد حصولهم على شهادات جامعية التي قضوا سنوات طوال من حياتهم للتحضير لها، ودخولهم سوق الشغل، فهل بإمكان هذه الأخيرة توفير لهم مناصب شغل؟ وهم على دراية " شهود عيان " على ما تعانيه فئة الشباب المتخرجة من الجامعات والشباب بشكل عام من ظواهر اجتماعية مثل: البطالة وبيروقراطية إدارية والمحسوبية، التي بإمكانها أن تقف عائقا في تجسيد أفكارهم وتحقيق أحلامهم.

أما المجموعة الثالثة والصغيرة العدد وأكثرها مبحوثات ، صرّحت أنها لم تفكر يوما ما في الهجرة إلى البلدان الغربية وكلها تفاؤل في بناء مستقبلها داخل الجزائر " فكرة الهجرة إلى الغرب مستبعدة " حتى أن هناك من صرّح لنا أنه بدأ في مزاوله نشاط لصالحه " تجارة " موازات مع الدراسة الجامعية وصرّحت المبحوثة رقم x " أن فرص الشغل الآن بالوطن، أصبحت ممكنة ولا تطرح بالحدة التي كانت عليها في الأعوام الماضية التي لم يكن أمام الشاب بشكل عام إلا التفكير في الهجرة بأنواعها إلى البلدان

الغربية، مشيرة إلى مختلف آليات التشغيل المستحدثة التي اعتمدها السلطة الجزائرية
مثل ENSEJ+ ANEM+CNAC....

مما سبق يتضح لنا أنّ نظرة المبحوثين ومن خلالهم الشباب للغرب نابعة من
نظرتهم إلى محيط إنتمائهم وما يعكسه من أوضاع مختلفة ذات الإرتباط بمستقبل
المبحوث، الذي أصبح يمثل له الشغل هاجسا مستقبليا، إلى الجانب تطلعه إلى
الاستفادة من منجزات العصر التي تبدو واضحة لدى البلدان الغربية وعلى مواطنيها.

❖ في نظرك، ما أهم القنوات الفضائية التي يقبل الطلبة على مشاهدتها ولماذا؟

اتضح لنا في البداية، أنّ غالبية أسر المبحوثين تملك أكثر من جهاز " التلفاز "
حيث وصل عددها لدى بعض الأسر "familles nombreuses" إلى خمسة أجهزة،
إضافة إلى تعدد أجهزة الاستقبال الفضائي من حيث العدد والنوع والتي غلب عليها
النوعان "أجهزة استقبال الفضائي الفردي التماثلي analogique" والاستقبال الفضائي
الرقمي numérique وذلك راجع حسب ما أدلى به المبحوثين إما لتحبيذ الأفراد التفرّج
على أفراد، أو لكونهم ينامون فرادى " كل فرد وغرفته الخاصة عند بعض الأسر،...
وهذا نعتبر من جهتنا من المؤشرات التي تحيلنا إلى بعض التغيرات الإجتماعية الثقافية
وحتى في الذهنية التي حلّت بالأسرة الجزائرية مقارنة مع وقت سابق، غداة الاستقلال

وحتى بداية الثمانينات من القرن الماضي أين كانت الأسرة الجزائرية تجتمع في الغرفة التي بها جهاز التلفاز الوحيد لتستهلك ما تقدمه التلفزة الجزائرية من برامج ثم تخلد الأسرة للنوم

على الرغم من تباين إجابات المبحوثين وتفاوتها من حيث تحديد المادة الإعلامية والمواضيع التي تكون عادة وراء إستقطاب الطلبة للمشاهدة، إلا أن القنوات الفضائية الغربية مثلت الوجهة الأولى للمشاهدة وبفارق كبير.

أما من حيث مادة الإستقطاب الإعلامية، فكانت متنوعة، مثلت البرامج الرياضية بمختلف أنواعها أفضل مادة، لتليها مختلف أنواع الأفلام والبرامج من روبرطاجات علمية وتحقيقات والإشهار والأخبار هذا بالنسبة للذكور.

أما إجابات المبحوثات "الطالبات" ضمن هذه المجموعة، دلت على أن إقبالهن على مشاهدة القنوات الفضائية الغربية بالدرجة الأولى، يمكن جمعها على الترتيب الآتي:

متابعة الأفلام الرومانسية.

متابعة الأفلام التي يمثل فيها المفضلين لديهم من الممثلين الغربيين "نجومهم" أدوارا.

متابعة الحصص ذات الطابع الإشهاري والمتعلقة بالموضة .

كما ورد ذكر بعض القنوات الفضائية العربية ضمن مجموع القنوات المفضلة، مثل الفضائيات المهمة بطولات كرة القدم الغربية مثل "الجزيرة الرياضية" لدى الذكور وأخرى تتميز ببرامجها التي تروق أذواق الشباب مثل القنوات اللبنانية والمصرية والمغربية التي تهتم بالمنوعات الغنائية وخاصة حصة "star acadmis" والمسلسلات المدبلجة خاصة "التركية" منها إلى جانب تلك الحصص المهمة بموضة تأثيث المنازل على الطريقة العصرية والطبخ المنزلي وحصص تتعلق بخدمة المرأة "التجميل والحلاقة النسوية" وذلك بالنسبة للطالبات على وجه الخصوص، مع أنّ هذه الخدمات تتماشى والموضة.

هناك من المبحوثات من ذكرت تتبعها للقناة المغربية: "حصة السيّدة شميسة" المتخصصة في الطبخ على الطريقة المغربية⁽¹⁾، كما ورد ذكر بعض القنوات الفضائية المتخصصة في المجال الديني مثل "قناة إقرأ" التي تكرّرت عدة مرّات^{2*}.

يتضح مما سبق مدى تفضيل القنوات الفضائية الغربية للمتابعة بما تسمح به من اطلاع عمّا جدّ من معلومات في العالم وفي شتى المجالات كما تسمح لهم بتتبع آخر صيحات الموضة المتعلقة بالألبسة والأكسسوارات وطرق العيش والتسلي لدى الشباب الغربي ممّا يسمح لهم بمسايرة العصر.

¹ - تكرّرت مع سبعة طالبات منهن المتزوجات .

² - * وردت الإشارة إلى هذه القناة عند فئة الملتزمين والمتحجبات على وجه الخصوص.

يقول المبحوث رقم "14" إنّ شباب الجزائر أكثر الشباب العربي مسير للموضة، وذلك بفضل القنوات الفضائية الغربية والانترنت. كما صرّح البعض أنّ الفضائيات الغربية تزوّدهم بالكثير من المعلومات، "الأخبار مثلا" والتي تكون في حينها عكس القنوات الجزائرية. يقول المبحوث "رقم 18" المتزوّج "حتى الأخبار الخاصة بالوطن - الجزائر- أستقيها من قناة France 24 لأنها تكون وقت الحدث" ويضيف "الكثير من الأخبار عن الجزائر التي نطلّع عليها عبر القنوات الأجنبية France 24 لا تتطرق إليها نشرات الأخبار القنوات الوطنية الجزائرية إلا بعد أيام". ويقول آخر " إنّ الأخبار الدولية التي تنشرها القنوات الوطنية تكون مستقاة من القنوات الغربية" ومن الملاحظات أن هناك من المبحوثين الذين لا يكثرثون لما تقدّمه القنوات الجزائرية ولا يعيرونها أيّ اهتمام، كما يقول المبحوث "رقم 03"

وتعد هذه الظاهرة مؤشرا على تطلعات عينة البحث للغرب وثقافته والانبهار به والرغبة في اكتشافه ولو عبر الوسائط الإعلامية. كما يفسر- قيمة الأثر الإعلامي الغربي الوافد لدى شريحة الطلاب بوجه خاص والشباب بوجه عام، مما يفسر جملة السلوكات والقيم والمظاهر والظواهر ذات الصلة بالثقافة الغربية الممارسة في حياتهم اليومية. والتي تتعارض والقيم الثقافية الأصلية للمجتمع الجزائري، هذه الأخيرة والتي عادة ما تكون ذات مصدر الدين الإسلامي، كما يفسر- عزوف هذه الفئة عن القنوات الوطنية وما

تقدمه من برامج لا ترق إلى مستوى جذب هذه الشريحة، كونها في اعتقادنا تفتقد إلى سياسة إعلامية مدروسة تأخذ بعين الإعتبار الحفاظ على الشباب كمشاهد ومستهلك دائم، إضافة إلى عدم امتلاكها القدرة التنافسية مع القنوات الفضائية الغربية على كافة المستويات. "الإخراج، طريقة العرض،.....

والنتيجة في هذه الحالة، يصبح الطالب المشاهد في اتصال شبه دائم مع ثقافة أجنبية "غربية" مما يدفع به شعوريا أولا شعوريا تحت وطأة التأثير يأخذ ببعض الأفكار وبعض القيم والسلوكات الغربية، التي تزداد عددا وترسخا مع عامل الزمن على حساب ما هو أصلي "أن التعامل المستمر مع المستورد يشوه تدريجيا الثقافة المحلية"⁽¹⁾. كما عبر عنه البعض بالتلوث الثقافي.

هناك انتشار لبعض العادات والتقاليد الغربية في المجتمع الجزائري كيف تنظر لذلك؟

سجلنا إجماع لدى المبحوثين حول ظاهرة إنتشار لبعض العادات والتقاليد في المجتمع الجزائري، كما سجلنا تباينا في طريقة النظرة للظاهرة بشكل عام.

الغالبية تنظر لتلك العادات المنتشرة، على أنها دخيلة خاصة بالمجتمعات الغربية، تجد من الإقبال المتزايد في الأوساط الإجتماعية وخاصة لدى فئة الشباب ومن كلا

¹ - بشرى جميل الراوي: متطلبات الإبداع الإعلامي العربي في البرامج، مجلة الباحث الإعلامي، العدد 8 آذار 2010. ص.

الجنسين، كما اعتبروا الظاهرة نتيجة إفراز عملية إنفتاح المجتمع الجزائري على العالم الغربي، والإنهار بكل ما هو غربي، كما أشاروا للدور الذي يلعبه الإعلام الوافد "الغرب" في نشر وترسيخ هذه العادات والتقاليد.

رغم الوعي المسجل، على مستوى مرجعية هذه العادات والتقاليد لدى الباحثين، إلا أن الغالبية تعتبر من "الممارسين" وذلك بوعي منهم أو بدون وعي"، بمعنى أن هناك من العادات والتقاليد الغربية التي أصبحت ضمن الثقافة المحلية، نتيجة التكرار. هناك بعض الباحثين "وهم قلة" أعربوا عن معارضتهم لبعض هذه العادات، خاصة تلك التي تحمل دلالة رمزية دينية مغايرة للدين الإسلامي "مثل الاحتفال بعيد رأس السنة الميلادية" وما يصاحب الإحتفال من "شرب الخمر، الإختلاط..." التي تتعارض مع ثقافتنا وقيمنا وأعرافنا... كما أنهم لا يمانعون بعض التقاليد التي لا تتعارض والقيم الإجتماعية.

الملاحظ: أن انتشار العديد من العادات والتقاليد الغربية في المجتمع الجزائري، كما في بعض المجتمعات العربية بشكل عام أصبح جليا، وفي إعتقادنا أن هذا الإنتشار مرده للعوامل التي أشارت إليها الباحثين، إلى ضعف الوازع الديني.

فأصبح الشاب الجزائري يرى في تقليد ثقافة الغرب وقيمه من التحضر- والعصرنة، بمعنى آخر أن الثقافة الغربية "قيم، عادات، تقاليد، سلوكيات،...." أصبحت معيار للتحضر. وأما التثبت بما هو خاص محلي يعتبر تقليدي وهذا ما يعبر عنه بثقافة التغريب، وما تسبب في خلخلة الأنساق القيمة الثقافية الإجتماعية للمجتمع الجزائري، وكان وراء ظهور العديد من المشاكل الإجتماعية.

بصفتك طالب (ة) جامعي (ة)، إذا استفدت من منحة لمواصلة دراستك الجامعية بالخارج، وأعطيت لك حرية الإختيار البلد (الوجهة)، ماهو البلد الذي تختاره؟ ولماذا؟

جاءت عملية إختيار المبحوثين الإقتراضية ومبرراتها على المنوال التالي:

البلدان المختارة	التكرار	المبررات
فرنسا	07	بلد العلم / الجامعات العريقة / الإمكانيات / دراسة وسياحة / قيمة الشهادة المحصل عليها/ بلد الجن والملائكة / إحتكاك بالطلبة من مختلف الجنسيات.
الولايات المتحدة	06	الإحتكاك بالطلبة لمختلف الجنسيات / التعرف على العالم الحر.

ألمانيا	05	التعرّف على المجتمع الألماني إلى جانب الدراسة، إمكانية العمل.
الإمارات العربية	05	الدراسة بجامعة راقية، التعرف على النهضة العمرانية والإقتصادية التي تعرفها الإمارات.
إنجلترا	05	تعلم اللغة الإنجليزية، التمكن من اللغة الإنجليزية، الجامعات الراقية، الثقافة الإنجليزية، إمكانية العمل.
سويسرا	04	لما يعرف به هذا البلد من إستقرار وتقدّم، البلد الذي به جامعات راقية، سياحة.
كندا	04	الدراسة، إمكانية التوظيف في هذا البلد.
السعودية	02	الدراسة، القيام بمناسك الحج، العمرة، بلد مبارك.
اليابان	02	بلد التكنولوجيا، الإزدهار الإقتصادي.
جنوب إفريقيا	02	الدراسة، النهضة المسجلة بهذا البلد، السياحة.
إيطاليا	02	الدراسة، معالم حضارية، سياحة، إمكانية العمل.
لبنان	02	وجود أقارب، سياحة، حب لهذا البلد.

تركيا	02	بلد المعالم الحضارية، السياحة،
فلسطين	01	الدراسة مع أشقائنا الفلسطينيين، محبة هذا البلد. التعرف على معاناة هذا الشعب.
مصر	01	جامعات معروفة على الوطن العربي، سياحة.
المجموع	50	15
ع		

ملاحظة: تم اختيار المبررات الأكثر تكرارا.

إنّ قراءتنا لمعطيات الكيفية (إجابات المبحوثين)، والكمية (المرتبطة بهذا السؤال)

جعلتنا نخلص ببعض النتائج الجزئية التالية:

إنّ النسبة الكبيرة من عينة البحث إختارت الدول الغربية كوجهة لمتابعة الدراسة،

هذا من المؤشرات ذات الدلالة الأولية التي بإمكاننا فهمها عند مقارنتها بما هو كفي.

أما من حيث الكيف: سجلنا ما للمبحوثين من إنجذاب للغرب على بقية الدول،

وذلك لما هو عالق في الأذهان "بأخيلة الطلبة للتصورات منمطة وأفكار مسبقة عن تلك

البلدان الغربية المختارة" والتي هي رائجة في أوساط الشباب الجزائري عامة على العموم،

هذا و إن سبق لبعض المبحوثين زيارة بعض البلدان الغربية " لفترات قصيرة لا تسمح لهم لإكتساب المعرفة اللازمة لطلق الأحكام، كما سجلنا مكانة التطلّعات المستقبلية للعيّنة في عملية الإختيار التي إختارنا سرد بعض العبارات ذات الدلالة منها:

دراسة وسياحة.

إمكانية التوظيف "البقاء بالغرب".

إكتشاف المعالم الحضارية.

التعرف على النهضة العمرانية والإقتصادية التي تعرفها هذه البلدان.

الجامعات الراقية "نوعية التعليم".

قيمة الشهادات الممنوحة.

ملاحظة: جاءت الدول العربية والإسلامية في ذيل الترتيب عموما ماعدا دولة

الإمارات العربية التي كانت من بين الدول المختارة (05 تكرارات) وفي إعتقادنا وحسب

التصريحات التي تعلّقت بهذا البلد رجعت إلى التعرف على النهضة العمرانية والإقتصادية

التي تعرفها هذه الدولة، والتي أصبحت نموذج للحدثة الغربية في الوطن العربي. وعليه

يبقى عامل الإنجذاب للحدثة الغربية هو الدافع الرئيسي.

يلاحظ إقبال الشباب الجزائري على الموضة "لباس، قصات شعر، موسيقى..."

في إعتقادك هل هذا تطّلع وإفتنان بكل ما هو جديد؟ أم تقليد للغرب؟ كيف؟

جميع الباحثين يتفقون على أنّ هوس الشباب والشابات وحتى الكبار بالموضة هو تقليدا للغرب، كون نوع الموضة الطاغية في يومياتنا، ذات مرجعية غربية كما صرّح العديد منهم أنّها إقتداء بالغربيين سواء كان ذلك عن وعي أو بدونه. كون جلّ تلك الأساليب والسلوكات والمظاهر والرموز المربوطة بالموضة لا تتماشى وثقافتنا وقيمنا الحضارية الدينية.

كما أنّ هناك من أرجع تعاطي الموضة ذات الإرتباط بالثقافة الغربية إلى إخلال الأسرة الجزائرية "الوالدين" بدورها في التنشئة، وهناك من أرجعها إلى ضعف الوازع الديني لدى شبابنا، ومن أرجعها إلى مفعول الإعلام الغربي الذي جعل من المواطن الجزائري والعربي بشكل عام مجرّد مستهلك للمنتوجات الغربية وكل ما له علاقة بالغرب، وفي بعض الأحيان حتى على حساب ما هو هوياتي. هناك من أشار إلى التبعية للثقافة الغربية التي أصبحت تهدّد كل ما هو محليّ .

هناك من الباحثين من ساوى بين الموضة والتقليد، مشيرا إلى أثرهما حتى على الموروث المادي والثقافي الجزائري، مثل ما قالت الباحثة (رقم 48) أنّ التجديد بالطريقة الغربية "موضة" أصبح من متطلبات الوقت الراهن مثل ما نلاحظه على

مستوى اللباس التقليدي، الذي أصبح يخضع إلى رتوشات غربية حتى يتم الحفاظ عليه. هناك من أشار إلى التعديلات التي تقوم بها بعض الأسر على مستوى المنازل من تأثيث، وتعديلات " مطبخ...." على الطريقة الغربية.

كل ما تمّ إستنتاجه من خلال الإجابات التي كانت غنية من حيث الأمثلة، أنّ الغرب أصبح وجهة لتغذية مخيال المواطن الجزائري في الوقت الراهن، كما أصبحت له "الغرب" القدرة على توجيه رغبات وسلوكات وحتى تصورات الفرد الجزائري.

ب- تحليل النتائج:

الفرضية الأولى: " تعود تمثلات الغرب في الخيال الثقافي الاجتماعي للطالب الجامعي الجزائري إلى ثوابت هويته الوطنية".

إنّ قراءتنا لما تعلّق بالفرضية الأولى من أسئلة، أفضت إلى أنّ الغرب مثل الآخر النوعي ضمن بقية العوالم كونه إستحود على أهم مساحة وأوسعها من "آخر" الذات الجزائرية الفردية كانت أو الجماعية وذلك بحكم التفاعلات والدينامية المتعدّدة المجالات التي ضلّت تشكّل علاقتنا معه، إذ أضحى دائم الحضور فينا، في تصرفاتنا وحاجاتنا الآنية وتطلعاتنا المستقبلية المادية منها والمعنوية.

بمعنى أنّ الغرب المتخيل كما تقدّم من خلال نظرة الطلبة و تصوراتهم له، خضع لسلطة عوامل عدّة، يصعب الفصل بينها أحيانا، منها ما ارتبط بإملاءات الهوية الثقافية

الإجتماعية الجزائرية "الدين، التاريخ، اللغة، الإنتماء القومي العربي والحضاري بشكل عام... "وأخرى ارتبطت بالزمان "التغيرات المصاحبة للضرورة المجتمع".

في ما يخص تلك التي إرتبطت بمقومات الهوية:

الدين: كانت الصور والتصورات والمواقف تميل إلى السلب كلما تعلّق الأمر بالجانب العقائدي على أنه "الغرب" مخالفا عقائديا وحتى عدوا للدين الإسلامي، هذا رغم التغيرات الواضحة على بعض المبحوثين التي تتعارض وانتماءهم العقائدي "الدين الإسلامي". مما سجلناه عنهم على مستوى المظهر الخارجي "اللباس، سلوكات، موضة، لغة،...". مما يوحي بحضور الدين كمحدد للنظرة وتصورات الغرب "حضور ولو على مستوى اللاوعي في عملية تقديم الأحكام والمواقف على الغرب".

التاريخ: وإن كان التاريخ، يعدّ من مكّونات هوية الشعوب والجماعات لما يسهم به في إثراء الذاكرة الجماعية والفردية التي تستند إليها المخيلة في عملية بناء صورها الخيالية وتصوراتها الذهنية، فإننا سجّلنا ضمنا أثر مفعوله في إيجابيات المبحوثين لنظرتهم للغرب، إلا أنّ هذا الأثر "أثر التاريخ" ظلّ سطحيا وغاب في كثير من الإجابات.

مما يدفعنا للقول أنّ الطلبة الجامعيين بإعتبارهم شريحة من الشباب الجزائري، معرضين إلى تراخي مفعول التاريخ كعنصر- هوياتي في نظرتهم للمغايير، خاصة إذا كان هذا الأخير "الغرب" ذا علاقة عدائية لاتمائه. وهذا ما يستدعي إعادة النظر والإهتمام بكل المؤسسات ذات العلاقة بالتنشئة لتقوية حس الإرتباط بتاريخ المجتمع الجزائري.

ملاحظة: نظرا لما سجلناه من تقاطع بين الفرضية الأولى والثانية خاصة على المستوى الثقافي واللغوي فضلنا إدماجها ضمن تحليل الفرضية الثانية.

الفرضية الثانية: "تعود تمثلات الغرب في الخيال الثقافي الاجتماعي للطالب الجامعي الجزائري إلى جملة التغيرات الثقافية الإجتماعية التي يعرفها المجتمع الجزائري في الوقت الراهن".

أظهرت جملة الإجابات المرتبطة بالتغيرات الحاصلة في المجتمع الجزائري في الوقت الراهن في مختلف المستويات الثقافية، الفنية، الإجتماعية، الجمالية، المادية،... أثرها على مستوى نظرة الباحثين للغرب وبالتالي على التصورات والصور الخيالية، المصاحبة لعملية إستحضاره ذهنيا.

كون عينة البحث تمثل جزءا من شريحة الشباب التي تعيش مختلف التغيرات الكمية والكيفية المتسارعة التي يشهدها المجتمع الجزائري في الوقت الراهن، أصبحت تتأثر بمفعولها خاصة تلك التغيرات المرتبطة بعوامل خارجية وذات العلاقة بالعالم الغربي ثقافيا، حضاريا.

كما سجلنا تقاطعا بين هذه التغيرات والشخصية القاعدية للمبجوثين "الإنتماء"، مما جعل صورة الغرب تعرف تقاطعا مع الفرضية الأولى "الإنتماء الهوياتي"، بمعنى أنّ إجابات المبجوثين دلّت على أنّ هناك تجاذبات موضوعية كانت وراء عملية تمثلاتهم للغرب، إلّا أنّ هذه التجاذبات لم تكن على مسار خطي مستمر نابع من التربة نفسها "المجتمع

الجزائري". بل أظهرت قيمة العوامل التي أثرت في نظرة المبحوثين للغرب "والمتمثلة في الإعلام الغربي الوافد بشكل عام" والمرئي المسموع "الصوت والصورة، تلفزيون، أترنيت" على وجه الخصوص، مما جعل الغرب المتخيل يقدم لنا على شكل مجموعة صور مخيالية تفسر هوس الشباب وانجذابهم الكبير للغرب من جهة، وواقع هذه الشريحة وتطلعاتها المستقبلية من جهة أخرى.

● بناء على ما تم إستنتاجه على ضوء الفرضيتين، نخلص إلى القول أن نظرة المبحوثين للغرب أصبحت أكثر إيجابية عما كانت عليه في السابق لدى الأجيال السابقة التي كانت تركز على مكونات الهوية الجزائرية تماشياً والظروف التاريخية "إستعمار" والمعطيات الإجتماعية المرتبطة بها "الحرمان الإجتماعي، الثقافي، المادي،..." وهذا ما يؤشر لضغط التغيرات ذات المرجعية الغربية وأثرها على عملية بناء صورة الغرب .

● فإذا كانت النظرة للغرب مرتبطة جزئياً بمحددات هوياتية من الدين، الإنتماء القومي، التاريخ (الفرضية الأولى)، فإنها أكثر إرتباطاً بضغوطات وتطلعات الواقع المعاش للمبحوثين.



الخاتمة:

أنّ القراءة العامة لما توصلنا إليه من نتائج على ضوء الفرضيتين المتبنتين كإجابة أولية لإشكال دراستنا خلصت بنا إلى:

إنّ التغيرات السوسيو ثقافية، التي شهدتها ويشهدها المجتمع الجزائري، تغيرات لا ترجع في شموليتها إلى عملية التغير المصاحبة للسيرورة الطبيعية للمجتمع الجزائري في محيطه الجغرافي وإتنامه الحضاري، بل هناك تغيرات على مستويات عدّة⁽¹⁾ إجتماعية ثقافية فكرية وفنية... ذات المرجعية الثقافية⁽²⁾ الحضارية الغربية والتي أصبح لها مفعولها على هوية المواطن الجزائري عامة وفئة الطلاب الجامعيين كذلك.

ظهر مفعولها على مستوى النظرة والتصورات والمواقف وردود الأفعال الطلابية تجاه العالم الغربي كفضاء خارجي وللمواطن الغربي صاحب هذا الفضاء.

بمعنى آخر أنّ مجمل التغيرات الكمية والكيفية الحاصلة على المستوى الثقافي والإجتماعي و المرتبطة بالمجتمعات الغربية إلى جانب أخرى مستعارة نتيجة عوامل عدّة،

¹ - عوامل نفسية، القابلية النفسية، والهوس بكل ما هو غربي، عوامل إجتماعية تاريخية، التخلف، التخلف الإقتصادي، المادي، العلمي،....

² - لم يتم تكييفها مع منظومة القيم الثقافية...الوطنية لتصبح عامل قوة للثقافة المحلية مما كان وراء خلخلة النسخ الثقافي العام، وأدى إلى ظهور صراع بين جيل الشباب "الطلبة" وجيل الآباء والأجداد. والتباين واضح على مستوى التصورات والنظرة والأفكار والمواقف المتخذة تجاه الغرب.

كلها ظلّت تحتفظ بمرجعيتها الغربية داخل النسق الثقافي الاجتماعي العام، كما أصبحت تسهم في تشكيل ثقافة غربية دخيلة "ثقافة برّانية" في تنام مستمرٍ مما جعلنا نستنتج:

أن الطالب الجامعي أصبح لا ينظر للغرب بمنظار ثقافي إجتماعي جزائري خالص، إنما بمنظار ثقافي تشارك فيه الثقافة الغربية الدخيلة (تلوث ثقافي)، ما جعل من تلك التصورات والصور الخيالية والأفكار الناجمة عن هذا الأخير، تعرف إنحرافا مقارنة لتلك التي أفرزها الخيال الجمعي الجزائري المرتبط بالأجيال السابقة، التي نظرت للغرب وتعرّفت عليه في ظروف ومعطيات مغايرة، هذا ما أشرنا إليه في القسم النظري⁽¹⁾.

بمعنى أنّ الغرب المتخيل لدى عينة البحث "الطلبة" تجلّى في مجموعة صور خيالية، نكون مبالغين إن زعمنا تمكننا من تعينها تعينا كليا، كما قد نكون مبالغين أيضا إن كان إقرار من طرفنا على أننا حدّدنا جميع المرتكزات التي إستندت إليها أخيلة المبحوثين في عملية بنائها لجملة التصورات والصور التي أهدتنا غربا متخيلا، وهذا ليس تقصيرا من طرفنا في حق الموضوع، بقدر ما هو راجع لتشعبه وشساعة مجاله المرتبط بالخيال الذي أقرّت جميع الدراسات بصعوبة تعينه والقبض عليه لطبيعته الإنزياحية.

¹ - إرجع لنظرة الجزائري للغرب في فترة الإستعمار وما سبقه، وما ورد عن صورة الغرب في الثقافة الشعبية الجزائرية "الأمثال، الشعر،..."

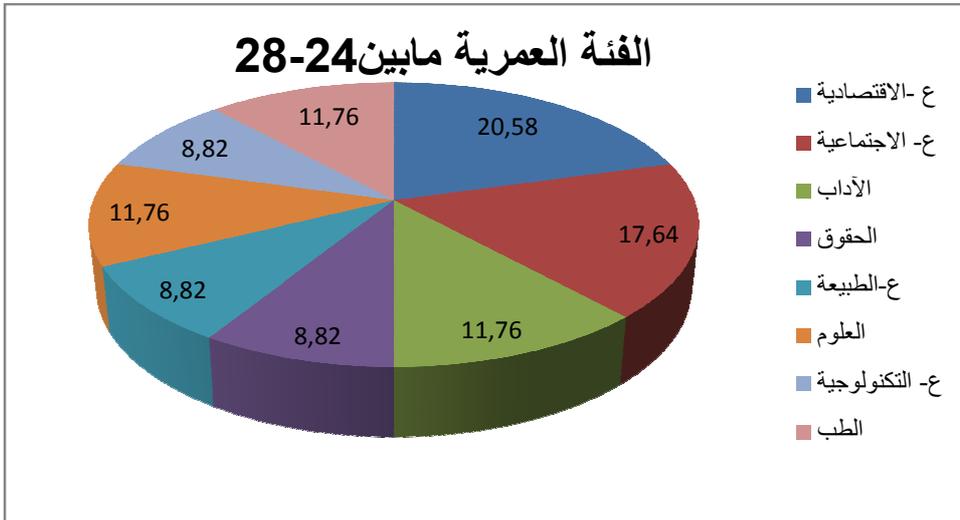
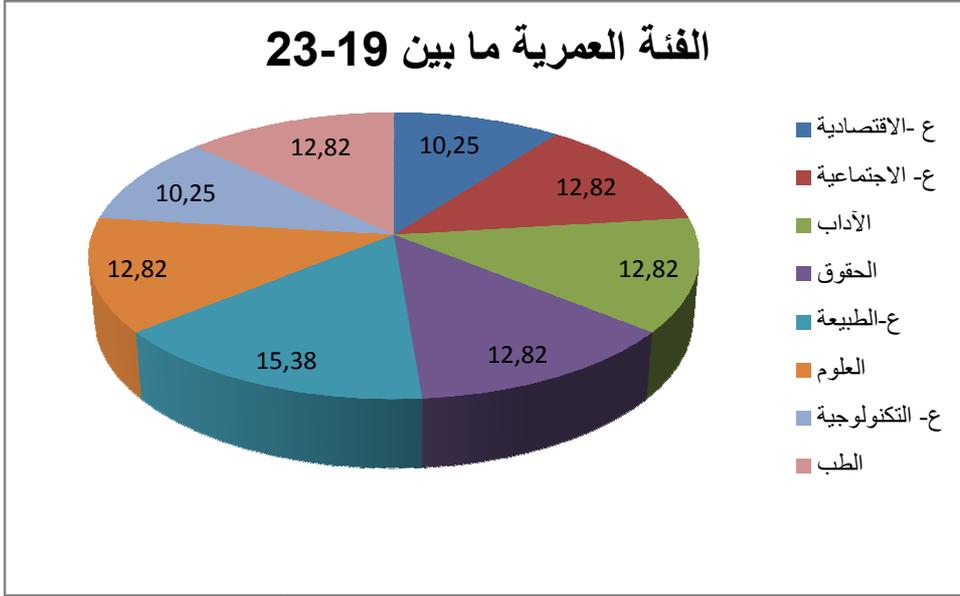
أخيرا نأمل أن نكون قد ساهمنا ولو بقدر يسير، إلى جانب بقية البحوث والدراسات التي خاضت غمار موضوع "الصورة والمخيال" ويكون عملنا هذا "الرسالة" إضافة معرفية إلى ما تحتويه مكتبات جامعتنا، كما تبقى تحدونا الرغبة في مواصلة طرقه مستقبلا من زوايا أخرى إن شاء الله.

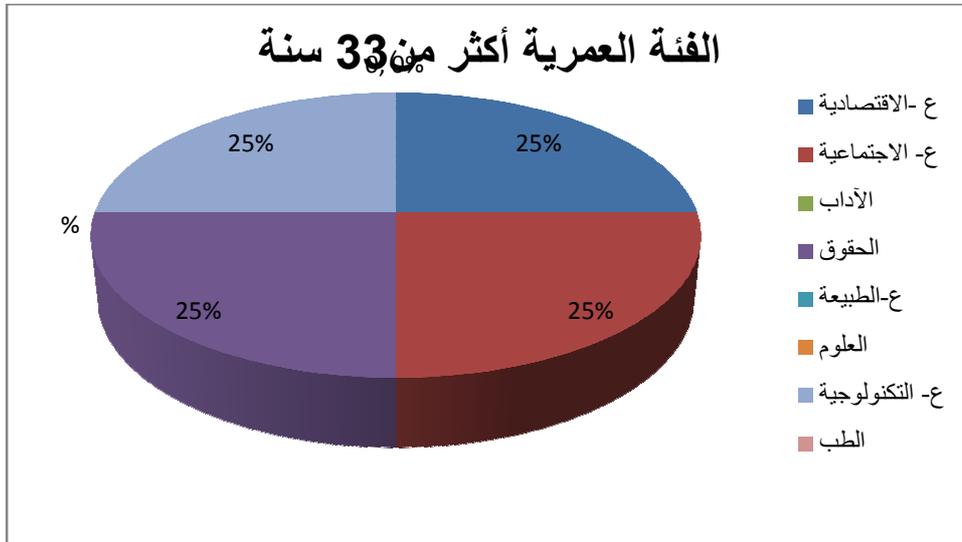
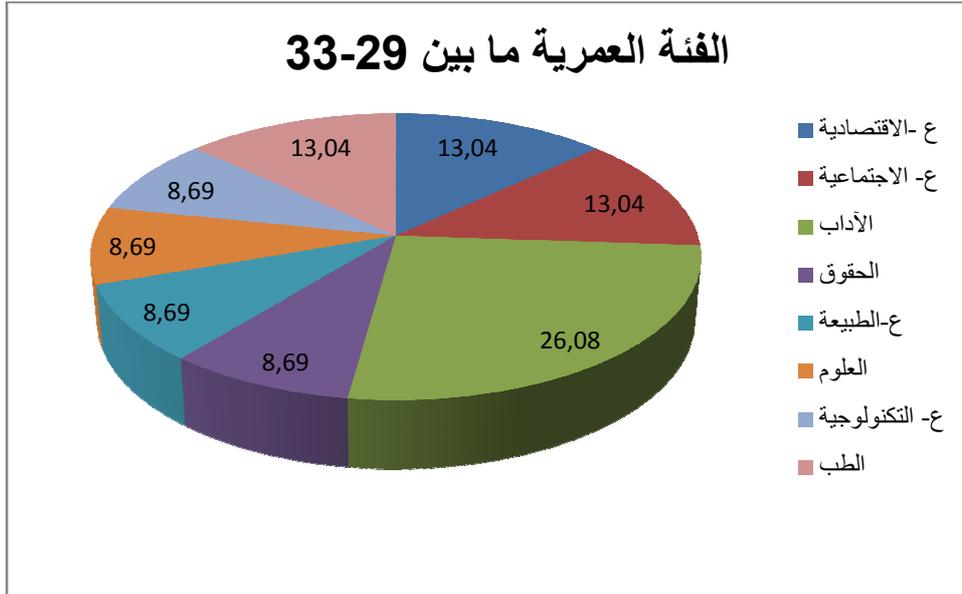


الله

معطيات حول عينة البحث:

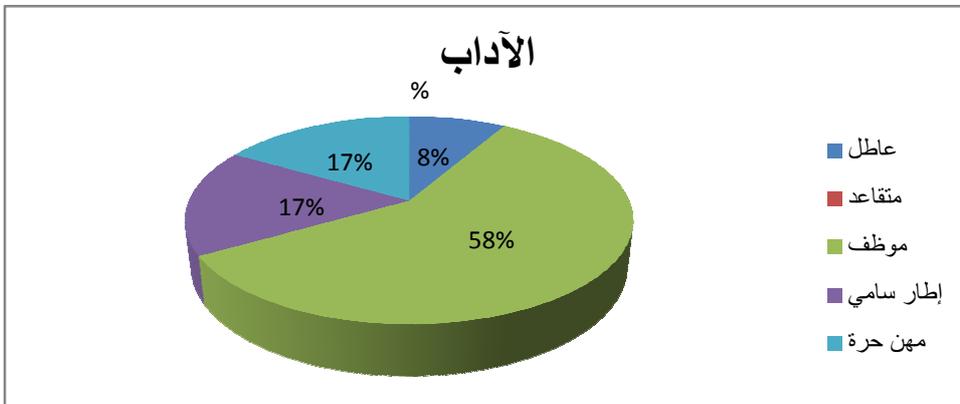
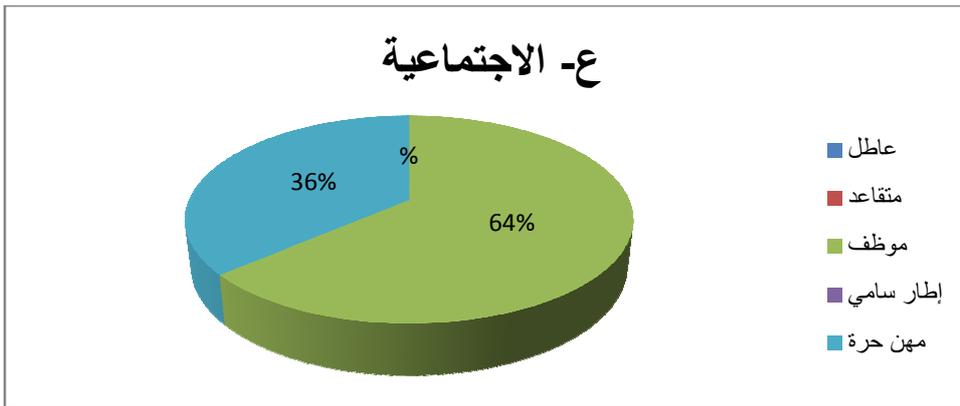
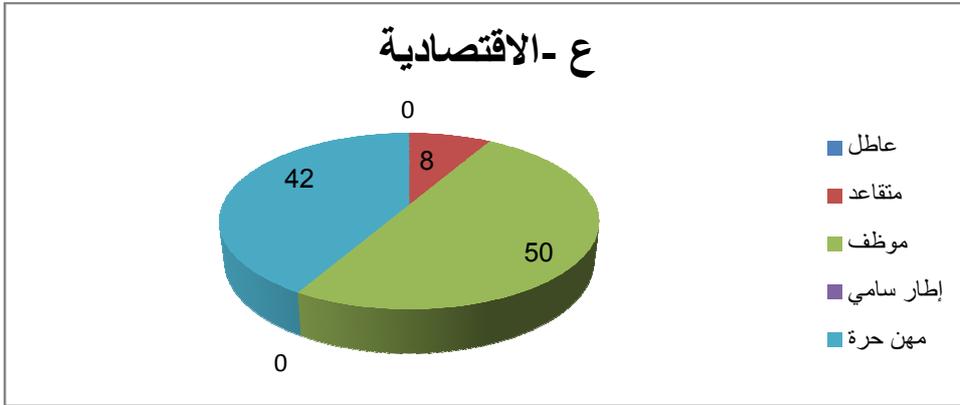
توزيع المبحوثين حسب فئات السن ❖

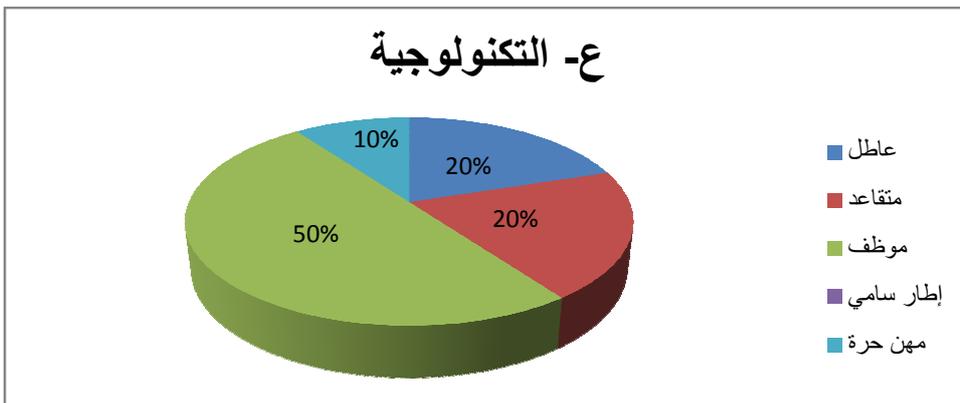
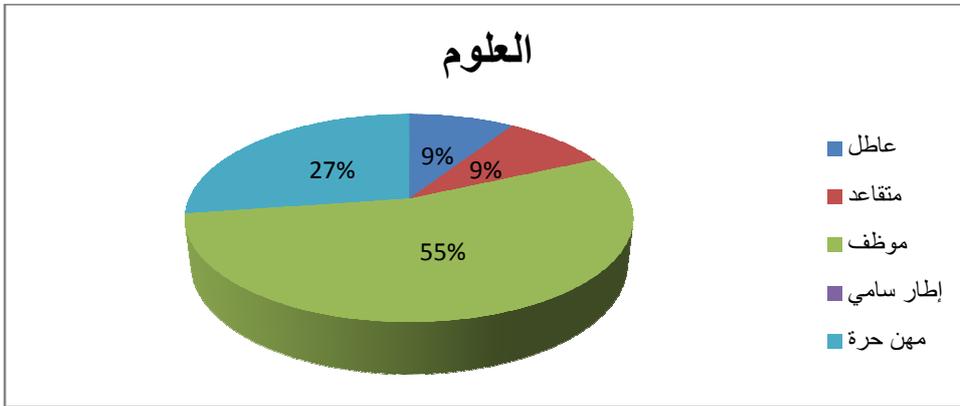
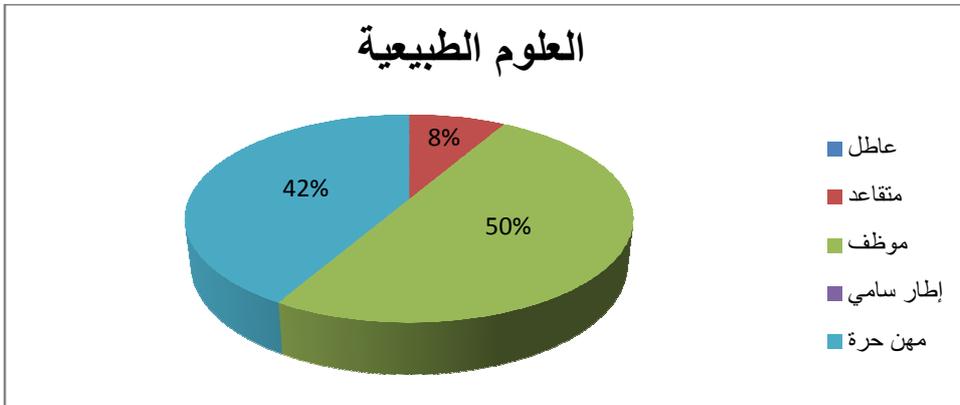




يتبين من خلال القراءة الأولية للتحليل الكمي للمعطيات الميدانية ، أن الفئات العمرية 19-23 سنة هي الأكثر تمثيلاً في المجموع العام للعينة إذ تمثل ما يقارب 58% من مجموع المستجوبين ، بينما تمثل الفئة العمرية ما بين 24-28 سنة أكثر من 32% في حين تمثل الفئة ما بين 29-33 سنة 7% والفئة التي تتزايد أعمارها عن 33 سنة أقل من 3%. هذا الوصف الأولي يوحي بالخصائص المرتبطة بالسن وطبيعة التخصصات والكليات التي يدرسون فيها .

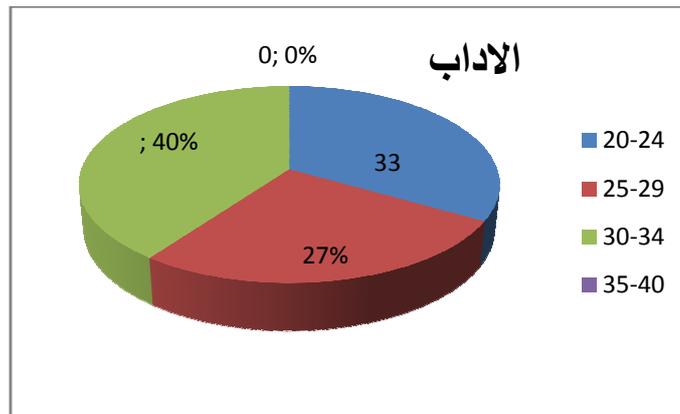
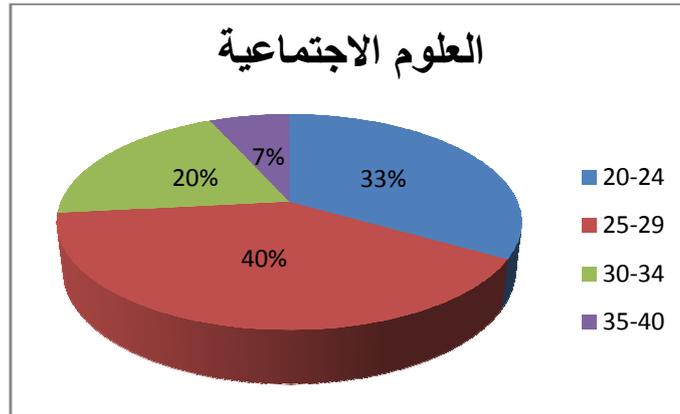
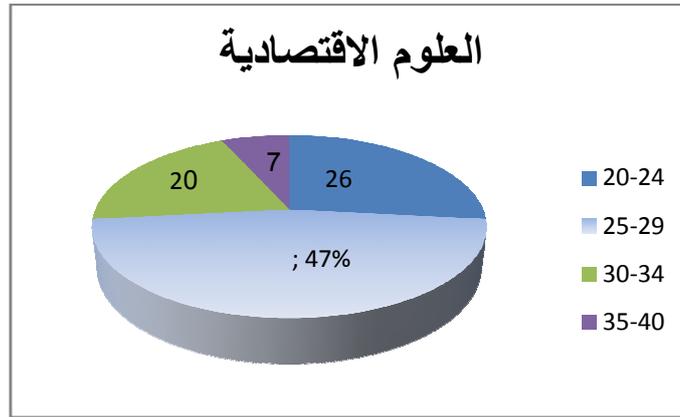
توزيع المبحوثين حسب مهن آبائهم

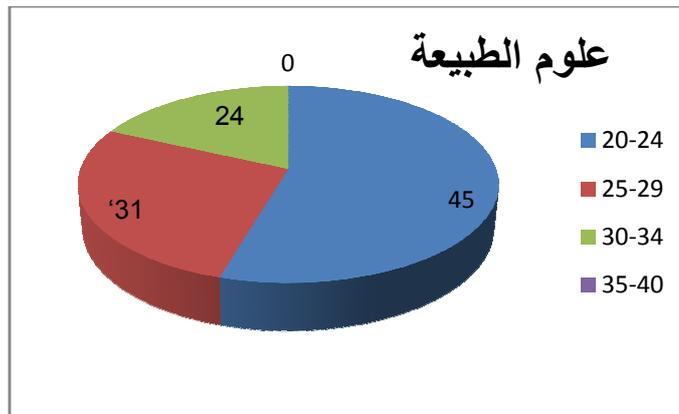


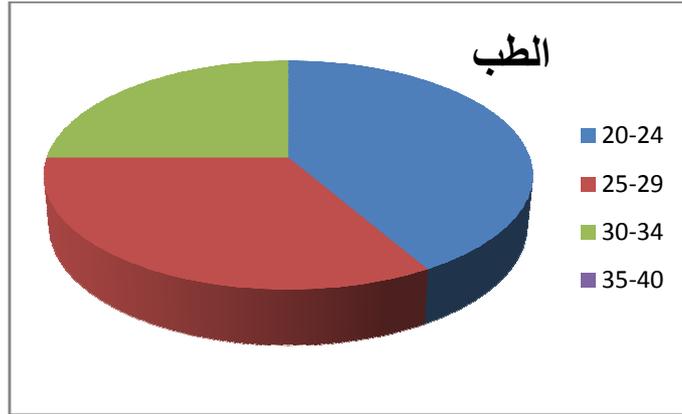


لطبيعة التماثل بين مختلف الفئات الاجتماعية مهما تباينت مستوياتها التعليمية والمهنية ألا أنه تجمع على أحقية أبناءها وبناتها في التعليم وحمل الشهادات.

توزيع المبحوثين حسب الكليات ❖







أسئلة إستمارة المقابلة

رقم المبحوث (ة):

.....: السن

.....: الجنس

الحالة المدنية: أعزب / متزوج / عزباء / متزوجة /

.....: الكلية

.....: التخصص

.....: مهنة الأب

.....: المستوى التعليمي للأب

.....: مهنة الأم

.....: المستوى التعليمي للأم

.....: مدة المقابلة

.....: مكان المقابلة

1- هل يهتمك النقاش حول موضوع "الغرب"؟

2- هل سبق لك وأن تناقشت حول الغرب مع زملائك؟

● ما مصدر معلوماتك عن الغرب؟

• هل سبق وأن زرت بلد أو بعض البلدان الغربية؟

3- إذا طلبت منك تعريفا للغرب، ما هي إجابتك؟

4- هل بإمكانك تحديد الموقع الجغرافي للغرب؟

5- حول (في) معرفة الشخصيات التاريخية لدى المبحوثين

6- حول ما تمثله الشخصيات التاريخية الغربية لدى الطلبة المبحوثين

7- تمثلات المبحوثين للأحداث التاريخية الغربية:

"الثورة الأمريكية"، الثورة الفرنسية، التدخل الأمريكي بالعراق"

• على مستوى معرفة الأحداث

• على مستوى تمثلات الأحداث

8- ماذا تمثل لك تلك المظاهرات الشعبية الغربية المناهضة لحكوماتها جراء دخولها

تلك الحرب؟ وكيف تنظر لتلك الذروع البشرية التي نظمت أمام مقرات الحكومات

الغربية لحماية الشعب العراقي؟

9- في اعتقادك كيف هو موقف الغرب من الصراع الفلسطيني الإسرائيلي؟

10- الرموز الغربية:

ماذا تمثل لك الرموز التالية: برج إيفل Tour Eiffel، تمثال الحرية Statut de

Liberté، الساعة الكبيرة Big Ben، الدولار، الأورو...؟

11- ماذا تمثل لك تلك الشخصيات التالية؟

"نيوتن"، "باستور"، ...

12- ماذا تمثل لك اللغات الآتية؟:

اللغة الفرنسية - اللغة الإنجليزية.

13- ماذا تمثل لك الديانتان الآتيتان؟

الديانة المسيحية - الديانة اليهودية

14- لزالَت بعض المؤسسات والرموز الدالة على الديانة المسيحية (كنائس / الصلبان)

في بعض المناطق والمدن من الوطن، والتي تعود إلى الحقبة الاستعمارية، كيف تنظر لها؟

15- ما هي نظرتك للمؤسسات التالية؟

دور الحضانة - دور العجزة " المسنين " - دور الطفولة المسعفة والأمهات
الغازبات:

16- هل سبق لك وأن فكرت في الهجرة إلى الغرب؟

17- في نظرك، ما أهم القنوات الفضائية التي يقبل الطلبة على مشاهدتها ولماذا؟

18- هناك انتشار لبعض العادات والتقاليد الغربية في المجتمع الجزائري كيف تنظر لذلك؟

19- بصفتك طالب (ة) جامعي (ة)، إذا استفدت من منحة لمواصلة

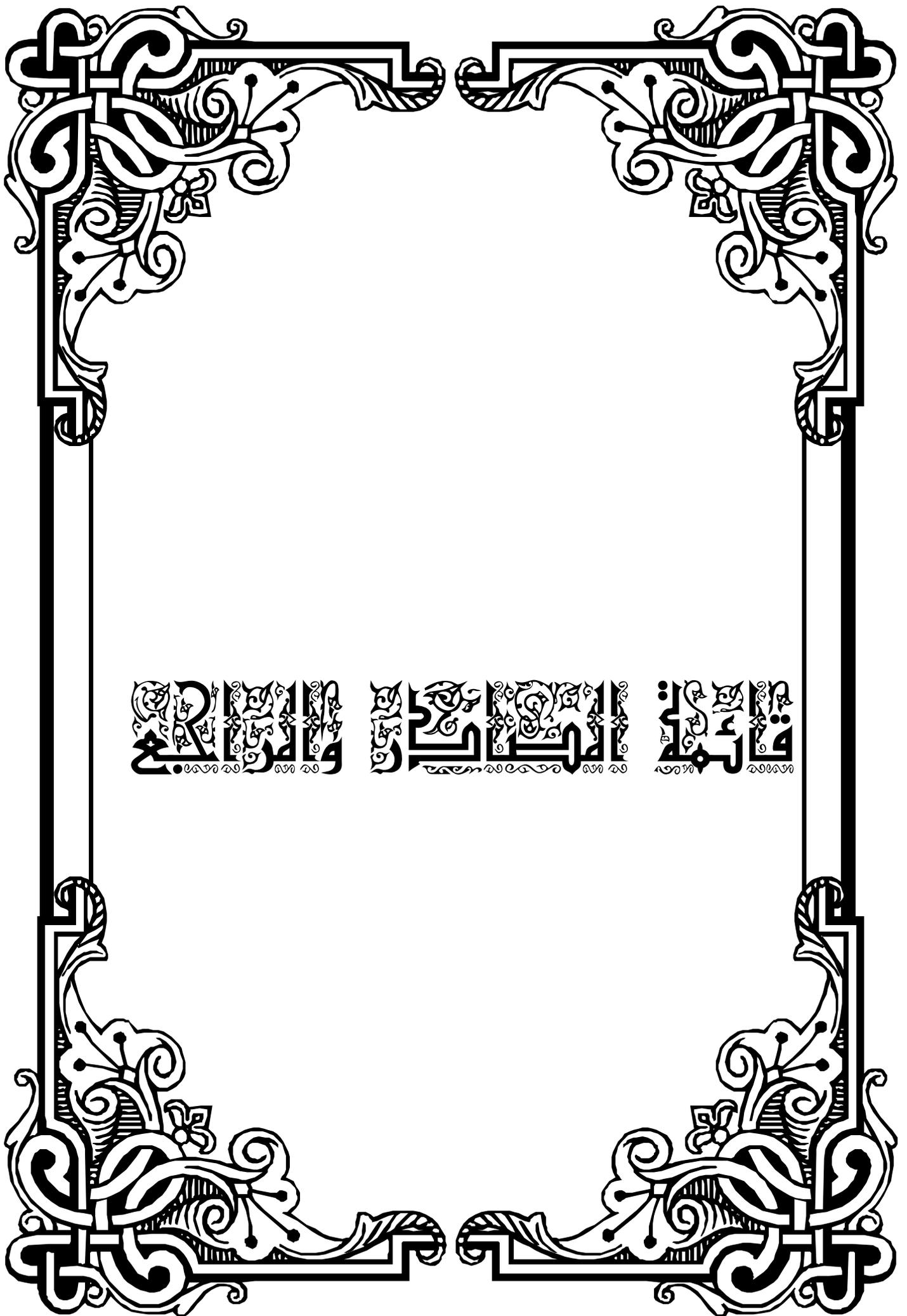
دراستك الجامعية بالخارج، وأعطيت لك حرية الإختيار البلد (الوجهة)، ما هو البلد الذي تختاره؟ ولماذا؟

20- يلاحظ إقبال الشباب الجزائري على الموسىة "لباس، قصات شعر،

موسيقى..."

21- في إعتقادك هل هذا تطّلع وإفتنان بكل ما هو جديد؟ أم تقليد للغرب؟

كيف؟



قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:

الحديث النبوي:

1- أورده البخاري في باب التصاوير، : الصحيح، مجلد 04، جزء السابع، دار

الفكر بيروت، د ت.

المصادر والمراجع العربية:

المصادر:

1- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر، عبد المنعم خليل إبراهيم،

دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، ج 4، لبنان، 2003

2- طلوع سعد السعود، "في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا" إلى أواخر

القرن التاسع عشر"، للآغا بن عودة المزاري، تحقيق ودراسة الدكتور يحيى

بوعزيز، الجزء الثاني، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1990.

3- ابن خلدون: مقدّمة: نقلا عن سليمان إبراهيم العسكري، إعلام العوامة، مقال:

ضمن كتاب: العربي الإسلام والغرب، العدد 49، الكويت، 15 يوليو 2002.

- 4- ابن منظور، لسان العرب، المجلد السادس. ك-ل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1عام 2005.
- 5- ابن خلدون، المقدمة، دار إحياء التراث، ط 4، (د. ت).
المراجع:
- 1- إبراهيم إمام، الإعلام والاتصال بالجمهير، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1975.
- 2- ابن رشد : الكتاب الكبير للنفس لأرسطو، نقله من اللاتينية إلى العربية الأستاذ إبراهيم الغربي، دار الحكمة، 1997.
- 3- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، القسم الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992.
- 4- أبو حطب فؤاد وصادق أمل: نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، مركز التنمية البشرية، الجيزة، 1979.
- 5- أحمد بنمرسلي، مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط2، الجزائر 2005.
- 6- أحمد زياد محبك، من التراث الشعبي، دراسة تحليلية للحكاية الشعبية، دار المعرفة، بيروت 2005.

- 7- أحمد كنعان، الأساليب المقترحة لتحسين الشباب العربي ضد التيارات المعادية، دراسة ميدانية على طلبة دبلون التأهيل التربوي في كلية التربية بجامعة دمشق، مجلة جامعة دمشق، المجلد 24، العدد الأول والثاني 2008.
- 8- أحمد نعمان، هذي هي الثقافة، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، 1996،
- 9- إسماعيل علي سعد، الشباب والتنمية في المجتمع السعودي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1989.
- 10- إليكس ميكشيللي، ترجمة: د. علي وطفة؛ الهوية، دار الوسيم للخدمات الطباعية، الطبعة 1، 1393.
- 11- أنجس، موريس. منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية : تدريبات عملية . ت :بوزيد صحراوي وآخرون الجزائر :دار القصة للنشر. 2006.
- 12- البرعي وفاء: دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري، ط1، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية سنة 2002.
- 13- برهان غليون : اغتيال العقل ، القاهرة : مكتبة مدبولي ، 1990
- 14- برهان غليون، مجتمع النخبة، ، معهد الإنماء العربي، بيروت 1986.
- 15- بن آشنهوو مراد، نحو الجامعة الجزائرية، ترجمة عائدة أديب باية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1981.

- 16- بوسنة عبد الوافي زهير: التصور الاجتماعي لظاهرة الإنتحار لدى الطالب الجامعي أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، في علم النفس الإكلينيكي، إشراف أ.د هاروني موسى. جامعة منتوري. قسنطينة، السنة الجامعية 2007/2008
- 17- بيبور بورديو، الخياطة الرفيعة والثقافة الرفيعة، في تساؤلات الفكر المعاصر، ترجمة محمد سبيلا، دار الأمان، الطبعة الأولى، 1987.
- 18- تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقى، الطبعة الثانية، بيروت، 2001.
- 19- تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقى، بيروت، لبنان، الطبعة 3، 2007.
- 20- توفيق المدني، كتاب الجزائر، الطبعة الثانية، الجزائر 1963.
- 21- الجراري، بين أحضان اللغة العربية، اللغة العربية و العولمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1984.
- 22- جلاوي محمد: أشعار شعبية من قبائل جرجرة، قراءة نقدية في كتاب هانوطو، الجائر، منشورات زرياب 2001.
- 23- الجوير، إبراهيم، الشباب وقضايا المعاصرة، مكتبة السكان، الرياض، 1994.

- 24- حاتم الكعبي، التغير الاجتماعي وحركات الموضة، دار الحداثة، الطبعة 1، بيروت، 1982.
- 25- حسن بن حسن، النظرية التأويلية عند بول ريكور، منشورات الاختلاف، ط2، مجلد 1، 1992.
- 26- حسن عبد الله العابد، أثر العولمة في الثقافة العربية، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، الأردن، 2004.
- 27- حمد أركون، الإسلام، السياسة و الأخلاق، ترجمة هاشم صالح، اليونسكو، باريس، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط 1، 1990.
- 28- حميد بن جاعد الديلمي، التخطيط الإعلامي، المفاهيم والإطار العام، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1998.
- 29- حيدر حميد الدهوي: العولمة والقيم، رسالة في الطريق إلى ما بعد العولمة وقيمتها، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، سوريا، ط1، سنة 2004.
- 30- خالد حربي، العولمة بين الفكرين الإسلامي والغربي "دراسة مقارنة"، توزيع منشأة المعارف، القاهرة، 2003،
- 31- خالد زيادة، تطور النظرة الإسلامية إلى أوروبا، معهد الانتماء العربي، بيروت 1983.

- 32- خليفة عبد اللطيف، التغير في نسق القيم لدى الشباب الجامعي، مظهره وأسبابه في عالم متغير، بحث مقدم في المؤتمر السنوي الثاني بجامعة الزرقاء الأهلية، بتاريخ 27-29 يوليو- 2004 الأردن.
- 33- دراسة عبد الرحيم العطري: سوسيولوجيا الشباب المغربي جدل الاندماج والتهميش، دار النشر: طوب بريس، 2004.
- 34- دليو فضيل وآخرون: إشكالية المشاركة الديمقراطية في الجامعة الجزائرية، قسنطينة: مخبر التطبيقات النفسية والتربوية، 2006.
- 35- دنيال هوقو، دين وحدثة ودينوية، في كتاب الحدثة، إعداد محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي، دار الأمان.
- 36- دياب فوزية: القيم والعادات الاجتماعية : مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية، دار المعرفة العربية، بيروت، 1988.
- 37- رانيو فيليب:ماكس فيبر وفارقات العقل الحديث، ترجمة جديد محمد، منشورات الإختلاف، الجزائر 2009.
- 38- الربيعو، تركي علي: الإسلام وملحمة الخلق والأسطورة، المركز الثقافي العربي، ط1، 1992.
- 39- سالم حدّاد، صراع الهوية بين الأنا والآخر، المغرب العربي نموذجاً، الأطلسية للنشر.

- 40- سامي مسلم: صورة العرب في ألمانيا الاتحادية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية 1985.
- 41- سعيد إسماعيل علي : ثقافة البعد الواحد ، القاهرة : عالم الكتب ، 2003 .
- 42- سعيد بن مبارك آل زعير، التلفزيون والتغير الاجتماعي في الدول النامية، دار ومكتبة الهلال بيروت، 2008.
- 43- سعيد عبد الفتاح عشور: أوروبا في العصور الوسطى، القاهرة، الجزء 2، سنة 1959.
- 44- سعيد علي آل ثابت، الأصول الفكرية للإعلام، الرياض، دار الفضيلة، 1315هـ.
- 45- سميح أبو مغلي وعبد الحافظ سلامة: علم النفس الاجتماعي، الطبعة 01، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2002.
- 46- سميح محمد حسين، الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، عالم الكتب، القاهرة، 1984.
- 47- السيد محمد بدوي، علم الاجتماع الاقتصادي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1988.
- 48- السيد ياسين ، الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر ، بيروت ، دار التنوير ، 1981م.

49- السيد ياسين ، الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر ، بيروت ، دار التنوير ، 1981م ..

50- شفيق محمد، البحث العلمي الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الإجتماعية، القاهرة، المكتب الجامعي الحديث، 1985.

51- شمس الدين الكيلاني، صورة أوروبا عند العرب في العصر الوسيط، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2004.

52- شمس الدين الكيلاني، صورة أوروبا عند العرب في العصر الوسيط، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق 2004.

53- صالح أبو أصبح، تحديات الإعلام العربي دراسات الإعلام، المصداقية، الجديدة، والهيمنة الثقافية، عمان، دار الشروق والتوزيع، 1999.

54- صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الإستقلال، دار العلوم للنشر والتوزيع، 2005.

55- طاش عبد القادر، الصورة النمطية للإسلام والعرب في مرآة الإعلام الغربي، شركة الدائرة للإعلام المحدودة، الرياض 1989.

56- طلعت إبراهيم، أساليب وأدوات البحث الإجتماعي، 1995.

57- الطيب التيزيني، الواقع العربي والألفية الثالثة، ضمن: ندوة حوارات في الفكر، الواقع العربي وتحديات الألفية الثالثة، مراجعة وتدقيق ناصيف نصار، مؤسسة عبد الحميد شومان، العدد 3، عمان، 2001

- 58- عادل ندا، جدال حول الهوية "الحكمة والانفعال" الحوار المتمدن، العدد رقم 1433 بتاريخ 2006/01/17.
- 59- عاطف عدلي العيد، صورة المعلم في وسائل الإعلام، الطبعة 01، القاهرة، دار الفكر العربي، 1997.
- 60- العاقد أحمد: من نسق الإنغلاق إلى نسق الانفتاح عن التواصل الثقافي، القنوات الفضائية الغربية، 1997.
- 61- عباس الجراري، الثقافة من الهوية إلى الحوار، منشورات النادي الجراري، الرباط، 1993.
- 62- عبد العزيز العسكر، الصورة الذهنية محاولة لفهم واقع الناس والأشياء، دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض، 1414هـ.
- 63- عبد العزيز بن عثمان التويجي، اللغة العربية والعملة، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، المغرب .
- 64- عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات ...من الحداثة إلى العملة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، شباط/ فبراير 2006.
- 65- عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكالات من الحداثة إلى العملة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت 2006.

66- عبد المعطي عبد الباسط: الإعلام وتزييف الوعي، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1979.

67- عبد الودود مكروم: قيم هوية وثقافة - الإنماء _ مدخل لتحديد دور التعليم العالي في بناء مستقبل الأمة العربية، المؤتمر العلمي العشرون " مناهج التعليم والهوية الثقافية " المنعقد في الفترة 30 - 31 يوليو 2008 بدار ضيافة جامعة عين شمس ، مجلد 4 ، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس.

68- العربي سليمان، التواصل التربوي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، سنة 2005.

69- عزة شرارة بيضون وآخرون: الشباب العربي ورؤى المستقبل، سلسلة كتب المستقبل العربي، مركز الدراسات الوحدة العربية- الطبعة الأولى، بيروت، 2006.

70- عصام سليمان الموسى، المدخل في الاتصال الجماهيري، مكتبة الكناي للنشر والتوزيع، ط4، 1997.

71- علي بن محمد الجرجاني: كتاب التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405 هـ .

72- علي الصقلي، آسي الحي، مسرحية شعرية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2002،

- 73- علي حرب: حديث النهايات ، فتوحات العولمة ومازق الهوية، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، بيروت، 2004.
- 74- علي عجمو، العلاقات العامة والصورة الذهنية، علم الكتب، القاهرة، 1983م.
- 75- علي عجمو، العلاقات العامة والصورة الذهنية عالم الكتب، القاهرة، 1983.
- 76- علي فؤاد أحمد، علم الإجتماع الريفي، دار النهضة العربية، بيروت، سنة 1981.
- 77- علياء شكري، بعض ملامح التغير الإجتماعي والثقافي في الوطن العربي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1983.
- 78- غليلي كمال أمير، مداخلة دور المراكز البحثية في تشكيل الرأي العام وصورة الآخر، دراسة لحالة مركز الدراسات الآسيوية بجامعة القاهرة، المؤتمر الدولي، استطلاعات الرأي العام واتخاذ القرار بين النظرية والتطبيق (6-8) فبراير 2007، جامعة القاهرة
- 79- فرديناند ديسوسير: دروس في الألسونية العامة، ترجمة صالح القومالي وآخرون، الدار العربية للكتاب، بيروت 1985.
- 80- فوزية دياب، القيم والعادات الإجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، 1980.
- 81- لخيسي، السيد سلامة: المعلم العربي، بعض قضايا التكوين ومشكلات الممارسة المهنية، الإسكندرية، دار الوفاء. 2003.

- 82- ماجد الزيود، الشباب والقيوم في عالم متغير، دار الشروق، 2006.
- 83- مالك بن نبي: تأملات، دار الفكر، سوريا، 1991،
- 84- مالك بن نبي، آفاق جزائرية للحضارة، بالثقافة للمفهومية، ترجمة الطيب الشريف، مكتبة النهضة الجزائرية، د.ت .
- 85- مبارك الميللي: ابن باديس وعروبة الجزائر، ط 2، الجزائر 1980، ص 163.
- 86- مبارك بن محمد الميللي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- 87- محبوب محمد عبده، مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية (منهجا وتطبيقا) وكالة المطبوعات، الكويت ، ط2، دون سنة.
- 88- محفوظ نحناح، الجزائر المنشودة المعادلة المفقودة، الإسلام الوطنية الديمقراطية، دار النبأ، الجزائر، ط1، 1999.
- 89- محمد أركون، من فصل التفرقة إلى فصل المقال... أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، دار الساقى، بيروت، الطبعة الثانية، 1995.
- 90- محمد الصالح ونيسي: الأوراس، تاريخ وثقافة، الطباعة العصرية، الجزائر، سنة 2007.
- 91- محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج2، 1345هـ ، المطبعة التونسية. 1926م

92- محمد سكران، العولمة والهوية الثقافية، رؤية نقدية، ندوة العولمة والخصوصية

الثقافية، جامعة السلطان قابوس وجامعة الزيتونة التونسية، 1999

93- محمد شومان، الإعلام والتنمية في عصر العولمة، صحيفة الأهرام، العدد

42274، سبتمبر 2002.

94- محمد صالح الهرماسي، مقارنة في إشكالية الهوية، المغرب العربي المعاصر، دار

الفكر، سوريا، الطبعة الأولى، 2001.

95- محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي، محدداته وتجلياته، المركز الثقافي

العربي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء.

96- محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي، محدداته وتجلياته، المركز الثقافي

العربي، ط 1، الدار البيضاء .

97- محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي، محددات و تجلياته، مركز دراسات

الوحدة العربية، ط الثانية

98- محمد عبد الشفيق عيسى، الإقتصاد السياسي للعولمة والتكنولوجية، نحو رؤية

جديدة، الشركة العالمية للكتب، بيروت، 2004.

99- محمد مبارك الملي: ابن باديس وعروبة الجزائر، ط 2، الجزائر، 1980.

100- محمد منير مرسي، التعليم الجامعي المعاصر: قضايا وإتجاهاته، القاهرة، دار

النهضة العربية، 1977.

- 101- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : الخطة الشاملة للثقافة العربية ، ط2، تونس : إدارة الثقافة ، د.ت .
- 102- مونييف عبد الرحمان، الثقافة والمثقف في المجتمع العربي، منتدى عبد الحميد شومان الثقافي، بيروت، 1998.
- 103- ميخائيل سليمان، صورة العرب في عقول الأمريكيين، ترجمة عطا عبد الوهاب، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية 1987.
- 104- ناجية أقجوج، الصورة النمطية للإسلام في المتخيل الغربي: سوء فهم أم مركب جمل... مطبعة آنفو- برانت، الطبعة الأولى، 2009،
- 105- نصر الدين العيافي، وسائل الاتصال الجماهيري والثقافة: القاعدة والاستثناء، دائرة الثقافة والإعلام ، لبنان، 2001.
- 106- نصير بوعلي، التلفزيون الفضائي وأثره على الشباب في الجزائر، دراسة ميدانية، دار الهدى، الجزائر 2005.
- 107- نور الدين أفاية، الغرب المتخيل: " صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط"، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 2000.
- 108- هاشم صالح، قراءة في الفكر الأوروبي الحديث، كتاب الرياض، العدد 06 ، 1994.
- 109- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسطى، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر 1992.

110- يسمينة خدنة، واقع تكوين طلبة الدراسات العليا في الجامعة الجزائرية،
دراسة حالة جامعة منتوري- قسنطينة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم
الاجتماع، تخصص: التنمية وتسيير الموارد البشرية، إشراف: أ.د: راجح كعباش، السنة
الجامعية 2007-2008.

موسوعات:

1- عبد المجيد لبصير: موسوعة علم الإجتماع، ومفاهيم في السياسة والاقتصاد
والثقافة العامة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر سنة 2010.

2- الموسوعة الحرة، الموقع: <http://dr.Wikipedia.Org>

قواميس:

1- بدوي أحمد زكي: معجم العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، 1987.
2- جلال الدين سعيد، معجم الشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس،
1994.

3- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية.

4- قاموس المعاني عربي عربي، نقلا من الموقع <http://www.almaany.Com>

5- المعجم الإسلامي. محمد منير حجاب، دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة.

6- المعجم الرائد، <http://www.almaany.Com>

7- المعجم الوسيط، <http://www.almaany.Com>

8- المنجد في اللغة والإعلام نقلا من الرابط [hTT: //taouinet.](http://taouinet.hTT://)

Maktoobbloge. Com.

9- ميتشل- دينكن، معجم علم الإجتماع، تعريب: إحسان محمد الحسن، دار

الطلیعة، بیروت، 1986.

المجلّات:

1- أحمد أوزي، جودة التربية وتربية الجودة، منشورات مجلة علوم التربية رقم 3،

طبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2005.

2- أحمد مجدي حجازي، العولمة و تهميش الثقافة الوطنية، رؤية نقدية من العالم

الثالث، مجلة عالم الفكر العدد2، الكويت، أكتوبر، ديسمبر 1999.

3- بشرى جميل الراوي: متطلبات الإبداع الإعلامي العربي في البرامج، مجلة

الباحث الإعلامي، العدد 8 آذار 2010 .

4- تأليف نخبة من أساتذة علم الاجتماع الإسكندرية، المرجع في مصطلحات العلوم

الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، السادة مصطفى: نحن والآخر الانفتاح أو

التعصب، مجلة النبأ، العدد 47.

5- تركي مصطفى: وسائل الإعلام وأثرها في شخصية الغزو، مجلة الفكر، ج 14،

وزارة الإعلام الكويتية، الكويت 1984.

6- حافظ إسماعيل علوي ، مجلة الثقافة الجديدة، المحمدية، العدد 29، سنة

1996.

7- حرب علي، غزو ثقافي أم فتوحات فكرية، مجلة الفكر العربي، السنة (14)

العدد 74، سنة 1993.

8- حنان مراد، حنان مالكي: أثر الإنفتاح الثقافي على مفهوم المواطنة لدى الشباب

الجزائري " دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة خيضر بسكرة" دراسة

استكشافية"، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية.

9- ذياب البدانية، مقال حول الصورة النمطية للعرب والغرب واليهود لدى

الطلاب الاردنيين جامعة منتوري قسنطينة الجزائر عدد 11. 1999.

10- شرف الدين ماجد ولين، مقال: الصورة والنوع والتمثيل الثقافي، قراءة في

نموذجين نقدين لفريد الزاهي ونور الدين أفاية، مجلة نزوى، العدد 35، عمان،

سنة 2003.

11- عامر عبد زيد، التمثيل السياسي في العراق القديم، مجلة الحوار المتمدن،

الموقع [http:// www. ahewar. org](http://www.ahewar.org)

12- عبد الرحمن عمر الماحي : العولمة واستلاب الهوية الثقافية للمسلم ، المؤتمر

العام التاسع عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، في الفترة 27-30

مارس 2007.

- 13- عبد الرزاق الداوي، "الهوية الثقافية: جدلية الثقافة والمثاقفة"، مجلة المناهل،
ملف إشكالية الهوية، عدد 71-72، وزارة الثقافة المغربية، الرباط ،
شتمبر 2004 .
- 14- عبد السلام المسدي : الخطاب العربي وكونية الثقافة ، مجلة سطور، القاهرة :
دار سطور ، فبراير 1999
- 15- عبد الله عبد الرحمن الفيصل المساندة الاجتماعية بين الطلاب السعوديين
والجنسيات العرقية مجلة العلوم الانسانية العدد 03 عام 1995 .
- 16- عبد الله معتز، الاتجاهات التعصبية بين الذكور والإناث، مجلة علم النفس، رقم
1، العدد 44.
- 17- عثمان فراخ، الثقافة وعملية التنشئة الاجتماعية في الوطن العربي، أعمال
الملتقى الدولي حول الثقافة والتسيير بالجزائر 28-30 نوفمبر 1992، ديوان
المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- 18- علي مصطفى المصراطي، اليهود في التعاير الشعبية، مجلة الفصول الأربعة، مارس
1981، السنة الرابعة، العدد 13.
- 19- عيسى جعنبط، مقاومة سكان الواحات للاحتلال الفرنسي في القرن 19- ثورة
الزعاطشة 1849، أسبابها- تطوراتها، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ،
جامعة الجزائر، العدد 09، 1995.

- 20- قاسم عبده قاسم، كتاب العربي، العدد 546، وزارة الإعلام، مجلة العربي، الكويت، مايو 2004،
- 21- كمال بشير، اللغة العربية بين العروبة والعولمة، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، 2002.
- 22- المجلة العربية للثقافة: إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، السنة 19، عدد 39 جهاى الثانية 1421، سبتمبر 2000 .
- 23- محمد إبراهيم المنوفي وياسر مصطفى الجندي : التربية وتنمية الهوية الثقافية في ضوء العولمة ، مجلة كلية التربية بدمياط ، جامعة المنصورة ، ع 43 ، 2003 233.
- 24- محمد الصغير غانم: الملك سيفاكس والكيان السياسي النوميدي، مجلة التراث، عن جمعية التاريخ والتراث الأثري لمنطقة الأوراس، العدد 09، 1997.
- 25- محمد الهادي حارش، ثورة تاكفاريناس (17-24م)، مقال، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد التاسع، السنة 1995م .
- 26- محمد سبيلا، الشباب والإيديولوجية، مجلة الوحدة، العدد 37، دجنبر، 1987.
- 27- محمد عابد الجابري، الغرب والإسلام- الأنا والآخر... أو مسألة الغيرية. مجلة الفكر والنقد العدد الثاني.
- 28- محمد نور الدين أفاية، مقال: ما بين العقل والتعقل والنقد أو رهان المتخيل عند الجابري

- 29- مصطفى عشوي، الثقافة والقيم الأخلاقية، مقال مجلة الطفولة العربية، العدد العاشر، الكويت، مارس 2002.
- 30- مصطفى عشوي، الثقافة والقيم الأخلاقية، مقال: مجلة الطفولة العربية، العدد العاشر الكويت، مارس 2002.
- 31- مفيدة العباسي، أثر التقنيات الحديثة على العلاقات الإجتماعية والإتصالية للأسرة العربية، مداخلة: في مؤتمر: الأسرة والإعلام العربي: نحو أدوار جديدة للإعلام الأسري المنعقد يومي 2-3 مايو 2010 الدوحة- دولة قطر.
- 32- موسى عبد الرحيم حلس وناصر علي مهدي، دور وسائل الإعلام في تشكيل الوعي الاجتماعي لدى الشباب الفلسطيني، دراسة ميدانية على عينة من طلاب كلية الآداب جامعة الأزهر، غزة، مجلة جامعة الأزهر، سلسلة العلوم الإنسانية 2010. المجلد 12، العدد 02.
- 33- نزار الدين، تساؤلات حول الهوية العربية، مجلة المواقف، عدد 66، توزيع دار الساقى، بيروت، شتاء 1992.
- 34- ياس خضير البياتي: دراسة الفضايات الثقافية الوافدة وسلطة الصورة، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد 267، أيار 2001م.

جرائد:

1- جريدة الشروق: الجمعة 27 ديسمبر 2013 الموافق 24 صفر 1435 هـ العدد
.4238

المصادر والمراجع باللغات الأجنبية:

1. Abdelkébir khatibi, peuserle Maghreb, ed. smer, rabat.1993.
2. Akain.Aet Ansart. P: Dictionnaire De Sociologie, Dictionnaires De Robert, Seuil 1999 .
3. ALTHUSSER (Louis) : Pour Marx, François Maspero, paris , 1980.
4. André Miquel, Les Arabs , l'islam et l'europe, ed flammarion, paris, 1991
5. Baillyet Al, Encyclopédie De Géographie, Economica, Paris (1995).
6. D.H.Pageaux, Pour une approche méthodologique de l'image de l'autre. Etudes orientals.
7. Edition RETZ, paris, 1978, .Evelyne Pathalgean, l'histoire de l'imaginaire dans la nouvelle histoire
8. Edward Boudi : Quand les conditions ont la force de la réalité, l'unanimité , l'immigration et la cinquième dimension. Le Monde janvier 2001..-

9. Etude orientales , n2 , 1988, D.h.pageaux, pour une approche méthodologique de l' image de l'autre
10. Ferréol.G et Coll, Dictionnaire De La Sociologie, 2^{eme} édition, Armand Colin, 1995, Paris –
11. Gordon W.Allport, The Nature of Prejudice, New York: Doubleday 1954,
12. Guérin .p.Cité par André Y et al (1990) Modèles Graphiques et Représentations Spatiales . Authropos/Reclus. Paris.
13. H.C.J Duijker and N.H. Fridje, National Character and National Stereotype. Amesterdam: North – Holland Publishing Co., 1961,
14. Haddi el houari, De l'algérie pré- coloniale à l'algérie coloniale : economie et société, alger : E N L , 1985.
15. Jeans- Jacques Wenetr Burger, L'unagination, Puf, Que Sais- Je? Paris, 1991.
16. Kol, la thanh, jeunesse exploitée, jeunesse perdue, paris, p.u.f, 1978
17. Piaget, Jean et Inhelder, B: représentation de L'espace Chez L'enfant Puf. Paris.
18. Walter Lipman, Public Opinion, NewYork: Macmillanco, 1922.
19. Websters, new Collegia Dictionary, Soring Op.



الله أكبر

الفهرس

أ	خطة البحث
06	مقدمة
08	الفصل الأول: إشكالية الدراسة والخطوات المنهجية
10	(1) مشكلة البحث وأسئلته
13	(2) أهداف البحث
14	(3) أسباب ودوافع اختيار الموضوع.
15	(4) أهمية البحث
15	(5) التعريفات الإجرائية
15	أ- تعريف المفاهيم المحورية المستخدمة في الدراسة
39	ب- المفاهيم ذات الصلة بالمفاهيم المحورية للدراسة
47	(1) الدراسات السابقة
70	(2) صعوبات الدراسة
71	(3) خطوات البحث
75	الفصل الثاني: الخيال و الصورة
76	المبحث الأول: الخيال.
78	مفهوم الخيال
82	الأثرولوجيا والخيال.
83	الخيال الديني
84	الخيال الاجتماعي
88	المبحث الثاني : الصورة.

93	الصورة الذهنية
95	الصورة النمطية
97	علاقة الصورة بالتعصب
101	الصورة والمخيل.
104	الفصل الثالث: صورة الغرب نتاج لتمثلات الهوية الثقافية الجزائرية
105	المبحث الأول: الهوية الثقافية الجزائرية
106	الهوية الثقافية الجزائرية
115	محددات الهوية الجزائرية
111	1- الانتماء الجغرافي
111	2- الدين
113	3- اللغة العربية
114	4- التراث الثقافي والحضاري
116	5- التاريخ
121	المبحث الثاني: التطور الكرونولوجي لصورة الغرب في المخيال الجزائري
122	صورة الغرب في المخيال الجزائري في فترة ما قبل التاريخ
128	صورة الغرب في المخيال الجزائري في العصر الوسيط.
128	أ- الفترة الجزائرية الحمادية
134	ب- الفترة الجزائرية الموحدية.
136	صورة الغرب في المخيال الجزائري في العصر الحديث- نماذج من الثورات الجزائرية
145	الفصل الرابع: صورة الغرب من خلال التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع

الجزائري

- 146 المبحث الأول: مدخل مفاهيمي للتغيرات السوسيو ثقافية
- 147 مفهوم التغير
- 150 مفهوم التغير الإجتماعى
- 151 مفهوم التغير الثقافى
- 151 التغير الإجتماعى والتغير الثقافى
- 153 المبحث الثانى: تمثلات الغرب على مستوى التغيرات الاجتماعية للمجتمع

الجزائري

- 153 التغير الإجتماعى والثقافى والمجتمع الجزائرى
- 155 أ- على مستوى العادات
- 159 ب- على مستوى الأسرة
- 162 ت- على مستوى الموضة
- 165 الثقافة الغربية والقيم المحلية.
- 167 المبحث الثالث: الإعلام وأثره فى بناء الصور الخيالية
- 169 مفهوم الإعلام
- 173 الإعلام الغربى الوافد وتهديد الهويات
- 177 الثقافة بين سياسة الترميط والتسليع الغربى
- 181 تأثير الإعلام الغربى على الأسرة
- 182 تأثير الإعلام الغربى على اللغة
- 186 تأثير الإعلام الغربى على القيم
- 189 الفصل الخامس: صورة الغرب والإنسان الغربى فى الثقافة الشعبية

193	المبحث الأول: صورة الغرب في الأمثال الشعبية الجزائرية
211	المبحث الثاني : صورة الغرب في الشعر الشعبي الجزائري. القسم الثاني: الجانب التطبيقي
221	الفصل السادس: "الغرب من خلال تصورات طلبة جامعة تلمسان "دراسة الميدانية
222	المبحث الأول: حدود البحث الميداني
222	مناهج البحث وإجراءاته وأدواته
230	مجتمع البحث
234	حدود الدراسة
236	المبحث الثاني:نتائج الدراسة الميدانية
236	نتائج الدراسة الاستطلاعية
244	تحليل المعطيات
314	النتائج
318	الخاتمة
322	الملاحق
336	قائمة المراجع
359	الفهرس

ملخص :

تعد هذه الدراسة محاولة لمعرفة تصورات الطلبة الجزائريين للغرب انطلاقا من نموذج طلبة جامعة تلمسان. فما هي الصورة أو جملة التصورات التي يحملها طلبة جامعة تلمسان عن الغرب؟ هل هي صورة مطابقة لما أنتجه المخيال الجمعي الجزائري عبر تاريخه الاجتماعي - أم هي نتاج تلك التغيرات التي مست النسق الثقافي الاجتماعي العام للمجتمع الجزائري ما بعد الاستقلال؟ وإذا كان الأمر كذلك فما هي مرتكزات تمثلات الطالب الجامعي التلمساني للغرب؟ تهدف الدراسة إلى الوقوف على تصورات الطلبة للغرب وتحديد مرتكزاتها مع مقاربتها بواقعنا الاجتماعي الثقافي، مما يساعدنا على فهمه (الغرب) فهما عقليا وبالتالي يتيسر لنا كيفية التعامل معه تعاملًا متناغما مع مجرى هذا الواقع.

إن التغيرات السوسيو-ثقافية التي عرفها المجتمع الجزائري ليست نابعة من الصيرورة الطبيعية لمجاله الجغرافي والحضاري، بل هي التعبير عن أنماط المرجعيات الثقافية الوافدة من الغرب والمتمثلة في الثقافة البرانية (المكبوتة والمحظورة) والتي ساهمت وسائل الإعلام والاتصال في تلويثها أكثر فأكثر. الكلمات المفتاحية: صورة الغرب - المخيال السوسيو-ثقافي - الهوية الثقافية - التغير السوسيو-ثقافي - الطالب الجامعي.

Résumé :

Cette étude essaie de rapprocher les représentations qu'ont les étudiants Algériens sur l'Occident (ex: étudiants de l'Université de Tlemcen). Quels sont les fondements de ces représentations qu'a l'étudiant(e) Tlemcenien(ne) sur l'Occident? Est-ce-que cette image de l'Occident qu'a l'étudiant est identique à ce qu'a produit l'imaginaire collectif Algérien à travers l'histoire sociale, où elle est le produit des changements qu'a connu le système culturel et social de l'Algérie Post-indépendance ?

Nous voulons connaître l'imaginaire et les représentations des étudiants vis-à-vis de l'Occident, tout en délimitant les fondements de ses représentations avec la réalité socio-culturelle Algérienne, pour mieux comprendre cet Occident et d'agir d'une manière rationnelle afin d'envisager une relation cadencée avec lui selon notre vécu et notre identité culturelle.

Les changements socio- culturels qu'a connu la société Algérienne ne sont pas le produit d'un processus naturel dû à son espace géographique et civilisationnel, mais l'expression des modes de références culturelles Occidentale, représentée par une culture refoulée et censurée (intruse) qui est de plus en plus polluée par les différentes modes de transmissions tels que : les moyens de communications et d'informations .

Mots Clés : L'image de l'Occident- Imaginaire Socio-Culturel- Identité Culturel- Changement Culturel- Etudiant Universitaire.

Abstract:

This study attempts to bridge the representations that students Algerians to the West (eg, students from the University of Tlemcen). What is the basis of these representations and the student (s) Tlemcen (only) on the West? - is that the image of the West and the student is the same as that produced Algerian collective imagination through social history, where it is the product of changes that experienced cultural and social system of the post-independence Algeria ?

We want to know the imaginary representations of students the West , while defining the foundations of his performances with the socio- cultural reality of Algeria, to better understand this West and act in a manner rational to consider a timed with him according to our experience and our cultural identity relationship.

Socio -cultural changes experienced by the Algerian company are not the product of a natural process due to its geographical and civilizational space, but the expression patterns of Western cultural references , represented by a repressed and censored Culture (intruder) which is increasingly polluted with different modes of transmission such as the communication means and information.

Keywords : The image of the West -Fantasy Socio- Cultural Identity , Cultural - Cultural Change , University Student

